بسم ا   الرحمن الرحيم

جامـعـة الخلـيـل

كليـة الدراسـات العليا

بـرنامـج اللـغة العربيـة



اتجاهات شعر الهجاء في مصر والشام زمن الزنكيين والأيوبيين

(489 – 648 هـ)

دراسة موضوعية وفنية

إعداد :

محمد يوسف عبد العزيز غريب

إشراف :

الأستاذ الدكتور: حسن محمد عبد الهادي السراحنة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية بكلية الدراسات العليا في جامعة الخليل

1430 هـ _ 2009 م .

نوقشت هذه الرسالة يوم : السبت بتاريخ : 14 /2 /2009 م

الموافق : 18 /2 /1430 هـ وأجيزت .

أعضاء لجنة المناقشة: التوقيع:

(1)- أ . د حسن محمد عبد الهادي السراحنة مشرفاً ورئيساً

(2)- أ . د إبراهيم شحادة الخواجا ممتحناً خارجياً

(3)- د . علي عبد ا عمرو ممتحناً داخلياً

الإهـــــداء

ولا تحسبن الذين قُتِلُوا في سبيل ا ِ أَمواتاً بلْ أَحياءٌ عِنـد ربهـم يرزقُونْ .

إلى الذين رووا بدمائهم الثرى ، وإلى الثكالى والأيامى وأسرانا خلـف القـضبان ، وكل الصامدين الصابرين على الأرض المباركة .

إلى روح والدي المغفور له إن شاء ا تعالى . ووالدتي أطال ا عمرها .

إلى إخوتي وأخواتي الأعزاء .

إلى من وقفت بجـانبي وشـجعتني حتـى تـم إنجـاز هـذا العمـل إلـى الزوجـة الوفية .... " أم يوسف "

إلى أبنائي وقرة عيني ... " يوسف ، وبلال ، وهبة ، وهديل ، وحنين "

إلى من دعاني إلى المثابرة على إنجاز هذا العمل .. محمود يوسف غريب

إلى الأستاذ الوفي البعيد القريب محمد أحمد حافظ العسيري .

إلى كل الإخوة الذين قدموا لي العون الحسي والمعنوي طوال مدة البحث .

إليهم جميعاً أهدي هذا العمل المتواضع

محمد يوسف غريب

شكر وتقدير

بعد توفيق ا وتيسيره بإتمام هذا العمل ، أجد من واجب الوفاء والعرفان بالجميل أن أتوجه بوافر الشكر والتقدير .. إلى أستاذي وشيخي الأستاذ الدكتور " حسن محمد عبد الهادي السراحنة " الذي تفضل مأجوراً بالإشراف على هذه الرسالة ، وما أولاني به من عنايته وتوجيهاته حتى خرجت بهذه الصورة .

ولا يفوتني أن أقدم شكري الجزيل إلى كل أساتذتي في قسم اللغة العربية في جامعة الخليل ، لما أبدوه من نصح وتوجيه خلال الندوات الدراسية .

فهرس المحتـويات

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين وبعد :

فإن شعر الهجاء من الأغراض التقليدية القديمة ،ومن الموضوعات الشعرية الرئيسة الذي شغل حيزاً كبيراً في دواوين الشعر العربي ، و نظم فيه الشعراء على مر العصور الأدبية ، غير أن كميته تفاوتت بين عصر وآخر ، ومن شاعر إلى آخر ، ومرد ذلك إلى عوامل وأسباب عدة ، بعضها يرتد إلى ظروف الشاعر نفسه ، والآخر مرتبط بالبيئة المحيطة به ، وبالحياة الاجتماعية التي يعيشها الناس في عصره ، وقد حظي شعر الهجاء باهتمام العديد من الباحثين ، فتناولوه بالدراسة والتحليل في عصوره المختلفة ، وكان أبرز تلك الدراسات المتخصصة في هذا المجال دراستي محمد محمد حسين " الهجاء والهجاؤون في الجاهلية " و " الهجاء والهجاؤون في صدر الإسلام " وغيرها من الدراسات الأخرى .

و على الرغم من كثرة شعر الهجاء زمن الزنكيين والأيوبيين ، إلا أنه لم يحظ – في حدود علمي – بدراسة شاملة ومتخصصة ، تُظهر اتجاهاته الموضوعية ، وتوضح خصائصه وسماته الفنية ، وكل ما أورده الباحثون من دراسات حول هذا الغرض وفي تلك الفترة الزمنية ، لا يتعدى إطار الحديث عن قضايا الأدب العامة ، التي ترمي إلى التأريخ للأدب بلونَيه الشعري والنثري على امتداد ذلك العصر ، ومثل تلك الدراسات كثيرة ومتعددة غير أن سمة التشابه فيما بينها في طريقة تناوله هي السائدة في غالبيتها ، اللّهم إذا استثنينا كمية النماذج المعروضة فيها .

ولعل الدراسة التي تطرقت إلى هذا الموضوع بشكل موجز دون أن تتعمق فيه،كما أنها لا تشتمل على جميع جوانبه الموضوعية ، ما نُشر في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني في عددها الخامس والخمسين للباحث شفيق الرقب بعنوان " شعر الهجاء في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية " قد فتحت لي الآفاق في هذا الغرض، و دراسته واستقصاء الموضوع من جوانبه كافة،الشخصية، والاجتماعية، والسياسية،ونقله إلى أفق مكاني أرحب، وتحليل أعمق ؛ لأنها لم تبحث اتجاهات شعر الهجاء المتعددة ، لذا ارتأيت أن أتناول شعر الهجاء في مصر والشام في الفترة الزمنية ما بين (489 – 648 هـ) بقدر من الإحاطة والشمول مع الاستقصاء في الشرح والتحليل لنماذجه المتعددة ، واقتصار تلك النماذج المعروضة على شعراء مصر والشام ، لما بين الإقليمين من روابط سياسية خلال حكم الزنكيين والأيوبيين من ناحية ، ولوقوفهما معاً في وجه الحملات الصليبية على المشرق العربي التي هدفت لطمس هوية الأمة الإسلامية ، والنيل من عقيدتها .

ولأن شعر الهجاء تتعدد دوافعه وأسبابه ، وتتغير فيه أمزجة الشعراء وحدتهم لحظة نظمه، لتفاوت طبقاتهم الاجتماعية ، وتمايز شخصياتهم مما يستوجب على الباحث الوقوف عند بعض الجوانب ، والبواعث التي حدتْ بالشاعر إلى الميل نحو هذا المنحى أو ذاك ، لذا اعتمدت في دراستي على المنهج التكاملي كأساس للبحث والاستقصاء والوصف والتحليل والتأريخ .

وتقع هذه الدراسة في تمهيدٍ وأربعةِ فصول وخاتمة وملحق بتراجم الشعراء ،فقد تناولت في التمهيد مفهوم الهجاء لغةً واصطلاحاً ، وعرضاً موجزاً عن اتجاهاته قبل زمن الزنكيين والأيوبيين .

وقسمت الدراسةُ مضامين الهجاء إلى ثلاثة أقسام ، ولعل هذا التقسيم هو الشائع في شعر الهجاء عبر عصوره المختلفة ، فمنه الهجاء الشخصي والاجتماعي و السياسي ، ورغم أن هذا التقسيم ليس دقيقا ،

لتداخل الموضوعات فيما بينها، فقد يكون الهجاء الشخصي بارزاً في الجانبين الاجتماعي والسياسي ، لكن التقسيم بهذه الطريقة يعد ضرورة منهجية لمثل هذه الدراسة .

وقد تناول الفصل الأول الاتجاه الشخصي، و قسمته إلى ثلاثة مباحث ،الأول منها : تحدثت فيه عن هجاء الرذائل النفسية للأفراد بما فيها من عيوب خَلْقية وخُلُقية ، وغمز بنسبهم ، و"شواذ الهجاء الشخصي"مما لم يكن مألوفاً عند غالبية الشعراء، كتحويل رمز الحسن والجمال إلى رمز للقبح والتنفير، و هجاء الأرحام والأقارب والذات ، والتهاجي بين الشعراء لدوافع عدة ، لم تصل إلى مرتبة النقائض ،كما هو الحال في العصر الأموي ، والثاني: تضمن هجاء شخصي بما لا يعقل كالحيوانات وبعض مظاهر الطبيعة ووسائل اللهو ، والثالث:تحدثت فيه عن مظاهر هجائية أخرى تدل على ضيق الشاعر وتبرمه من الحياة .

وخُصصت دراسةُ الفصل الثاني لموضوع الهجاء الاجتماعي ، وقسمته إلى ستة مباحث الأول منها : في هجاء أعيان الدولة ومستخدميها من قضاة ورجال وعظ ، وأئمة مساجد ، وكتاب دواوين، لإبراز تجاوزاتهم ومفاسدهم وظلمهم للناس ، والثاني : في هجاء أرباب المهن المختلفة ، والثالث : في هجاء العلماء والفلاسفة ، والرابع : في ذم مظاهر المجون المتمثلة في المغنين والمغنيات ، والخامس: في هجاء الدهر والدنيا والزمان تعبيراً عن سخطهم وتبرمهم منها ، والسادس : في هجاء المدن وأهلها والمرافق العامة .

أما الفصل الثالث فتناول الهجاء السياسي ، وجاء في مبحثين ، الأول : هجاء داخلي ،تحدثت فيه عن هجاء كبار رجال الدولة من الحكام والأمراء والوزراء ،وإبراز سياساتهم وفساد إداراتهم الداخلية ، وهجاء المتقاعسين عن الجهاد والمتعاونين مع الصليبيين ، وذم أمراء الشام الساعين إلى الانفصال عن الدولة وهدم وحدة الأمة ، وأنهيته

بهجـاء النزاعـات المتكـررة علـى الـساحة المـصرية حـول منـصب الـوزارة في نهاية العهد الفاطمي .

أمـا مبحثـه الثـاني فتحـدثت فيـه عـن موقـف الـشعراء وتـصديهم للغـزو الـصليبي علـى المـشرق العربي،وقـد اشـتمل هجـاء الـصليبيين علـى ذم عقائـدهم وشـعائرهم الدينيـة ، وذم قـادتهم وملـوكهم المهـزومين ، وهجـاء ألقـابهم وأوصـافهم ومـسمياتهم ، وأنهيتـه بـذم صـفاتهم الخُلقية الشائنة .

أمـا الفـصل الرابـع فتحـدثت فيـه عـن الخـصائص الفنيـة فـي شـعر الهجـاء ، وقـسمته إلـى أربعـة مباحـث ، الأول منهـا : بنـاء القـصيدة الهجائيـة ،والثـاني : اللغـة والأسـلوب ، والثالـث : الموسـيقا الـشعرية ، والرابع : الصورة الشعرية .

وقـد اعتمـدت مـادة البحـث علـى مـصادر عـدة أبرزهـا دواويـن الـشعراء أمثـال ابـن منيـر الطرابلـسي ، وابـن القيـسراني ، وابـن عنـين ، وابـن الـساعاتي ،و الـشاغوري ، وابـن سـناء الملـك ، وعرقلـة الكلبـي، وابـن دنينير، وابـن الخيـاط ، وأبـي اسـحق الغـزي ، وطلائـع بـن رزيـك ، وعمـارة اليمنـي وغيرهـا مـن الـدواوين المدونـة ، ومـن أبـرز المـصادر الأدبيـة التـي أفـدت منهـا فـي دراسـتي : كتـاب خريـدة القـصر وجريـدة العـصر قـسم شـعراء الـشام وقـسم شـعراء مـصر للعمـاد الأصـفهاني (ت 597) ،وكتـاب الروضـتين فـي أخبـار الـدولتين لمؤلفـه أبـو شـامة المقدسـي (ت 665) ، وعقـود الجمـان لابـن الـشعار الموصـلي (ت 654 هـ ـ) ، وفـوات الوفيـات لابـن شـاكر الكتبـي (ت 764 هـ ـ) ، فقـد اشـتملت علـى عـدد كبيـر مـن أسـماء الـشعراء المغمـورين الـذين لـم تطـرق أسـماؤهم سـمعي قبـل هـذه الدراسـة ، وغيرهـا مـن المـصادر المتعـددة التـي أفـدت منهـا فـي مجـال الدراسـة الفنيـة ،منهـا : كتـاب الـصناعتين لأبـي هـلال العـسكري (ت395هـ ـ) ، وخزانـة الأدب لابـن حجـة الحمـوي (ت837هـ ـ) ، وفـي توضـيح المعـاني كـان لـسان العـرب لابـن منظـور (ت711هـ ـ) مـصدري

الأساسي إضـافةً إلـى معـاجم أخـرى ومراجـع أخـرى دونتهـا فـي قائمـة ثبـت المصادر والمراجع .

وقـد أنهيـت الدراسـة بخاتمـة ذكـرت فيهـا خلاصـة النتـائج التـي توصـلت إليهـا فـي دراسـتي ، وذيلتهـا بمجموعـة مـن التوصـيات التـي ربمـا تكون لها فائـدة أمـام البـاحثين نحـو دراسـات مـستقبلية لتلـك الفتـرة الزمنيـة ، وأتبعـت الخاتمـة بملحـق لتـراجم أعـلام الـشعراء الـذين وردت لهـم أشـعار تتعلـق بموضـوع الدراسـة ، ثـم دونـت المـصادر والمراجـع المتنوعـة التـي استعنت بها في دراستي .

وبعـد ذلـك لا أقـول إلا مـا قالـه كاتـب نـور الـدين زنكـي وشـاعره العمـاد الأصـفهاني : " إنني رأيـت أنـه لا يكتـب إنـسان كتابـاً فـي يومـه إلا قال في غده، لو غير هـذا لكـان أحـسن ، ولـو زيـد كـذا لكـان يستحـسن ، ولـو قُدم هذا لكان أفضل ، ولـو تُـرك هـذا لكـان أجمـل ، وهـذا مـن أعظـم العبـر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر .

ولا يفـوتني أن أتوجـه بالـشكر العميـق والعرفـان بالفـضل **لـشيخي وأسـتاذي الكبيـر** الأسـتاذ الـدكتور / **حـسن محمـد عبـد الهـادي الـسراحنة** الذي أولاني من رعايتـه ، ومـا وهبنـي مـن علمـه وخبرتـه ، ومـا أسـداه إلـي من نـصح وتوجيهـات ، ومـا تفـضل بـه علـي وفـتح لـي مكتبتـه لإتمـام هـذا العمل ، فتـضاءلت معهـا جميـع المـشاكل التـي واجهتنـي ، فإليـه أُقـدم شـكري وامتنـاني وعرفـاني داعيـاً ا أن يمـد فـي عمـره ، ويـسبل عليـه ثـوب الصحة والعافية ويجزيه عني خير الجزاء .

وا تعـالى أسـأل ، أن يهـديني إلـى سـبيل الـصواب ويثبتنـي علـى الحـق قـولاً وعمـلاً ، وأن يجعـل عملـي خالـصاً لوجهـه الكـريم عليـه توكلـت وأنبت رب المستضعفين وناصر المظلومين .

وصلى ا على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

محمد يوسف غريب

التمـهـيـد

1. مفهوم الهجاء لغة واصطلاحاً .

2. الهجاء قبل عصر الزنكيين والأيوبيين .

مفهوم الهجاء :

يحتل الهجـاء مكانـة متقدمـة بـين فنـون الـشعر العربـي القديمـة ، فقـد قيـل : " إن بيـوت الـشعر أربعـةٌ فخـر ومـديح وهجـاء ونـسيب[1] ، أمـا ابـن رشـيق فيـرى أن الـشعر نوعـان " مـدح وهجـاء "[2] ، وشـاع فـن الهجـاء عنـد غالبية الأمم إلى جانب العـرب ، مـع تبـاين فـي التعبيـر عنـه فيمـا بينهـا ، مـا بـين منظـوم الكـلام ومنثـوره ، كمـا أنهـم اختلفـوا فـي أصـله ، فبروكلمـان يربطه باعتقادات النـاس القديمـة فـي الـسحر والجـن " وكـأن فـي يـد الـشاعر شعراً يقصد بـه تعطيـل قـوى الخـصم بتـأثير سـحري "[3] ، بينمـا يلمـح الـدهان إلى تـأثير الكهانـة فيـه ، فـي سـياق حديثـه عـن الـصورة التـي كـان الكهـان يلعنون بها الكفار بعد الانتصار عليهم في الحروب[4] .

وواضـح مـن الـرأيين وجـود أثـر للـسحر والكهانـة علـى الهجـائين ، وإن كنـا لا نميـل إلـى تلـك الآراء ، رغـم إيماننـا بوجـود الـسحر والجـن ، لأن القرآن أخبر بهما ، كمـا أن تأكيـد تلـك الأقـوال يتطلـب جمـع مـا قيـل فـي الهجـاء عنـد الأمـم الـسابقة ، ودراسـته وتحليلـه ، وهـو مـا يـصعب تحقيقـه ، لضياع تلك الآثار مع الزمن .

[1] - ابـن خلكـان ، **وفيـات الأعيـان** 321/1 ، الحمـوي ، **ثمـرات الأوراق** 77 ، المبـرد ، **الفاضل** 109 .
[2] - **العمدة** 122/1 .
[3] - **تاريخ الأدب العربي** 106/1 .
[4] - **الهجاء (سلسلة فنون الأدب)** 7 .

الهجاء لغة :

أما الهجاء في اللغة فمعناه الشتم بالشعر وهو خلاف المدح ، وقد أورد ابن منظور معان عدة لمادة " هجو " منها هجو يومنا : اشتد حره ، والهجاة : الضفدع ، وهجي البيت هجياً : انكشف ، وهجيتْ عين البعير : غارت ، وقال أبو زيد الهجاء : القراءة ، وقلت لرجل من بني قيس أتقرأ من القرآن شيئاً ؟ فقال وا ما أهجو منه حرفاً : يريد ما أقرأ منه حرفاً[1]، وذكر ابن فارس : هجاه : إذا وقع فيه بالشعر ، وذلك الشعر الهجو والهجاء : المهاجاة[2] .

فالمعنى اللغوي للكلمة مرن يزيد وينقص ، ومدلولها واسع ، يمكن أن يشمل غيرها من المعاني القريبة لها ، " فينبغي أن يتطور مع تطور الفنون الأدبية الأخرى حسب مقتضى الحال "[3] .

الهجاء اصطلاحاً :

كثرت المعاني التي وضعت لمصطلح الهجاء قديماً وحديثاً ، وعرفه ابن قدامة بقوله : " الهجاء ضد المديح ، فكلما كثرت أضداد المديح في الشعر كانت أهجى له ، ثم تنزل الطبقات على مقدار قلة الأهاجي فيها وكثرتها "[4] ، وهذا يشير إلى أن إبداع الهجاء يتوقف على مقدار إجادته للهجاء كماً ونوعاً .

---

1 - **لسان العرب** ، مادة (هجو) .

2 - ينظر : **مقاييس اللغة** 38/6 .

3 - يوسف ، خالد إبراهيم ، **الشعر العربي أيام المماليك ومن عاصرهم من ذوي السلطان** ص471 .

4 - **نقد الشعر** 113 .

أما محمد محمد حسين فعرفه بأنه " أدب غنائي يصور عاطفة الغضب أو الاحتقار أو الاستهزاء سواء كان موضوع العاطفة هو الفرد أو الجماعة أو الأخلاق أو المذاهب "[1] ، ووافقه في ذلك أحمد أمين من حيث كون الهجاء ناشئاً عن الغضب والاحتقار[2] ، فكلا الباحثين يظهر اتفاقاً حول دوافع الهجاء وأسبابه ، وما يحرك مشاعر الهجاء وأحاسيسه تجاه مهجوه .

وهناك من أطلق مصطلح الهجاء على الفن الأدبي القائم على قذف الأشخاص ، وبيان معايبهم ونواقصهم[3] ، ورفض أحد المحدثين توصيف الهجاء على أنه سب وشتم ، وإنما هو تعبير عما " يحمله الهجاء في داخله من معاناة إنسانية كبيرة ، وما يعتريه من إحساس عميق بالظلم والقهر والاضطهاد "[4] .

وركّز بعض القدماء في تعريفه لمصطلح الهجاء على ما يحققه من فائدة ، بقوله : " فالقصد من الهجاء الوقوف على ملحه ، وما فيه من ألفاظ فصيحة ، ومعان بديعة ، لا التشفي بالأعراض والوقوع فيها ، وليس الهجاء دليلاً على إساءة المهجو ، ولا صدق الشاعر فيما رماه به ، فما كل مذموم بذميم ، وقد يهجى الإنسان بهتاناً وظلماً أو عبثاً أو إرهاباً "[5] .

---

1 - **الهجاء والهجاؤون في الجاهلية** 5 .

2 - ينظر : **النقد الأدبي** 105 .

3 - ينظر : ابن طباطبا ، **عيار الشعر** 50-51 ، ثعلب ، **قواعد الشعر** 38 ، الجاحظ ، **الحيوان** 364/1 ، المبرد ، **الكامل في اللغة والأدب** 178/1 .

4 - جيدة ، عبد الحميد ، **قصيدة الهجاء عند دعبل الخزاعي وابن الرومي** 7 .

5 - الأبشيهي ، **المستطرف في كل فن مستظرف** 454 .

واختـار نقـاد مـصطلح التعـريض بـديلاً عـن الهجـاء ، ومـن أبـرزهم نقـاد القـرن الخـامس الهجـري فـي الأنـدلس الـذين أجمعـوا علـى اعتمـاد التعريض وأباحوا القول فيه[1] .

واعتمـده ابـن بـسام الـشنتريني بـدلاً مـن الهجـاء فـي نقـده لأحـد الـشعراء بقولـه : " فأضـربت عنـه رغبـة بكتـابي عـن الـشين ، وبنفـسي أن أكـون أحـد الهـاجين ، فقـد قـالوا : الراويـة أحـد الـشاتمين "[2] ، وهـو بـذلك ينـأى بنفـسه حتـى لا يـشارك الهجـاء فـي الـشتم ، ولا يتحمـل جـزءاً مـن وزره .

وأيـاً كانـت نظـرة النقـاد والبـاحثين لمـصطلح الهجـاء ، فإنـه يظـل صورة تعكس مظاهر الحيـاة فـي كـل زمـن وفـي كـل مجتمـع بجميـع جوانبهـا الاجتماعيـة والـسياسية والاقتـصادية والأخلاقيـة ، ومهمـا تعـددت أهدافـه فهـو صـورة للمجتمـع ، لـيس شـراً كلـه ، ولا خيـراً كلـه " فظـاهره هجـاء ولكنّـه في الحقيقـة إصـلاح ، وتهـذيب ، وتقـويم لكـل اعوجـاج فـي المجتمـع ، سـواء ما اتصل بالفرد أو ما اتصل بالجماعة "[3] .

وإذا كانـــت العاطفـــة عنـــصراً رئيـــساً يرســـم مـــن خلالهـــا الهجـــاء المـساوئ الخلقيـة ، وهـي فـي الوقـت نفـسه عنـصر رئـيس ، يرسـم مـن خلالها المـداح الفـضائل الخلقيـة ، فأميـل إلـى مـا ذهـب إليـه شـوقي ضـيف باعتبـــار " الهجـــاء الـــصحيفة التربويـــة المقابلـــة للمـــديح ، فالمـــديح يرســـم

[1] - ينظر : عبد الرحيم ، مصطفى عليان ، **تيارات النقد الأدبي في الأندلس** 335 .
[2] - **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** 313/2 .
[3] - ضيف ، شوقي ، **فصول في الشعر ونقده** 20 .

المثاليـــة الخلقيـــة لهـــذه التربيـــة ، والهجـــاء يرســـم المـــساوئ الفرديـــة ، والاجتماعيـــة التـــي ينبغـــي أن يـــتخاص منهـــا هـــذا المجتمـــع الرشـــيد "[1] ، لـــذلك أرى أن الهجـــاء كـــشف للعيـــوب ، وتعـــداد للمثالـــب فـــي الفـــرد والمجتمـــع ، وإبـــراز للنقـــائض ســـعياً للإصـــلاح والتوجيـــه ، ومـــا عـــدا ذلـــك ســـب وشـــتم لا يلتفت إليه .

وقبـــل الحـــديث عـــن الهجـــاء زمـــن الـــزنكيين والأيـــوبيين ، يجـــدر بنـــا أن نلقـــي نظـــرة مـــوجزة عليـــه قبـــل هـــذه الفتـــرة الزمنيـــة ، للوقـــوف علـــى اتجاهاته في العصور السابقة ، لمعرفة جديده خلال هذه المرحلة .

الهجاء قبل الزنكيين والأيوبيين :

كـــان عـــرب الجاهليـــة يرهبـــون الهجـــاء أفـــراداً وقبائـــل علـــى حـــد ســـواء ، ويعدونـــه مـــن وســـائل الـــصراع ، ويـــصف الأصـــمعي شـــعر الهجـــاء فـــي الجاهليـــة بأنـــه " نكـــد وبابـــه الـــشر ، فـــإذا دخـــل فـــي الخيـــر ضـــعف "[2] ، وعـــزي خـــوفُهم مـــن الهجـــاء أن يبقـــى فـــي الأعقـــاب ، ويـــسب بـــه الأحيـــاء والأمـــوات ، وبلغـــت رهبـــتهم منـــه إلـــى حـــد أخـــذ العهـــود والمواثيـــق علـــى الشاعر المأسور ، وربما شـــدوا لـــسانه بِنَـــسعة ، وهـــذا مـــا فعلـــه بنـــو تمـــيم بعبـــد يغوث المحاربي ، كما يظهر في قوله : " الطويل "

أقـــولُ وقـــد شـــدوا لـــساني بِنِـــسعةٍ   أمعـــشَرَ تـــيمٍ اطلقـــوا لـــي لـــسانيا[3]

---

[1] - **العصر العباسي الأول** 167 .

[2] - ابن قتيبة ، **الشعر والشعراء** 305/1 .

[3] - الضبي ، **المفضليات** 317 مفضلية رقم 30 ، الجاحظ ، **البيان والتبيين** 248/3/3 .

وكان الهجاء الجاهلي يدور حول ما ينقض مُثُل الجاهليين العليا ، وفضائلهم في حياتهم ، وما يفخرون به من شجاعة ونسب وكرم ووفاء ، وقد يتعدى ذلك إلى الطعن والقذف والتعريض بالأمهات[1] ، غير أن هجاءهم لم يرد في قصائد مستقلة ، بل جاء في ثنايا فخرهم وحماستهم وإشادتهم بأمجادهم ، وبدا معظمه شخصي يتصل بالقبائل وما بينها من خصومات ، وبذلك يكون في ظاهره موجهاً للشخص ، وهو في حقيقته موجه للقبيلة .

أما في الإسلام فكانت دعوة الرسول - صلى ا عليه وسلم - انقلاباً على قيم الجاهلية إلا ما توافق مع قيم الإسلام ، ومعها تغيرت نظرة الإسلام إلى الهجاء ، وصار إثماً إذا مس مسلماً أو استُخدِم لخَدش الدين ، بل واستحق قائله العقاب كما في قول الرسول عليه السلام :" من قال في الإسلام شعراً مقذعا فلسانه هدر "[2] ، ووضح عمر بن الخطاب مفهوم الهجاء المقذع في حواره مع الحطيئة بقوله: " إياك والمقذع من القول ؟ قال : وما المقذع ؟ فقال أن تخاير بين الناس فتقول: فلان خير من فلان ، وآل فلان خير من آل فلان "[3] ، وهذا يدل على اتجاه الهجاء اتجاهاً دينياً عند الشعراء ، وسلاحاً للرد على الكفار والدفاع عن الإسلام ، دون أن تذهب معانيه الجاهلية التي تعتمد على رمي الأنساب ، والنزعة العصبية ، وذم الجبن والاستسلام .

---

1 - ينظر : ضيف ، شوقي ، **الشعر في العصر الجاهلي** 201 .

2 - الهيتي ، أبو بكر، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** 123/8.

3 - الأصفهاني ، **الأغاني** 120/2 - 121.

وتغير اتجاه شعراء الهجاء في عصر الأمويين بعد عودة العصبيات القبلية ، وظهور الأحزاب السياسية وصراعها حول الخلافة ، ومعها " تحول فن الهجاء من فن وقتي متقطع إلى فن دائم مستمر"[1]، وتبدلت غايته من هجاء خالص إلى غاية جديدة ، هي " سد حاجة الجماعات العربية الحديثة في البصرة ، إلى ضرب من ضروب التسلية والترويح عن النفس ، وبخاصة بعد هدوء حركة الفتوح الإسلامية "[2] وسمي ذلك اللون من الهجاء بالنقائض ، وبني على التناقضات العامة ، وكان يحمل طابع السخرية والتهكم الذي يثير الضحك[3] ، وبذلك يكون الهجاء قد سلك اتجاهين في هذا العصر ، اتجاه سياسي ، والآخر شخصي اعتمد النقيضة شكلاً له.

أما مطلع العصر العباسي فقد انعكست النزاعات بين العرب والشعوبيين وغيرهم من المذاهب المختلفة على اتجاه الهجائيين من غير العرب ، فاتجه الشعوبي في هجوه للعرب منحى ينطلق عن عقدة كراهية دون أن يحفل الهجاء باختلاق سبب لهجائه مثلما فعل علي بن الخليل وأبو نواس[4] ، وفي القرن الثالث الهجري تعددت اتجاهات الهجاء ما بين شخصي واجتماعي وسياسي ، ومال الهجاؤون إلى الهجاء الساخر ، الذي طالت به ألسنة الشعراء أفراد الشعب كافة ، ولم يسلم أحد منه إلا

---

[1] - ضيف ، شوقي ، **التطور والتجديد في الشعر الأموي** 164.

[2] - المحتسب ، عبد المجيد ، **نقائض جرير والأخطل** 523.

[3] - ينظر : الهادي ، صلاح ، **اتجاهات الشعر في العصر الأموي** 163-164.

[4] - ينظر : الشكعة ، مصطفى ، **الشعر والشعراء في العصر العباسي** 174.

وكالوا لـه الهجـاء كـيلاً ، " ودفعهـم تنافـسهم إلـى أن يتبـادلوا الهجـاء ويريـشوا كثيراً من سهامه "[1].

ويبــدو أن الهجــاء فــي القــرن الرابــع الهجــري لــم تكــن دوافعــه شخصية ، ولا مذهبيـة ولا قوميـة ، بـل كـان فـي كثيـر مـن الأحيـان إرضـاء لهــذا الأميــر أو ذاك الحــاكم[2] ، ويتمثــل جديــد هجائيــه فــي ابتــداع القــصة الفكاهيــة التــي طالمــا تتوســلت بالألفــاظ الــساقطة والمعــاني الفاحــشة التــي تــضحك الــسامع ، وقيــل أن أبــا القاســم الحــسين بــن الحــسين المعــروف بالواســاني يمثــل هــذا الاتجــاه وعــده الثعــالبي " أحــد أفــضل المجيــدين فــي الهجـاء ، وكـان فـي زمانـه كـابن الرومـي فـي أوانـه "[3] ، وأرى رغـم تفـنن الشعراء فـي طرائـق عرضـهم ، وصـياغتهم توافقـا فـي اتجاهـات الهجـاء فـي القرنين الثالـث والرابـع الهجـريين مـن حيـث أسـاليبهم وتـراكيبهم ، فقـد ظـل الإزراء بضحاياهم همهم وغايتهم .

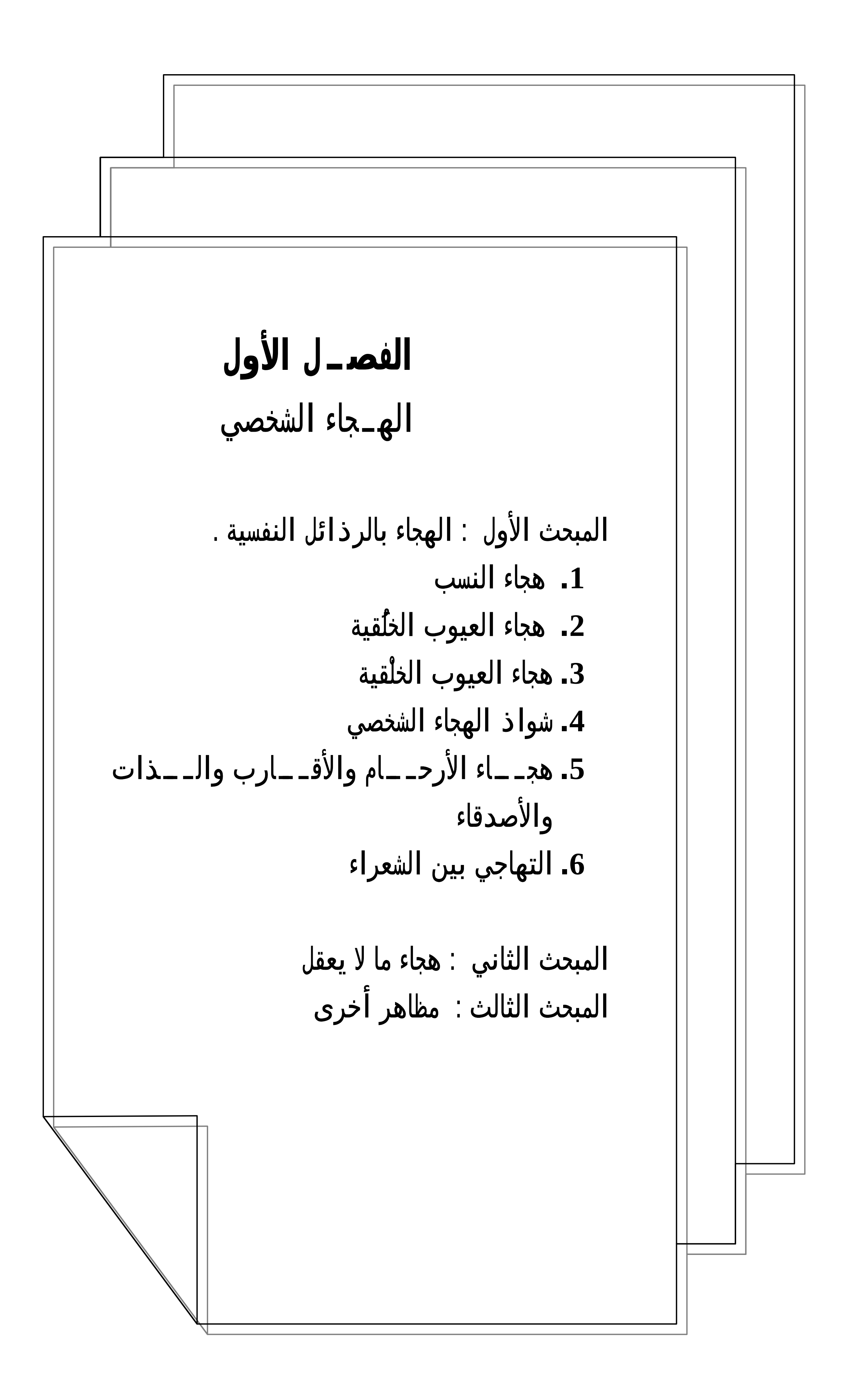
وحيــث ســيكون حــديثنا عــن اتجاهــات شــعر الهجــاء زمــن الــزنكيين والأيوبيين امتداد لمـا سـبقها وغيـر منقطـع عـن الفتـرات الـسابقة ، فلـيس ثمـة ما يدعو إلى إطالة القول عنه في هذا التمهيد.

---

[1] - ضيف ، شوقي ، **العصر العباسي الثاني** 210 .

[2] - ينظر : أبو حلتم ، نبيل خليل ، **اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري** 194.

[3] - **يتيمة الدهر** 349/1 .



الفصـل الأول

الهـجاء الشخصي

المبحث الأول : الهجاء بالرذائل النفسية .

1. هجاء النسب
2. هجاء العيوب الخُلُقية
3. هجاء العيوب الخلْقية
4. شواذ الهجاء الشخصي
5. هجـاء الأرحـام والأقـارب والـذات والأصدقاء
6. التهاجي بين الشعراء

المبحث الثاني : هجاء ما لا يعقل

المبحث الثالث : مظاهر أخرى

الهجاء الشخصي :

تناول شعراء مصر والشام في أهاجيهم الشخصية خلال تلك الفترة الزمنية المحددة كلّ ما يزري بالمرء ، ويحط من قدره ، ويذيب شخصيته ، فسلبوا فضائل مهجويهم ، فضائل ظل العربي يعتد ويتغنى بها طوال حياته التي عاشها في جوف تلك الصحراء القاحلة الموحشة ، ويتفاخر بها أمام خصومه ، وتمثلت تلك الفضائل في النسب والشجاعة والكرم ، وطهارة اليد ، وعفة النفس ، وصفاء السريرة وغيرها مما تكتمل بها مروءة الإنسان ، وحصرها قدامة بن جعفر في أربع وهي : "العقل والشجاعة والعدل والعفة "[1]، وزاد ابن طباطبا عليها ذاكراً المثل الأخلاقية التي بنى العرب عليها مدحهم وهجاءهم وجعلها في قسمين بقوله : " فالخلال المشهورة كثيرة ؛ منها في الخَلْق الجمالُ والبسطة ، ومنها في الخُلُق السخاء والشجاعة ، والحلم والحزم والغيرة ، والصدق ... وما يتفرع منها "[2] .

أما ابن رشيق القيرواني فيذهب مذهب العسكري ويوافق رأيه في تحديد مفهوم الهجاء الذي يعتمد بالدرجة الأولى على سلب المهجو فضائله النفسية في قوله : " وأجود ما في الهجاء أن يسلب الإنسان الفضائل النفسية ، وما تركب من بعضها البعض ، فأما ما كان في الخلقة الجسمية من المعايب ، فالهجاء به دون ما تقدم " [3] وحدد صدر

---

[1] - نقد الشعر 96.

[2] - عيار الشعر 50 .

[3] - العمدة 174/2.

الدين البصري ما يجب أن يتناوله الهجاء الشخصي منطلقاً في ذلك بنفس المنطلق الذي اتبعه سابقه (القيرواني) في قوله : " ما وصف به من بخل وجبن وسوء خلق ونميمة سمي هجاء "[1] .

ويرى عباس بيومي عجيلان " أن الهجاء الشخصي أصل الهجاء ، ومنه نما وتطرق إلى موضوعات أخرى ، فالإنسان في علاقته اليومية يصادف أشخاصاً يزور عنهم وأشخاصاً يقبل عليهم "[2] مما يشير إلى تعدد الدوافع التي تولدت عند الشعراء في نزوعهم إلى هذا اللون من الهجاء وهي كثيرة ربما تكون الحاجة والعوز أو الحقد والكراهية أو الخصومات بين الشعراء لما لهم من علاقات بأفراد المجتمع ، وما يشوب هذه العلاقات من منازعات شخصية تدفع الشعراء إلى ترجمتها بأشعار ينظمونها .

فما أبرز العيوب والرذائل التي ذمها الشعراء في مهجويهم خلال هذه الفترة الزمنية ؟

المبحث الأول : الهجاء بالرذائل النفسية :

1. هجاء النّسب :

يعد الطعن في نسب المهجو والتشكيك في أصله من أبرز ما تعرض له الشعراء في هجائهم ، وعُدت أعظم فضيلة نفسية اعتز بها العربي ودافع عنها وحرص على صونها ونقائها ، ولا غرابة في ذلك إذا عرفنا أننا في أمة تعير قضية الأنساب شرفاً عظيماً " وحسبك أنها

---

1 - **الحماسة البصرية** 4/1.

2 - **الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه الفنية** 162.

الأمة الوحيـدة التـي جعلـت مـن الأنـساب علمـاً يُؤلـف فيـه العلمـاءُ الكتـب "[1] فها هـو ذا ابـن عنـين يتنـاول الأم والأخـت فـي هجائـه للقاضـي الفاضـل ، إذ يقول : " المنسرح "

ذو طَـــرفين إذا نَـــسبتَهما يحــار فــي ذاك كــل ذي لــب

فَالأُخـتُ والأم مِـن بنـي شَـبقٍ[2] والأب والابــن مِــن بنــي كلْــبِ[3]

فالـشاعر سـلب مهجـوه نـسبه ، ونقـل لنـا صـورة مزريـة لتلـك الأم والأخـت فكلتاهمـا تنتـسبان إلـى شـبق ، فـي الوقـت نفـسه نـسب الأب والابـن لبني كلـب فـي إشـارة إلـى ضـعة نـسبه ، وبالتـالي يكـون المهجـو قـد ورث قـذارة أمـه وأختـه مـا جعلـه شخـصية غيـر سـوية لا تلائـم المنـصب الـذي يتقلده ، فالشاعر رمـاه فـي أصـوله وشـرفه ، " ولـيس أفحـش مـن هـذا القـول بالنسبة للعربي الذي يكاد لا يغتفر خطيئة الأصل "[4].

وممـن هجـاهم ابـن عنـين وغمـز فـي نـسبهم (ابـن سـيدة)[5] محطمـاً لــه عــن طريــق هــذه القيمــة الاجتماعيــة التــي يتفــاخر بهــا النــاس ، فيقول : " الكامل "

قُلْ لابن سـيدةٍ وإن أضـحى لـه خَـــولٌ[6] تُـــدِل بِكَثْـــرةٍ وخيـــولٌ

---

[1] - عبد الحليم ، عبد اللطيف ، **أدب ونقد** : 8.

[2] - شبق : المرأة الشبقة :المرأة السافلة . ينظر :ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (شبق).

[3] - **الديوان** : 184.

[4] - الحاوي ، إيليا ، **فن الهجاء وتطوره عند العرب** : 456 .

[5] - هو شمس الدين أبو طالب محمد بن عبد ا بن صابر السلمي ، عُرف بابن سيدة ، من أهل بيت كبير في دمشق من ذوي العلم والحديث والتصوف وقد توفي سنة 637هـ. ينظر:أبو شامة المقدسي، **ذيل الروضتين** 258/5،ابن العماد الحنبلي،**شذرات الذهب** 325/7-326 .

[6] - خول : خولُ فلان: أتباعه الذين يملك أمورهم. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (خول) .

ما أَنْتَ إلا كالعقابِ فأُمه معروفةٌ وله أب مجهولُ[1]

فابن عنين أزرى بابن سيدة ، وحطمه وجرده من كل فضيلة فأضحى بلا نسب معروف يلوذ به ويعود إليه ، فأشبهه بطائر العقاب أمُه معروفة وأبوه مجهول الأصل ، لأنها لا تقتصر في معاشرنها على رجل واحد ينسب إليه ، وبذلك يكون قد طعنه في شرفه ، ومعروف أن " العربي يفخر فخراً لا حد له بشرف نسبه ، ولم يحدث أبداً أن شعباً من الشعوب ، عدا العرب ، قد رفعوا مسائل أنسابهم إلى مرتبة العلم الصحيح وجلاله "[2] .

أما ابن دنينير فقد هجا الوالي المعتمد شحنة دمشق[3]، وشكك في أصله ونسبه في سباب عامي مُبتَذَل تناول فيه الآباء والأمهات ، إذ يقول : " الطويل"

نُسِبتَ إلى الحدباءِ زوراً وإنّما إلى بعلبك أنتَ تُعزى وتُنْسب
وقلتَ ابن موسى أي موسى ادعيتَه لأمك بعلاً أنتَ فيه تكذب
وإنك لم تعلم أباك من الورى فَتُعزى له يا خزي من ما له أب[4]

- [1] **الديوان** : 235 – 236 .
- [2] مكي ، الطاهر ، **امرؤ القيس حياته وشعره** 120.
- [3] الوالي المعتمد شحنة دمشق : إبراهيم بن موسى الأمير مبارز الدين العادلي المعروف بالمعتمد والي دمشق ، ولد بالموصل وقدم إلى الشام وخدم نائبها ، ولاه العادل شحنيكية دمشق فكان من أخْيَر الولاة وأعفهم نفساً وأحسنهم سيرة توفي سنة 623. ينظر: الصفدي ، **الوافي بالوفيات**151/6- 152 ، ابن كثير، **البداية والنهاية** 624/8 ،أبو شامة المقدسي، **ذيل الروضتين** 277/5 .

الشحنة : الحاكم العسكري أو محافظ المدينة ، أو نائب الملك أو رئيس الشرطة ينظر:الزبيدي ، **تاج العروس** مادة (شحن) .
- [4] **الديوان** : 608 .

فالشاعر اتهم مهجوه بالكذب ، ونفى عنه صحة ما ادعاه من نسبه إلى موسى بل جعل أباه مجهول الهوية بحيث لا يستطيع أن يميزه من بين الآباء .

وهذا أبو نصر بن الدندان يلجأ إلى الأسلوب الحواري للنيل من مهجويه والطعن في نسبهم ، ويبدو هذا الأسلوب قريباً من طريق المحادثة والقصة لما فيه من سؤال وجواب وحوار ونقاش ، وهو ما حمل بعض الهجائين على اتخاذه سبيلاً لفنية الهجاء[1] وقد اصطنعه الشاعر مستخدماً الحوار ، في قوله : " البسيط "

قالوا أَتَمدح أقْوامـاً وأُمهم ... من قد عرفْتَ فَتُطْغيهم بلا سببِ

فقلتُ لا تحرموني بالملامِ فما ... أشْفقتُ من هجوهم إلا على نسبي

لأن أُمهم ما فاتَها أحد ... فخِفتُ من أن يكونوا إِخْوتي لأبي[2]

فالشاعر يظهر حرصاً شديداً على صون عرضه وطُهر نسبه ، ومع ذلك فقد نسب والده إلى الخنا وقذفه بالزنا ، حيث اعتقد أن أباه أبوهم . وإذا كان إخوته من الأب فقد شاركهم اللؤم لأجل النسب ، وهذا يبعث في نفسه الخوف من ضعة نسبه وبخاصة من جهة الأم ، مما يجعله منبوذاً كما كان الحال عند العرب قديماً وهو ما عبر عنه في البيت الأخير .

[1] - ينظر : التميمي ، قحطان رشيد ، **اتجاهات الهجاء في القرن الثالث** 347 .

[2] - العماد الأصفهاني، **الخريدة(قسم شعراء الشام)** 456/2.

وقد غمز فتيان الشاغوري في نسب قاضٍ يُدعى الجمال المصري[1] دون أن يصرح باسمه علانية بذلك ، فيقول : " الخفيف "

ما الجمالُ المصري عِنْدِي إلا ذهب مثلُه يُسك ويُصرفْ
أمه مِصر فهي معرفةٌ لكن أبوه منكر ليس يعرفْ[2]

فالصورة التي رسمها الشاعر لمهجوه مزرية فقد جعل ظاهره جميلاً له قيمة كالذهب ، لكن سرعان ما حول تلك الصورة إلى صورة قبيحة تتمثل في معرفة حقيقة نسب جمال المصري التي لا يعرفها أحد إلا بعد البحث عن أصله ، وفي الوقت نفسه رمى أمه بالفحش حين جعلها مرتعاً للرجال فضاع نسبه فلا يُعرف أبوه من بين الرجال الذين واقعتهم أمه .

2. **هجاء العيوب الخُلقية :**

اتخذ الهجاؤون من الصفات الخلقية روافد غنية لأهاجيهم ، ينسجون منها صوراً ساخرة لإلحاق الأذى النفسي بمهجويهم ، ليقذفوهم بسهام غضبهم ، منفسين بذلك عن دخائل أنفسهم ، ومفصحين عما يعتمل في صدورهم تجاههم ، وكانت رذيلة البخل من أبرز الصفات التي لجأ

---

1 - هو يونس بن بدران بن فيروز جمال الدين المصري ، كان قاضي القضاة بدمشق ووكيلاً لبيت المال له شعر حسن توفي سنة 623هـ . ينظر:أبو شامة المقدسي، **ذيل الروضتين** 224/5 ، الأسنوي، **طبقات الشافعية** 246/2 ،الذهبي، **العبر** 192/3 ، ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة** 296/6 .

2 - **الديوان** : 280.

إليهـا الـشعراء فـي أهـاجيهم ، وقـد حـرص العربـي علـى البـذل لـضيوفه ، وعد ذلك مكرمـةً أخلاقيـة عليـه أن يـصنعها ولـو فـي أحلـك ظروفـه ، تجنبـاً لألسنة الهجائين ، ومـنعهم مـن ذمـه ، ونقـل ذلـك فـي الآفـاق حتـى لا يـصير ذكــره متــداولاً فــي أحاديــث الركبــان ، فيــصمونه بكــل عيــب ويــشوهون صـورته أبـد الـدهر ، " فـالعربي يقـوى بمدحـه ويـضعف بـسبته ، فـإذا كـان كرم العربي مظهر قوة وسيادة ، فبخله سبة ومذمة "[1] .

لقــد اســتخدم شــعراء مــصر والــشام كغيــرهم تلــك الرذيلــة لرمــي مهجــويهم بهــا ، فتخيــروا شــتى الوســائل وكافــة الألفــاظ المؤلمــة لإلــصاقها بهـم، وسـواء أكـان ذلـك حقيقـة أم بـاطلاً ؟ " وإن اقتـصر فـي هـذا العـصر على الاسـتخفاف والتقريـع واسـتهجان الخلـق الـسيء والفعـل القبـيح مـع رسـم الـصورة القبيحـة المـستهجنة أحيانـاً "[2] ، فهـذا ابـن الـساعاتي ينعـت مهجـوه بالبخل وهـو زاهـد بالمحامـد ، ويرميـه بـاللؤم ويـصفه بالأبلـه والجبـان وقـبح الــصورة ولــيس لــه مــن كــريم الــشيم ســوى صــفات العبــد ، فيقول : " الطويل "

وذي ثروةٍ مـا زالَ يرغـب فـي الخنـا ... ويزهـد فـي كَـسبِ المكـارمِ والحمـدِ
هـــو المـــرء لا يـــزداد إلا لآمـــةً ... ولو زوجـوه الحـور فـي جنـةِ الخُلْـدِ
عجبــتُ لِكفيــهِ ومــا بهمــا نَــدى ... وقد قيل إن المـاء فـي الحجـر الـصلْدِ
وأملـــت نِعمـــاه فلمـــا بلوتُـــه ... بليــت بممنــون النّــدى مقِــر الــوردِ[3]

---

[1] - التميمي ، قحطان رشيد ، **اتجاهات الشعر في القرن الثالث الهجري** 44.

[2] - الهيب ، أحمد فوزي ، **الحركة الشعرية زمن الأيوبيين في حلب الشهباء** 105 .

[3] - مقر : المقر : السم ، وقيل شجر مر ، وقيل هو الصبر نفـسه .ينظـر : ابـن منظـور ، لـسان العرب ، مادة (مقر) .

بأبلـه مـن ضـب وأجـبن مـن طلـي[1] وأبخـل مـن كلـبٍ وأقـبح مـن قـردٍ
ونـدعوه بـالمولى علـى كـل حالـةٍ ولكنـه يـأبى سـوى شـيم العبـدِ[2]

فالشاعر يصفه بصورة مزرية فلا كرم عنده وربما يكون الحجر الألماس فيه ذرةٌ من نعمة لم تكن عنده ، فطالب كرمه لا يحصل منه على شيء كوارد مِئْر الخلاء يجده بعد الرعاة خالياً .

أما هبة الله الإسواني ، فقد أظهر ندماً على وقت ضيعه في مدح قومٍ بخلاء لا يرى منهم سوى بشاشة الوجه وطيب الكلام ، فلما فقد الأمل من هبته ذمه بأسلوب ساخر متمنياً لو جعل شعره رثاء في كرام لبقي ذكره مع الأيام ، فيقول : " المجتث "

أتْعبـتُ نَفْـسي وفكـري في مـدح قـومٍ لِئـامِ
وغرنـي حسـن بِـشْرِ مِـنْهم وطيـب كـلامِ
فمـا حصلْتُ لـديهم إلا علـى الإعـدامِ
ولـو جعلْـتُ قريـضي مراثيـاً فـي الكِـرامِ
لحـزتُ ذِكـراً جميـلاً يبقـى علـى الأيـامِ[3]

وقد جعل أسامة بن منقذ رذيلة البخل داء استشرى فعم أرجاء كثيرة حتى صار شائعاً بين الناس ، يقول : " مجزوء الكامل "

قـل للرجـاء : إليـك ، قـد أتْعبتنـي بعـد الكِـرامِ
قَـد عـم داء البخـل حتْـ ـتَى شـاع فـي كـل الأنـامِ

[1] - طلي : الطلي الصغير من أولاد الغنم ، وإنما سمي طلياً لأنه يطلى أي تشد رجله بخيط إلى وتد أياماً . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (طلي) .
[2] - **الديوان** : 2/ 12 – 13.
[3] - العماد الأصفهاني،**الخريدة (قسم شعراء مصر)** 194/2 ، الأدفوي ، **الطالع السعيد** 703 .

فـ ـ ـ ـأكفهم بالبخـ ـ ـ ـ ـل مقـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـفلةٌ علـ ـى سـ ـحتِ الحطـ ـامِ[1]
فَـ ـ ـ ـإلام ترتـ ـ ـ ـاد المحـ ـ ـ ـ ـ ـو لَ[2] وترتَجـ ـ ـ ـ ـي ري الجهـ ـ ـ ـ ـامِ[3]

وسـلك الـشعراء مـسالك عـدة فـي تحطـيم مهجـويهم وكـشف أخلاقهـم الشائنة وقـد ذكروهـا فـرادى ، وربمـا جمعوهـا فـي مقطوعـة واحـدة كإفـشاء السر والغيبـة والكـذب ،وقـد جمـع محاسـن الـشواء تلـك الـصفات فـي هجـوه لأحد أصدقائه في قوله : " الخفيف "

لـي صـديقٌ غـدا وإن كـان لا ينـ ـ ـ ـ ـطقُ إلا بغيبـ ـةٍ أو محـ ـ ـال
أشـبه النـاس بالـصدى إن تُحدثْـ ـ ـ ـه حـديثاً أعـاده فـي الحـال[4]

فصديق الشواء كاذب مغتاب لا يحفظ سراً بل سرعان ما ينشره .

وتتكـرر صـفة النميمـة ونقـل الأحاديـث علـى لـسان ابـن الـساعاتي فيرسـم صـورة معبـرة لـشخص نمـام معتمـداً علـى المفارقـة القائمـة علـى الـسخرية وقـد الـتقط الـصورة مـن عـالم الحيوانـات التـي تنـشر الأمـراض المعدية ، فيقول : " الطويل"

أَحـط علـى مأكولـهِ مـن ذُبابـةٍ وأنقـل فـيهم للحـديثِ مِـن النمـل
بلاهـم بـه ا ُ القـوي فإنـه أشد من الطـاعون فـي زمـن المحـل
حـسام ولكـن للمـوداتِ حـسمه يـشام لإفـسادِ الأخِـلاءِ لا القتْـل

1 - سحت الحطام : كل حرام وخبيث فـي الـدنيا فـانٍ وزائـل . ينظـر : ابـن منظـور ، **لـسان العرب** ، مادتي (سحت ، وحطم) .
2 - المحول : مفردها محل ، وهي الجوع الـشديد ، والمحـول والقحـوط هـي احتبـاس المطـر . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (محل) .
3 - **الديوان** : 260. والجهام : السحاب الذي لا ماء فيه. ينظـر : ابـن منظـور ، **لـسان العـرب** ، مادة (جهم) .
4 - ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب** 311/7.

فَحَصلْ لـه نَعلاً يـزين أديمـه   فلا بـد للسيف الصقيل مـن النعـل[1]

فالمهجو نمام لا يتوقف عن نقل الحديث بين الناس ، فهو كالذباب في حركته وكالنمل في سعيه ، وإذاه أشد من الطاعون ، حاسم في الفتك والإفساد ، جميل المظهر سيء المخبر .

ومن العيوب الخلقية الخيانة والغدر ، وقد عبر عرقلة الكلبي عن شكواه من الناس الذين قلّ فيهم الأصدقاء وكثر فيهم الخائنون الغادرون ، إذ يقول :   " الكامل "

كَثُـر الخئـون وقلّـتِ الإخـوان   فـي القوم لا حسن ولا إحسان

يا ليتَ شِعري أين كُنْتُ مِن الدنى   والنـاس نـاس والزمـان زمـان[2]

وراح بعض الشعراء يستغل عيباً خَلْقياً في مهجوه فرسم له هيئة مضحكة ؛ ليزري به في تلك الصفة ، كما فعل القفطي حين جعل رجلاً أعور كثير الثرثرة بعين واحدة ولسانين، إذ يقول :   " السريع "

شـيخ لنـا يعـزى إلـى منـذر   مستقبح الأخـلاق والعـين

مـن عجـبِ البحـر[3] **فَحـدثْ بـه   بفـرد عـينٍ ولسانين**[4]

وعيب بعضهم بصفة اللؤم كما فعل الناجي المصري في مهجوه، إذ يقول :   " السريع "

---

[1] - **الديوان** : 72/2.

[2] - **الديوان** : 99.

[3] - وردت كلمة " الدهر " بدل " البحر " في **معجم الأدباء** لياقوت ينظر: 180/15. وأنا أميل إلى كلمة الدهر .

[4]- ابن الفوطي، **الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة** 186.

ما علم الدولة[1] إلا امرؤٌ ... لا يعرف الشكر ولا الحمدا

لو دخل الحمام من لؤمه ... في الصيف لم يعرقْ ولم يندا[2]

وتطرق بعض الشعراء إلى صفة النفاق كما فعل ابن الخل حين وصف مهجوه بأنه يشوب دينه بالنفاق والحقد والحمق ليقنع مستمعيه بكلامه في أسلوب عامي يفهمه الجميع ، إذ يقول : " الكامل "

ومن الشقاوة أنهم ركبوا إلى ... نزعات ذاك الأحمق النمامِ

شيخ يبهرج دينَه بنفاقِهِ ... ونفاقُه فيهم على أقوامِ

وإذا رأى الكرسي تاه بأنْفِهِ ... أي أن هذا موطني ومقامي

ويدق صدراً ما انطوى إلا على ... غِل يواريه بكف عظامِ

ويقول أيشُ أقولُ مِن حصرٍ[3] بهِ ... لا لازدحامِ عبارةٍ وكلام[4]

فالشاعر أزرى بهذا الواعظ وسلبه فضائله النفسية ، حين بين أن وعظ الناس لم يكن هدفاً حقيقياً له وإنما تستر به ليحتل منصباً لا أهلية له به .

وذهب بعض شعراء هذا العصر إلى إلحاق الأذى بالمهجوين من خلال أسمائهم فابن قلاقس يتحدث عن صفة النفاق في شخص اسمه علي ويسخر منه وقد شبهه بالماء يتلون في كل مرة ، لكنه ماء آسن كريه الرائحة ، إذ يقول : " الخفيف "

يا علي الذي دعوه علياً ... سمة أخبرتْ عن العلياءِ

---

1 - علم الدولة : شخص لم أهتد إلى ترجمته .

2 - ابن العماد الأصفهاني، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 103/2.

3 - حصر : ضرب من العي ، وحصر الرجل : لم يقدر على الكلام . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (حصر) .

4 - الصفدي ، **الوافي بالوفيات** 303/7 .

أنــت كالمــاء غيــر أنّ لَــستَ تَــصفُو   وقبــيح بالمــاءِ تَــرك الــصفاءِ
أي فَـــضلٍ للأصـــدقاءِ إذا كنـــــ   ـــت تَــراهم بِحالــة الأعــداءِ
قــد تَلونْــتَ أيهــا الــشمس حتــى   قُلــتُ أنْــتَ حِلْــدةَ الحربــاءِ[1]

ومـن العيـوب الخلقيـة صـفة الطمـع اتخـذها الـشعراء سـبيلاً لـلازدراء والـسخرية كمــا فعــل عرقلــة فــي وصــفه لطمــاع يــدعى ابــن ثريــا ، فيقول : " السريع "

لا تَــر قُــدن وابــن ثريــا معــاً   فإنّـــه أطمـــع مـــن أشـــعب
كـــم دب كـــالعقرب ســـكرا ، وكـــم   قـــد قتلـــوه قِتلـــة العقـــرب[2]

وقـد ذم شـعراء هـذه الفتـرة بعـض الـسلوكيات الـسيئة فـي أصـدقائهم، وأظهــروا مــنهم تبرمــاً لتقلــب أمــزجتهم ، وصــوروا حيــرتهم فــي كيفيــة التعامل معهـم ، فـلا الزيـادة تقربـك مـنهم ولا البعـد يـسلمك مـن لـومهم وفـي ذلك يقول الأمير يغمر بن عيسى : " البسيط "

وصــاحب لا أعــاد الــدهر صــحبتَه   صــحِبتُه وأراه شـــر مـــن صـــحِبا
لا يــستقيم علـــى حـــالٍ فأعرفُـــه   ولا يفـــوه بخيـــر ، جـــد أو لعِبـــا
إن زرتُـــه قاضِـــياً حـــق الإخـــاءِ لـــه   غـــاب احتجاجـــاً وإن أهملتَـــه عتِبـــا
وإن تَنَـــصلتَ ممـــا قـــالَ معتَـــذِراً   أبـــى القبـــولَ ، وإن عاتَبتَـــه غَـــضِبا[3]

واتخـذ بعـضهم نقـض العهـد رافـداً يـصب فيـه حممـاً علـى مهجـوه ، وساواه مع اليهود فيهـا وجعلـه صـفة متأصـلة فـي نفـسه ، كمـا فعـل سـليمان بن بليمان يُعرض بشخص اسمه البهاء ، فيقول : " الكامل "

---

[1] - **الديوان** : 122 .

[2] - **الديوان** : 14.

[3] - العماد الأصفهاني، **الخريدة(قسم شعراء الشام)** 390/1.

لا تطلبن من البهاء مودةً فلقد ثنتْه عن الجميل جدود
واعذره إن خان الوداد وضيعتْ يوماً لديه مواثقٌ وعهود
فشعاره أن لا يفي لخليله ومتى وفَتْ للمسلمين يهود[1]

فالغدر ونقض العهد صفة متجذرة في البهاء ورثها كابراً عن كابرٍ كما توارث أبناء اليهود غدرهم عن أجدادهم .

وقد وجد الشعراء في الألقاب محركاً لقرائحهم لإيقاع أشد الأذى بمهجويهم ، متخذين من كل لقب قبيح أداة للسخرية والتحقير وهو أسلوب استخدمه أصحاب النقائض فهذا نجم بن أبي درهم الحلبي يتخذ من بني نفاية سبيلاً لهجائهم ، فيقول : " الكامل "

أبني نفايةَ إن سعدكُم جاءتْ بهِ الأيام عن غلَطِ
قد صار هذا الناس أكثرهم سقطاً فكيفَ نِفَايةُ السقَطِ[2]

وقد وُجد من الشعراء من بالغ بهجوه ، فأزرى بمهجويه وجردهم من جميل فضائلهم النفسية ، وحط من شأنهم فجمع لهم ، كما فعل ابن المسجف حين هجا قوماً فرماهم بالجبن ، واللؤم ، والبخل رغم محاولاتهم سترها بما يملكون من ثراء ، فيقول : " الكامل "

يا رب كيفَ بليتني بعِصابةٍ ما فيهم فَضلٌ ولا إفْضالٌ
متنافري الأوصافِ يصدقُ فيهم الـ ـهاجي وتكذب فيهم الآمالُ
غطّى الثراء على عيوبِهِمِ وكَم من سوءةٍ غطّى عليها المالُ
جبناء ما استنجدتهم لِملمةٍ لؤماء ما استَرفَدتَهم بخّالُ

---

[1] - ابن الشعار ، **عقود الجمان** 67/2 – 68 .

[2] - العماد الأصفهاني،**الخريدة (قسم شعراء الشام)** 182/2.

فوجـوههم عـوذٌ[1] علـى أمـوالهم وأكفّهـم مـن دونهـا أقْفـالُ
هـم فـي الرخـاء إذا ظفـرت بنعمـةٍ آلٌ ، وهـم عِنْـد الـشدائد آلُ[2]

ويطـول بنـا الحـديث عمـا تناولـه الـشعراء مـن مـساوئ خلقيـة فـي مهجويهم ، فلم يـدعوا رذيلـة إلا أتـوا بهـا لتحطـيمهم ، وقـد وصـل بهـم الأمـر إلـى الفحـش الـذي يخـرج عـن حـدود اللّياقـة الأدبيـة ، فعمـدوا إلـى ذكـر الألفـاظ النابيـة والـصور الفاضـحة التـي تجعلنـا وغيرنـا نترفـع عـن ذكرهـا[3] وهي صور تفقـد الهجـاء قيمتـه كمـا يقـول الجرجـاني " أمـا القـذف والإفحـاش فـسباب محـض ، ولـيس للـشاعر فيـه إلا إقامـة الـوزن ، وتـصحيح الـنظم "[4] إذ ينبغـي علـى الـشاعر أن ينـأى بنفـسه عـن الفحـش والإقـذاع ويلجـأ إلـى الـسخرية والتعـريض ففيهمـا قيمـة الهجـاء كمـا يقـول أحمـد الـشايب : "ويحـسن أن يبـرأ الهجـو مـن الفحـش والـسباب وأن يخـرج مخـرج الـسخرية والتعريض مـع قـرب المعـاني وسـهولة الحفـظ "[5] وقـد يكـون الفحـش الـشعري محل نقـد وذم مـن العلمـاء كمـا يقـول المظفـر العلـوي : " وينبغـي للـشاعر أن يتعفـف فـي شـعره ، ولا يـستبهر بـالفواحش ولا يـتهكم فـي الهجـاء ، فـإن العلماء ذموا من اعتمد ذلك ومن كان يتعهر ولا يتستّر "[6] .

---

[1] - عوذ : رقيا يرقى بها . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (عوذ) .
[2] - الكتبي ، **فوات الوفيات** 284/2.
[3] - ينظر: على سبيل المثال نماذج من هجاء - ابن عنين ، ديوانه صفحات 180 ، 181 ، 183 ، 186، 187 ، 190 ، فتيان الشاغوري ، **ديوانه** : صفحات 259 ، 260 ، ابن سناء الملك ، ديوانه : صفحات 473/2 ، 478 ، 479 ، 488 .
[4] - **الوساطة بين المتنبي وخصومه** 24 .
[5] - **الأسلوب ، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية** 88 .
[6] - **نَضرةُ الإغريض في نصرة القريض** 393 – 394 .

3. هجاء العيوب الخَلقية :

لم يتوقف هجاء الشعراء على التعريض بالفضائل الخُلقية والنفسية بل تعدوه إلى هجاء العيوب والنواقص الجسدية ، ومن خلال مطالعتنا لهذا اللون من الهجاء فقد عمد الشعراء إلى رسم صور ساخرة لبعض أجزاء مهجويهم البدنية ، يقول رشيد القحطاني : " إن، توجيه الشعراء الهجاء بشكل واسع نحو العيوب البدنية في الإنسان ، إلى جانب توجيهه نحو العيوب النفسية ، دليل واضح على أنهم ينشدون الكمال والجمال لدى الآخرين في الناحيتين الشكلية والنفسية "[1] لكن معظم النقاد يجمعون على أن أولوية الهجاء وأفضله يكون بالفضائل النفسية وفي ذلك يقول حازم القرطاجني " فأما خلقة الإنسان وصورته فليس في قدرته نقل شيء منها عما وجد عليه ، فحمد الإنسان بما يستحسن من هذا القبيل مخادعة له ، وذمه بما يستقبح من ذلك تحامل عليه "[2] .

وأبرز العيوب الجسدية التي تناولها شعراء هذه الفترة الزمنية اللّحى فقد رسموا لأصحابها صوراً كاريكاتورية ساخرة تثير الضحك وتحط من قدر صاحبها ، وتشوه صورته الإنسانية وتذهب وقاره ، فقد عدت اللحية مظهراً للوقار والتدين منذ أمد بعيد فها هو ابن سناء الملك يعرض برجل يدعى ابن عمر ويصور لحيته كمروحة الجيش تجلب لهم

---

[1] - **اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري** 60 .

[2] - **منهاج البلغاء** 169 .

الـريح فـي المكـان الـذي يحتـاج إليـه الجنـد للتـرويح مـن الحـر ، فيقول : " الخفيف "

عرضـتْ لحيـةُ ابـن عمـرو كمـا طـا لـتْ فَحلْقـاً لهـا وسـحقاً وبعـدا
إنمـا أصـبحت كمروحـةِ[1] الجيـ ـش حكتهـا لونـاً وشـكلاً وبـردا[2]

ومـن الـصور التـي رسـمها الـشعراء لمهجـويهم بهـدف الـسخرية والتهكم وإثارة الضحك ، مـا فعلـه ابـن قلاقـس فـي رجـل عظـيم اللحيـة حـين هجـاه مـستخدماً ألفاظـاً معبـرة تقـوم علـى المفارقـات وتبـرز المعايـب ، إذ يقول : " مجزوء الرمل "

جاءنَـا يحمِـلُ ذَقْنَـاً حـسبك الله وحـسبي
شَـعرها لـو كـان شِـعراً كـان مِثْـلَ المتنبـي
تَركَـتْ صـدرته الـسوداء منهـا تحـت قـب[3]
وهـي فـوق الـصدر قـد سـدتْـه مـن شـرقٍ لغـربِ
لحيـةٌ ردتـه فـي النـاس ولا ضـرطَةُ وهـبِ[4]

فالـشاعر يثيـر الـضحك للمنظـر الـذي رسـمه لطـول تلـك اللحيـة الممتـد بين الـشرق والغـرب ، فاكتـسب صـاحبها شـهرةً كمـا اشـتهر وهـب بـضرطته التي ذاع ذكرها في كتب الأدب .

---

1 - المروحة : بالفتح المفازة ، وهي الموضع الذي تخترقه الريح . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (روح).
2 - **الديوان** : 475/1 وللاستزادة في هجاء كبر اللحية ينظر: **ديوان الزمخشري** 460.
3 - قب : الرأس الأكبر. ينظر: ابن منظور **، لسان العرب،** مادة (قبب).
4 - **الديوان** : 376 . ووهب : شخص لم أهتد إلى ترجمته .

أما علي بن عرام الأسواني فيصور هاجياً لحية أحد الشعراء في كبر حجمها ، ويشبهها بلحية تيس مستخدماً ألفاظاً فاحشة خارجة عن حدود اللياقة الأدبية ، إذ يقول : " مجزوء الرجز "

شَاعِرنا ذو لحيةٍ قد عرضتْ وانفسحتْ
لحيةُ تَيسٍ صلُحتْ لفقحةٍ[1] قد سلحتْ[2]

وقد تناول شعراء مصر والشام الأنوف في هجائهم ، فأعادوا رسم صورتها سخريةً واستهزاء بأصحابها ، وأشعارهم في ذلك كثيرة فهذا ابن قادوس يصور بشاعة أنف مهجوه ، وشدة ارتفاعه بحيث يكاد من شدة طول أنفه أن يصل نجوم السماء ، وأزرى به حين جعل من يراه يستعيذ منه رغم أنه من خلق ا ، فيقول : " البسيط "

عليك لا اـك أنفٌ ظل مشترفاً حتى غدا بنجوم الأفْق ملتَصقا
فلا تقل خِلقةُ ا ازدريتَ بها فقد يعاذُ به من شر ما خلقا[3]

وهذا ابن الساعاتي يهجو رجلا يدعى السديد معبراً عن ضخامة أنفه ، بقوله : " مجزوء الكامل "

يا مانعي صفو الوصال ومانحي كدر الصدود
ما ضاقت الدنيا عليـ ـي وقد حوتْ أنف السديد[4]

---

1 - الفقحة : حلقة الدبر . ينظر: ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (فقح) .

2 - ينظر:العماد الأصفهاني، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 172/2، الأدفوي ، **الطالع السعيد** 380 .

3 - العماد الأصفهاني،**الخريدة (قسم شعراء مصر)** 234/1.

4 - **الديوان** : 232/1. والسديد : هو السديد الفاضلي المكي .وهو شخص اشتهر بكبر أنفه . ينظر : ابن العماد الحنبلي ، **شذرات الذهب** 260/6 .

ورسـم إبـراهيم الـشيباني صـورة بـشعة لـصاحب أنـف كبيـر يـضيع فيه فيـل مـن ضـخامته ، وصـوت شـخيره كبـوق إسـرافيل يبعـث الفـزع فـي نفس سامعه ، إذ يقول : " الخفيف "

.... أنـــــف عظـــــيم	**فــي خياشــيمه يــضيع الفيــلُ**
ولأنفاســـه صـــفير إذا مــا	**ســمعتْ فيــل قــام إســرافيلُ[1]**

وتعـد حدبـة الظهـر مـن العيـوب الجـسدية التـي تناولهـا الـشعراء ، وربما قـصدوا منهـا التنـدر والإضـحاك والطرافـة ، فهـذا ابـن الـذروي يجعـل مـن حدبـة الظهـر – علـى سـبيل الـسخرية – مظهـراً مـن مظـاهر الحـسن والجمـال فيـشبهها بـالظلال والقـسي الـصلبة التـي لا تلـين ، والهـلال مقـوس ولا جمــال فــي تقوســه وإنمــا الجمــال فــي تمامــه ، وفيــه يقول : " الخفيف "

لا تظــنن حدبــةَ الظهــرِ عيبــاً	**فهــي لِلحــسن مِــن صــفات الهــلال**
وكـــذاك القـــسِي محـــدودِباتٌ	**وهــي أَنْكــى مــن الظّبــى والعــوالي**
وأَرى الانْحِنَــاء فــي مِنْــسر الكـــا	**سِــر يلقــى ومخْلَــبِ الرئْبــال[2]**
وتَعجلْــتَ حمــلَ وزرك فــي الظهـــ	**ـــر فأَمنَــاً فــي موقِــفِ الأهــوال**
إن حمــلَ الــذنوبِ أهــون فِــي الدنـــ	**ـــيا علـــى أنـــه مِـــن الأَثْقَـــال**

فظـاهر الأبيـات يـوحي بالحـسن والجمـال والمـدح لكـن باطنهـا قـدح ، وهو ما سـماه صـاحب خزانـة الأدب الهجـو فـي معـرض المـدح بقولـه " وهـو

---

[1] - ابن الشعار ، **عقود الجمان** 154/1.

[2] - العماد الأصفهاني، **الخريدة (قسم شعراء مـصر)** 188/1،أبـو شـامة المقدسـي ، **الروضـتين** 69/3 .

أن يقـصد المـتكلم هجـاء إنـسان ، فيـأتي بألفـاظ موجهـة ظاهرهـا المـدح وباطنهـا القـدح ، فيـوهم أنـه يمدحـه وهـو يهجـوه "[1] ويظهـر قـول صـاحب الخزانـة حـين يمـضي فـي هجائـه فيجعـل النـساء مفتونـات بحدبتـه متمنيـات أن يكون لكـل رجـل حدبـة ويُنهـي ابـن الـذّروي سـخريته معبـراً عـن شـوقه الدائم لرؤية صديقه ولو في الأحلام ، فيقول : " الخفيف "

فَأَتَـتْ ربـوةً علـى طَـودِ جِلْـدٍ — منـك أو موجـةً ببحـر نـوال

مـا رأتْهـا النِـساء إلا تمنـتْ — لـو غـدت حِليـةً لكـل الرجـال

وإذا لـم يكـن مـن الهجـر بـد — فَعَسى أن تزورنـي فـي الخَيـال[2]

وهـذه صـورة أخـرى يرسـمها أبـو المكـارم هبـة ا بـن مقلـد المـصري لرجـل أحـدب يـسخر منـه ويـشبهها بفـارة نجـار ، إذ يقول : " السريع "

انظـر إلـى الأحـدبِ مـع عِرسِـهِ — وهـي علـى الجبهـةِ مبطوحـه

كأنـه لمـا عـلا ظَهرهـا — فـارةُ نجـار علـى شـحطه[3]

وفـي إطـار هجـاء العيـوب الجـسدية ، فقـد أمعـن الـشعراء فـي سـخريتهم واسـتهزائهم بمهجـويهم ، وعمـدوا إلـى تـضخيم عيـوبهم

---

[1] - ابن حجة الحموي 275/2 .

[2] - العمـاد الأصـفهاني، **الخريـدة (قـسم شـعراء مـصر)** 188/1 ، أبـو شـامة المقدسـي ، **الروضتين** 69/3 .

[3]- العماد الأصفهاني، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 150/2 . وشحطة : الشحط : أثر الخدش . ينظر: ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (شحط) .

مـستخدمين المفارقـة اللفظيـة التـي تثيـر الـضحك كمـا فعـل ابـن المـسجف العسقلاني عندما هجا شخصاً بخيلاً أحولَ ، فيقول : " الخفيف "

وغريـــرٍ كأنّـــه غـــصن تـــينٍ أحـــولٌ المقلتـــين مـــر لمـــاه
قلـتُ : مـا الاسـم قـد أطـالَ عنـائي قـال : مـسعود ، قلـتُ مـن لا يـراه[1]

ويبـدو لـي أن هنـاك عوامـل دفعـت الـشعراء للجـوء إلـى هـذا النـوع من الهجـاء ربمـا ضـعف الـوازع الـديني يكـون واحـداً منهـا ، لأن مـن يقـرأ قولـه تعـالى **ولا تلمـزوا أنفـسكم ولا تنـابزوا بالألقـاب** [2] لا يكثـر مـن هـذه الـسخرية المفرطـة ، ويـضاف إليهـا أسـباب نفـسية منهـا : وصـف المهجـو بـالنقص ويمكـن أن نلحـظ ذلـك عنـد عرقلـة الكلبـي يـصف نفـسه بأعور الدجال لعورٍ به ، فيقول : " مجزوء الرمل "

لـــي حبيــــب قــــده قُـــد مـــن الـــسمر الرقـــاق
مـــــن رآه ورآنــــــي قــــال ذا غيــــر اتفـــاقي
أعــــور الــــدجال يمــــشي خلـــف عـــوج[3] **بـــن عنـــاق**[4]

وقـد اتخـذ الـشعراء مـن سـواد البـشرة دربـاً للمداعبـة والتنـدر قـد تـصل إلـى الفحـش والقـدح بـالمهجو ، ويجعلـون لـه صـورة قبيحـة ، وللقاضي الفاضـل مقطوعـة يهجـو فيهـا صـديقاً أسـود البـشرة ، فيـصور تغيـر

---

[1] - الكتبي ، **فوات الوفيات** 248/2.
[2] - **الحجرات** : 11 .
[3] - عوج بن عناق:رجل من اليهود يقال إنه يظهر آخر الزمان وهـو أعـور ، وفـي الأسـاطير أنـه طويل عجيب ، وقيل إنـه عـاش زمـن موسـى ومـات علـى يديـه . ينظـر : الـسيوطي ، **الحاوي للفتاوي** 341/2 .
[4] - **الديوان** : 67 .

ســـواده لمـــا شـــاب بفـــأرة تمرغـــت فـــي دقيـــق ،

فيقول : " مشطور السريع "

صـــديقنا قُـــبح مـــن صـــديق

ميـــسر الأخـــلاق للعقُـــوق

وفاءِـــد العِـــرض علـــى الطريـــق

ســـواده والـــشيب فـــي التحقيـــق

تمـــرغَ الفـــأرةِ فـــي الـــدقيق[1]

وقـد عمـد الـشعراء إلـى تحطـيم مهجـويهم ، فـأزالوا عـنهم كـلّ مـا يجملهم فجمعوا لهم في بيـت واحـدٍ أكبـر عـدد مـن عيـوبهم الجـسدية كمـا فعـل أبو الفـضل جعفـر الحمـوي حـين هجـا يهوديـاً فجعلـه أقـبح النـاس صـورة ، وأشـدهم تنـافر خلقـة ، قـصير القامـة ، طويـل اللحيـة ، بـارز الأنـف ، إذ يقول فيه : " الخفيف "

لحيـــة طولهـــا ذراع ، وأنـــفٌ   طـولُ شـبرٍ ، وقامـة طـول إصـبع[2]

ومـا أكثـر الـصور الـساخرة التـي رسـمها الـشعراء لمهجـويهم فهـي كما يقـول محمـد كامـل حـسين : " تُهـم تلـصق بـالمهجو ، أو تجـسيم صـفات قبيحة تلحق به للزرايـة بـه وإيذائـه والنيـل منـه "[3] وقـد تحولـت تلـك الـصور إلى رسم كاريكاتوري تـذكر بـابن الرومـي كمـا فعـل أبـو محمـد عبـد ا بـن الطباخ يصف رجلاً ، بقوله : " الكامل "

قـصرت أخادِعـه وغـاض قذالـه   فكأنّـــه متوقّـــع أن يـــصفعا

---

[1] - **الديوان** : 426/2.

[2] - ابن ظافر الأزدي ، **بدائع البدائه** 109.

[3] - **دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين** 167.

وكأنّه قد ذاق أول درةٍ وأحس ثانية لها فتجمعا[1]

ولم يسلم الثقلاء من تعريض الشعراء بهم ، وهذا يدل على ضجرهم من هذه الصفة فقد اتخذوهم ميداناً للفكاهة والسخرية ، ورسموا لهم صوراً بغرض الإضحاك ولأبي معروف بن أبي محمد اللخمي صورة لثقيل ، يقول فيها : " المتقارب "

ثقيلٌ تَراه إذا ما مشى تئن له الحوت مهما وطٍ[2]
فلو أُدخلَ النار من ثقله لقالت جهنم منه قط[3]

أما ابن الساعاتي فيجعل الزلزال لا يمتلك القدرة على تحريك مهجوه من ثقله ، وقد أزرى به في هيئته ، فهو ثقيل الوزن لكنه قليل الفهم ، وفيه يقول : " السريع "

مدع تكذّبه نفسه عندي ذكاء وهو عين البله
قاتله ا ُ أديباً فما أخفّه رأساً وما أثقله
لو زلزلت ناحيةٌ حلّها ما حركتْ منزله الزلزله[4]

وغدت الشوارب عند الشعراء مادة للتفكه والدعابة ، ومدخلاً لتقبيح المهجو وتشويه صورته ، فقد جعل ابن قادوس مهجوه كالغراب في سواد لحيته وشعر شاربه ، ويكون بذلك قد قبحه من جهتين في لحيته وشاربه في قوله : " مخلع البسيط "

---

[1] - العماد الأصفهاني،**الخريدة (قسم شعراء مصر)** 98/2 – 99 .

[2] - وط : وطي ، وطيته وطياً : لغة : أي وطئته . ينظر: ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (وطي) .

[3] - ابن الشعار ، **عقود الجمان** 130/3. وقط : حسب ويكفي . ينظر: ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (قطط) .

[4] - **الديوان** : 249/1.

ذو عــارض كـــالغراب لونــــاً وشــاربٍ مثــل ريـش ببغــا[1]

وسـلك الـشعراء خـلال هـذه الفتـرة فـي هجـائهم مـسلكاً يـشوه الـصورة الآدميـة التـي أبـدع المـولى – جـل وعـلا – صُـنعها ، فـشبهوها بالحيوانات التـي تنفـر منهـا النفـوس وتـزور منهـا العيـون ، وفيـه حـط مـن قيمة المهجو ، وتنـدر بـه وسـخرية وتهكـم وضـحك منـه ، ليـذيع ذكـره علـى الأفواه فتبتسم إشفاقاً عليـه حينـاً وانتقامـاً حينـاً منـه آخـر[2] ، وممـن سـلك هـذا الطريق ابـن قلاقـس الـسكندري حـين صـور وجـه رجـل يـدعى ابـن عـدلان بوجه حمار وجعل لحيته مخلاة علقت به ، فيقول : " الخفيف "

يــا بــن عــدلان يــا أخـس الرجــال والــذي تــستحق نتــف الــسبال
لــك وجــه الحِمــار لكــن عليــه لحيــةٌ علقــت كــبعض المخــالي[3]

ويعيــب فتيــان الــشاغوري علــى أحــد الكتــاب شــعره الركيــك ، ويــصفه بــصفات نابيــة ، ولا يجــده إلا كالخنــافس إذا مــا أراد المنافــسة فــي الشعر ،فيقول : " الطويل "

ومــا الــثّلج فــي كــانون يهمــي ربابــه مليثــاً علــى هــضبي ســنير ولبنــان[4]
بــأبرد مــن شــعرٍ ركيــكٍ تلوكــه كلوك ... فكيـف أيـا بـن المـذَيتاني[5]

---

[1] - العماد الأصفهاني،**الخريدة (قسم شعراء مصر)** 234/1 .
[2] - ينظر: الدهان ، سامي ، **الهجاء (سلسلة فنون الأدب)** 41.
[3] - **الديوان** : 271.
[4] - سنير : جبل النبك ، إحدى جبال لبنان ، الرباب ، الغيم والسحاب . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (ربب) ، الماث : المطر بغزارة ينظر: **لسان العرب** مادة (ماث) .
[5] - المذيتاني:لم أقف له على ترجمه.

قـــريض يـــسد النـــاس مِنْـــه أنـــوفهم   كأنـــك فـــي تكتيلـــه بنـــت وردان[1]

فهو يحقر مهجوه حين يشبهه بفصيل من الخنافس.

وصـور الـشواء مهجـوه صـورة قبيحـةً فجعـل طلعتـه وهـو مقبـلٌ علـى بغلته كأنه قرد يتسلق رابية ، فيقول :   " المتقارب "

أتَـــى فـــوقَ بغلتـــهِ لِلحـــسابِ   فرحـــتُ وقـــد قلـــتُ قـــولَ الـــصوابِ

أشـــبهه وهـــو مِـــن فوقهـــا   بقـــردٍ تـــسنّم[2] إحـــدى الروابـــي[3]

وربمـا عبـر بعـض الـشعراء عـن غـضبه وعـدم رضـاه عمـن وجـه إليه نقده ، فجمـع فـي شـعره لمهجـوه عيوبـاً خُلقيـة وخَلقيـة ، ولعرقلـة الكلبـي ضرب من ذلك حين يهجـو مـن وعـده بخـروف ولـم يـف ، وقـد شـبهه بعـدة تـشبيهات ، فوجهـه كالبـدر وقـت كـسوفه ، وقوامـه القـصير كالغـصن المنقصف ، وبنانه في شـحه كبحـر جـف مـاؤه ، فـلا يقطـر بـأي خيـر، وفيـه فيقول :   " مجزوء الخفيف "

يـــا أبـــا الفـــضل بـــالنّجفْ   اســـتمع كـــل مـــا أصـــفْ

لـــك وجـــه كأنـــه الـــ   بـــدر لكـــن إذا كُـــسفْ

وقـــوام كأنـــه الـــ   غـــصن لكـــن إذا قُـــصفْ

وعـــذار كأنـــه النْـــ   نمـــلُ لكـــن إذا نُتـــفْ

وبنـــان كأنـــه الـــ   بحـــر لكـــن إذا نـــشفْ

وأب أكـــذب الأنـــا   م ولكـــن إذا حلـــفْ

---

[1] - **الديوان** : 548 ، وبنت وردان: جمعها بنـات وردان ، وهـي نـوع مـن الخنـافس تتولـد فـي الأماكن الندية ، وأكثر ما تكون فـي الحمامـات والـسقايات. ينظـر : النـويري ، **نهايـة الأرب في فنون الأدب** 137/16 .

[2] - تسنم : تسنمت الحائط إذا علوته من عرضه. ينظر :ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (سنم) .

[3] - ابن الشعار ، **عقود الجمان** 166/8.

كـــم جــــوادٍ وهبتـــه حـــين أودى بـــلا علـــفْ
وقبـــاءٍ خَلَعتَـــه وهـــو خـــارا بـــلا ألـــفْ
إن مـــن يرتجـــي خـــرو فـــك بالـــشّعر قـــد خـــرفْ[1]

4- شواذ الهجاء الشخصي :

ويقـصد بالـشواذ مـن الهجـاء الشخـصي خـروج بعـض الـشعراء عمـا كـان مألوفـاً لـدى غـالبيتهم ، بتحويـل بعـض المظـاهر الجـسدية فـي المحبـوب مـن مادة تحـرك مـشاعر الـشعراء وعـواطفهم لترسـم فيـه الحـسن والجمـال ، إلـى مـادة للـذّم تُنَفـر الـنفس ، وترسـم للمحبـوب صـورة قبيحـة ووجهـاً مـشوهاً تعرض العـين عـن النظـر إليـه ومـن تلـك الظـواهر الخـال[2] ولـم نعثـر فـي مطالعتنا على كتـاب عـرض صـاحبه بـين دفّتَيـه أشـعاراً قيلـت فـي ذم الخـال، سوى مـا طالعتنـا بـه بعـض الـدواوين الـشعرية والكتـب الأدبيـة بقليـل منـه ، يتم ذكره في هذا البحث كنموذج على تلك الأهاجي الشاذة .

أمـا مـا ورد عـن ذكـر الخـال وجمالهـا ، وأنواعهـا وكثـرة أوصـافها ومـا صـدر عـن البـاحثين " أن الـشعراء تلاعبـوا بألفـاظ الخـال والحـسنة والـشامة ونحوهـا ، ومـا تولّـد لـديهم مـن معـانٍ كثيـرة وصـور عـدة مـن التوريـات اللطيفـة الممتعـة ، ومـا تغـزل فـي خـد الحبيـب وخالـه ، ووصـفوا

---

1 - **الديوان** : 63 – 64.

2 - الخال : هي شامة سوداء في الجسد والجمع خيلان. ينظـر:ابـن منظـور،**لـسان العـرب** ، مـادة (خيل) والخال الذي في الوجه هو من التلـون وجعـل خيـل وخـيم أصـل واحـد للمعنـى . ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة مادة (خيل وخيم) وذكر أن لـه اثنـي عـشر معنـى. ينظـر: النواجي ، **صحائف الحسنات** 29.

اجتماعهـا وسـرح خيـالهم فـي ذلـك مـسرحاً واسـعاً"[1] فقـد ألّفـت فيهـا كتـب عديدة تم التعريف بها وذكر المختار من الأشعار التي قيلت فيها .

ويُعد الـصفدي أبـرز مـن تحـدث عـن الخـال ، وسـاق أشـعاراً كثيـرة في وصـف جمالهـا وأنواعهـا معلـلاً سـبب وجودهـا " بأنهـا مـن فِعـل الفاعـل اختارها تبـارك وتعـالى ، لأنهـا توجـد فـي بعـض الأناسـي دون بعـض ، بـل في مكـان خـاص دون غيـره ، وصـالح الأبـشار صـالحة لمـا عللـه الحكمـاء ، فبطـل مـا يدعونـه ، لأن اختـصاص أحـد الأمكنـة بالخـال دون بعـض دليـل علـى أن البـاري سـبحانه وتعـالى اختـار أن يـستأثر هـذا المكـان بهـذه النكتـة الـسوداء ، وهـذا شـأن الفاعـل المختـار لا خـالق غيـره "[2] ، وبمـا أن الجمـال فيهـا إلهـي ، وأن الكثـرة مـن الأشـعار فـي التغنـي بجمـال المحبـوب لوجودها، لذا فإن مـا ذكـر فـي ذمهـا شـاذ ولا يقـاس عليـه ، ومـا يـذكر هنـا يجيء من باب ذكر شواذ الهجاء الشخصي .

ولعل أبـرز النمـاذج شـذوذاً لتلـك الظـاهرة ، دعـوة ابـن سـناء الملـك مُحب سـعادٍ ألا يبكـي عليهـا فهجرانهـا سـعادة لـه ، ويبـرر لـه ذلـك لأن فـي وجهها خالاً يحفّـزه علـى الزهـد فـي محبتهـا ، وأغـرق فـي ذمهـا حـين جعـل وجـود الخـال عـادة ومـصدر بغـض وكُـره ، لأنـه مُفـسِد للحـسن والجمـال ،

---

[1] - سليم ، محمود رزق ، **عصر سلاطين المماليك** 351/8 – 352 .

[2] - **كشف الحال في وصف الخال** 159، للإستزادة عن حقيقته ينظر : الكتاب نفسه : 157.

وهـو أول المبغـضين لـه فـصورته فـي المحبـوب قبيحـة كـصورة القُـرادة[1]، ويقول في ذلك : " المنسرح "

لا تُجـري دمعـاً علـى سـعادٍ	**فـإن هجرانَهـا سـعادةْ**
تُظهـر للعـالمين خَـالاً	**أكْـسبها هـنهم زهـادةْ**
ومـا درتْ أن كُـل خَـالٍ	**بغْـضتُه للظَريـف عـادةْ**
إنـي لأخْتَـصه ببغْـضي	**لمـا تخَيلتُـه قُـرادةْ[2]**

فـصور الـشامة علـى خـد المحبـوب بـالطفيلي الـذي يحيـا علـى مـص الدماء ، صـورة مقـززة تـشمئز الـنفس منهـا ، ويأباهـا الطبـع ، وكلمـا تخيـل شـكلها تـراءت أمـام ناظريـه قـرادة عالقـة فـي جـسم حيـوان أشـاح بوجهـه عنها .

أمـا ابـن قلاقـس فحطّـم مهجـوه وبـدد بوجـود الخـال فـي خـده مـا رسمه لنفسه من جمـال الـصورة ، فنعتـه بالـسكران فـلا يـصدق بمـا جـاء بـه مـن وصـف لوجهـه لعـدم اتّزانـه ، ونفـى عنـه تـشبيه خـده بالروضـة وأن الخال على خده هـو محـط أنظـار المحبـين ، حـين رسـم صـورة قبيحـة لتلـك الروضة التـي تَغَنـى بهـا وجعلهـا تُـشبه الجُعـل[3] ومعلـوم أن الجعـل لا يعـيش في الأماكن الجميلة ، فيقول : " مجزوء الرجز "

تـاه بخـال خـده	**كمـا يتيـه الثّمـلُ[4]**
فظـن أن حـسنَه	**وقـد مـضى مقتبِـلُ**
وقـالَ خَـدي روضـةٌ	**تَرتَـع فِيهـا المقَـلُ**

[1] - القرادة : دويبة تعض الإبل . ينظر :ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (قَرد) .
[2] - **الديوان** : 475/2 .
[3] - الجُعل ، هو دويبة لها جناحان تشبه الخنفساء . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (جعل).
[4] - الثّمل : الذي قد أخذ منه الشراب والسكر. ينظر:**لسان العرب** ، مادة (ثَمِلَ) .

فقُلـــتُ مـــا أقـــبح مـــا جِئْـــتَ بِـــهِ يـــا رجـــلُ
لـــو كـــان ورداً لـــم يـــسكُن فِيـــهِ جعـــلُ[1]

فتـصوير الـشاعر للخـال بتلـك الدويبـة القبيحـة يـشوه جمـال الوجـه ، وينفر الحبيب مـن محبوبتـه ، ويطـيح بكبريائهـا ، وينفـي عنهـا مـا ادعتـه مـن حسن وجمال ما فتئت تتغنى به بوجود تلك الشامة .

والظـاهرة الأخـرى التـي طالهـا ذم بعـض الـشعراء علـى غيـر مـألوفهم مـا يـسمى بالعـذار[2] ، وقـد وجـدت كتـب عـدة تتحـدث عـن تلـك الظاهرة فـي أشـعار الـشعراء لكـن مـن بـاب المـدح لا القـدح بهـا ؛ وعُـرف عن شعراء هذه المرحلـة مـيلهم إلـى الغلمـان والفتيـان لكـن تغـزلهم بهـم كـان " تقليـداً للمحـدثين والمولـدين مـن الـشعراء الـذين نهجـو نهـج أبـي نـواس "[3]، لـذا كثـر فـي شـعرهم وصـف العـذار والتغـزل بهـا ، لكـن مجموعـة مـن الـشعراء رأوا أن ظهـور العـذار دليـل علـى القـبح وإعـلان للفـراق بـين المحبين والمعجبـين، وهـذا مـا عبـر عنـه فتيـان الـشاغوري فـي ذمـه لغـلام من المعذرين بدمشق جـاعلاً إطـلال عـذاره علـى وجنتيـه نـذير قـبح لـه وآيـة لزوال جمالـه ، وسـبباً مقنعـاً لإعـلان الفـراق بينـه وبينـه ، ثـم يـدعوه إلـى اللطـم والبكـاء علـى مـا كـان سـبباً لفراقهمـا ، فيقول : " المجتث "

جـــاء العِـــذار لِـــشَينك ونَـــسخ آيـــةِ زينِـــك
فبـــان قُـــرةُ عينـــي عنـــي ، وقـــرةُ عينـــك
فكـــم تَقَـــتَ إلـــى أن أبـــديتَ صـــفْحة مينـــك

- [1] **الديوان** : 167 وللاستزادة بالمعنى نفسه ، ينظر : نفسه 618.
- [2] العِذار : عِذار الرجل ، شعره النابت في موضع العـذار ، ويقـال مـا أحـسن عـذاره أي خـطّ لحيته وللعذار معان عدة. للاستزادة ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (عذر).
- [3] باشا ، عمر موسى ، **الأدب في بلاد الشام عصور الزنكيين والأيوبيين** 579 .

فاذهـــب، عِـــذارك هـــذا فِـــراقُ بينِـــي وبينَـــك
فـــالآن فــــالْطُم ونُـــح وابـــــكِ إذا أتـــى حِـــين حينِـــك[1]

فالـشاعر يـرى أن العِـذار سـببُ قـبح الوجـه وإلا لـم يكـن هنـاك مـدعاة للفـراق ، ثـم يـذكر أن الحبيـب مهمـا حـاول نتـف عارضـيه فآثـار العذار تظهر زيف الجمال التي زالت بسببه .

ويعبر عرقلـة الكلبـي عـن الفكـرة نفـسها ، لكنـه يرسـم صـورة يظهـر من خلالها كيـف تغيـر الخـد ، وتنـاقص جمالـه لا لـسبب سـوى بدايـة ظهـور العـذار الـذي قـبح وجهــه ، وبـدد حـسنه الـذي كـان كالبـدر فـي حـسنه، فيقول : " الكامل "

دب العِـــذار بِخَـــده فتَعـــذّرا[2] مِـــن بعـــدِ مـــا قَـــد كـــان بـــدراً نَيـــرا
وتَنَاقَـــصتْ أحوالُـــه فكأنّـــه الـــحبالُ يمشِي فـي المعـاش إلـى الـورا[3]

فالـشاعر يـذم العـذار لأنـه يـذهب الحـسن ويـنقص الجمـال ، وقـد صور نقصان الجمال كلّمـا ظهـر العـذار كـنقص الحبـل فـي طولـه بعـد تكـرار فَتْله .

أمـا أبـو اسـحق الغـزي فيـذم العـذار ويـرى أن ظهـوره مبعـث قـبح للوجه الجميل وليس جمالاً لـه كمـا يُقـال ، ولكـي يثبـت صـحة مـا ادعـاه سـاق أبياته على شكل قضية ليثبت صدق دعوته، فيقول : " الطويل "

يقولـــون مـــاء الحـــسن تَحـــتَ عِـــذَارِهِ علـــى الحالـــةِ الأولـــى وذاك غُـــرور

---

[1] - **الديوان** : 517.
[2] - تعذّر : تغير رسم الخد . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (عذَر).
[3] - **الديوان** :45.

ألسنا نعافُ الشُرب مِن أجل شَعرةٍ   إذا وقعتْ في الماءِ وهو نَميرُ[1]

فالشاعر يعاف العذار لأنه مُعكر للجمال كحال النفس تعاف الماء النمير إذا وقعت فيه شعرة عكّرت صفوه فتقززت النفس منه.

وقد ذهب بعض الشعراء في ذمهم للعذار إلى وصفه بأنه مُكَدر للحياة ، ومفقد للذة العيش ، كما فعل الأسعد أبو المكارم ابن مماتي حين جعل صورة الشعر في تشويهها للجمال كصورة الغصن شوه نضرته ظهور الوشيج عليه ، فيقول :   " الوافر "

إذا طَلَع العِذار فَقَد فَقَدنا   لَذاذَة عيشِنا الأرج البهيج

لأن الغُصن لا يخْضر حتى   يَصير بأصلِهِ مِثْلَ الوشيج[2]

ودعا بعض الشعراء في تصويرهم آثار قبح العذار على وجه صاحبه إلى البكاء وإظهار الحسرة . [3]

ورغم ما ذكر من تلك النماذج تظل شاذة في ذمها إذا ما قورنت بما قيل في مدحها .

5- هجاء الأرحام والأقارب والذات :

لعل الهجاء الذي سلكه الشعراء تجاه هذه الفئات من الآباء والأمهات والزوجات والأرحام ، يدلل على الخلل الذي يسود العلاقات الاجتماعية وضعف الأواصر الأسرية وهو هجاء " يصور اضطراب

---

1 - **الديوان** : 105.

2 - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 102/1. والوشيج:جمع وشيجة وهي عرق الشجرة والليف على جرثومها . ينظر:ابن منظور **لسان العرب** ، مادة (وشج).

3 - ينظر: العماد الأصفهاني، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 237/1 أبيات لأبي الحسن علي بن الحسن المؤدب في ذم العذار.

المعـــايير ، وانقـــلاب الأحـــوال ، وتَهـــزع الأخـــلاق[1] ، وفقـــدان الأخ والـــصديق ، وشـــيوع النفـــاق ، وتفـــشي الفـــساد ، وانعـــدام الأمـــل فـــي الإصلاح "[2].

فهـذا ابـن عنـين يظهـر عقوقـاً ووقاحـة وسـلاطة لـسان يـنهش بهـا والـده ، ويحملـه مـسؤولية نكوصـه وعـدم قدرتـه علـى نيـل المعـالي فـي قوله : " الطويل "

وجنّبنـــي أن أفعـــلَ الخيـــر والـــد ضـئيلٌ إذا مـــا عـد أهـلُ المناسـبِ
بعيـد عـن الحـسنى قريـب مـن الخنـا وضيع مـساعي الخيـر جـم المعايـب
إذا رمـتُ أن أسـمو صـعوداً إلـى العـلا غَـدا عِرقُـه نحـو الدنيـةِ جـاذبي[3]

أما أبو عبد ا النجـار فقـد جـرد أبـاه مـن كـل فـضائله النفـسية فكلمـا زاد عمره زاد شره فهو كالأفاعي الخبيثة، كما يقول : " الخفيف "

لـي أب كـل مـا بـه يوصـف النّـا س مِـن الخيـر فَهـو مِنـه مبـرا
فَهـو كالـصل[4] مـن بنـات الأفـاعي كُلمـا زاد عمـره زاد شـرا[5]

وقـد نالـت الزوجـة نـصيبها علـى ألـسنة الـشعراء مـن الفحـش والبـذاءة ، ومـن هـؤلاء ابـن روبيـل الأبـار الـذي قـال فـي زوجته : " السريع "

---

[1] - التهزع : الاضطراب . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (هزع) .
[2]- الرقب ، شفيق ، **النقد الاجتماعي في الشعر الشامي** ، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، عدد 40، سنة 1991م : 173.
[3] - **الديوان** : 239.
[4] - الصل : الخبيث من الأفاعي . ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (صلل).
[5] - العماد الأصفهاني،**الخريدة(قسم شعراء الشام)** 392/2.

لــي قطّــةٌ أنظــفُ مِــن زوجتــي و... أنظــــفُ مــــنْ فيهــــا
وكــــل مــــا صــــوره ربنَــــا مِــــن الخنَــــا ركّبــــه فيهــــا[1]

وقــد أظهــر ابــن عنــين ســخطه مــن حماتــه ، فــذهب يُعــرض بهــا

لتــشجيعها ابنتهــا علــى لطــم خديــه ، و موريــاً فــي هجائــه ،

فيقول : " السريع "

أَشْــكُو إلــى ا حمــاتي فمــا يعلــم مــا لاقيــتُ منهــا ســواه
عجــوز ســوءٍ لــو رأت قــودةً[2] فــي النّــسر طــارتْ بجنــاحي قَطــاه
تقــول للبنــت ألطُمِــي خَــده ولا تهابيــه وصــكي قفَــاه
وباهتيــــهِ إن رأى ريبــــةً وابكــي وســبيهِ وســبي أبــاه
و ا ِ لا أفْلِــح مــا عمــرتْ قلْ لــي متــى أَفْلــح صــاحب حمــاه[3]

وقــد هجــا بعــض الــشعراء أنفــسهم ، متخــذين مــن نواقــصهم وعيــوبهم

الجــسدية مــادة للتفكــه والدعابــة ، ولــم يجــدوا حرجــاً عــن للتــصريح بهــا

علانيــة ، فعرقلــة الكلبــي كمــا وصــفه عمــاد الأصــفهاني " كــان شــيخاً خليعــاً

مــائلاً إلــى القــصر ، أعــور مطبوعــاً "[4]، و يعبــر عــن ذلــك صــراحة ،

ويقول : " المنسرح "

مــــولاي إن الكلْبِــــي عرقلــــةً مِثْــلُ المعيــدي[5] صــاحبِ المثــل[6]

---

1 - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** 261/1.

2 - قودةً: الأقود : الذليل سلس الانقياد .ينظر: ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (قود).

3 - **الديوان** : 133.

4 - **الخريدة (قسم شعراء الشام)** 178/1.

5 - يشير إلى المثل الذي يقول " تسمع بالمعيدي خير من أن تراه " ويضرب هذا المثل لمن كان خبرُه خيراً من مرآه " ينظر: الميداني ، **مجمع الأمثال**192/1.

6 - **الديوان** : 86.

وذكرنا له في مواضع سابقة أبياتاً تدل على صفة العور فيه .

أما ابن مكنسة فيرسم لنفسه صورة ساخرة تثير الضحك، إذ يقول : " مجزوء الرجز "

أَنَا الذي حدثْتُكُم عنْه أبو الشمقْمق[1]
وقَالَ عني إننِي كُنْتُ نَدِيم المتقِي
حتى متَى أبقى كذَا تَيساً طَويلَ العنُق
بلحيةٍ مسبلةٍ وشاربٍ محلق
يا ليتَها قَد حلقَتْ مِن وجهِ شَيخٍ خَلِق[2]

ومما يلحظه الدارس في اللوحات الهجائية التي رسمها الشعراء للأشخاص الذين هجُوهُم سواء كانوا من المقربين لهم ، أو فئات أخرى اعتمادهم على التجسيم والتشخيص والمفارقة ، وتغليب الطابع الشخصي عليها ، بهدف إثارة الضحك والسخرية من المهجو ، وهو ما يطلق عليه الهجاء الساخر والذي يرى بعض الدارسين أنّه " وسيلة لتسلية الأمراء والملوك وطبقات الشعب الأخرى عن طريق السخرية ببعض الشخصيات المعروفة في المجتمع ولكنه – من ناحية أخرى – كان ينم عن ألم دفين ، ويشف عن كرب داخل النفوس ، ويقصد من يلجأ إليه أن يداوي ألمه بنقضه ، فاستعمل الشعراء معه الفكاهة ، وكأنهم أرادوا مع تلك الفكاهة تجاوز الواقع والابتعاد – ولو ظاهرياً – عن مشكلات

---

[1] - أبو الشمقمق : هو مروان بن محمد من أهل البصرة ، والشمقمق معناه الطويل ، وكان شاعراً هجاء ومن متقدمي شعراء زمانه . ينظر: المرزباني ، **معجم الشعراء** : 376.

[2] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 214/2.

عصرهم ، ومزاولة الحرية الفكرية في صور من صورها "[1] لذا مال الشعراء في كثير من أشعارهم إلى السخرية بغرض الإضحاك معتمدين في أسلوبهم على الإزراء بمهجويهم من الناحيتين المعنوية والجسمية ، وهذا ابن عنين – كما سخر من نفسه وأبرز عيوب حماته فيما ذكرنا سابقاً – نراه يأتي بصورة ساخرة هزلية لأصدقائه بعد عودته من اليمن وهم يتسابقون على بابه طمعاً في طعامه ، فيقول :   " الطويل "

تَجوع لي الشيخُ الزكي وجاءني ... مع الشمس قبلَ الشمس يتلوهما النجم
وقد سرحا ذقنَيهما وتَسربلا ... من الوشْي ما ازدانت حواشيه والرخْم
وجاء أبو الفضل الأمين وعبده ... كذئبي غَضا قد مسهم من طوى سقْم
وأقبل شمس الدين يسعى مبادِراً ... وفي كمَه للنّهب من أدمٍ كم
جموع لو ان السد أعرض دونهم ... بدا منهم في جانبي رتْقِه ثأم[2]
يرومون خُبزي والكواكب دونه ... لقد ضل عنهم رأيهم ونأى الفهم
أما علموا أن الذبابة لا ترى ... طعامي وأن الفأر عندي لها لجم[3]

فالصورة مضحكة لأصدقاء كل أعد عُدته ، منهم من أخذ الجوع منه مأخذاً ، ومنهم كالذئب يود الانقضاض على فريسته ، ومنهم من سرح ذقنه ولبس أجمل ثيابه ، ولكنه بخيل هزئ من بخله فجعل خبزه كالكواكب يصعب نيلها ، بل إن الذباب لا يصل إليه ، لأنه يأكله على دفعات ، وحتى الفأر لا ينال منه شيئاً لشدة تقتيره .

---

[1] - الصايغ ، هنريت زاهي سابا ، **اتجاهات الشعر العربي في القرن السابع الهجري** 224.
[2] - الثلم : الخلل في الحائط وغيره. ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ثَلَم).
[3] - **الديوان** : 128 – 129.

ولابـن عنـين فـي هـذا الاتجـاه الهزلـي الـساخر أشـعار كثيـرة فـي السخرية والتندر[1] .

ويبـدو أن ضـرب التنـدر والـسخرية مـن المهجـوين سـلكه كثيـرون مـن شـعراء هـذه الفتـرة ، وممـن لجـأ إلـى تلـك الـسخرية فـي شـعره ابـن المـسجف ، إذ نجـده يـسخر مـن نفـسه ، ومـن أصـدقائه بأسـلوب يثيـر الـضحك ، ويميـل إلـى النكتـة ، ومنهـا سـخريته مـن صـديق لـه يلقـب بـدر الدين، يقول فيه : " البسيط "

قـالوا : تَلَقـب بـدر الـدين[2] مفتخـراً بخُلْ الجنُـوبي مـن قَـد زيـن الأمنَـا
فَقُلْـتُ : لا تَعجبـوا مِنْـه فـذا لقـب وقْفٌ علـى كـل نَحـس والـدليلُ أنَـا[3]

ومن أمثلـة تنـدره ، مـا خاطـب بـه الملـك المعظـم عيـسى عنـدما أراد طلـب الأعطيـات منـه فتعـرض لـه رجـال القـضاة والـولاة بـاللوم ، فهـزئ بهـم، وتنـدر بأفعـالهم ، وسـخر مـن مطـالبتهم لـه بـدفع الزكـاة ، فيقول : " الوافر"

أيـا ملكـاً حـوى عِلمـاً وجـوداً وحـاز بكـل مكْرمـةٍ وفَـضل
ومـن هـو كالمـسيح اسـماً وفعـلاً ونـصباً للحيـاةِ وحـزم محـل
يكلفُنِـي البهـاء زكـاةَ مـالٍ حـرامٍ كلّـهِ مـن غيـر حِـل
وكيـفَ يقُـوم بـالزكواتِ مـن لا يـصوم ولا يحـج ولا يـصلي
فَجـد بِهبـاتِ ذلـك لِـي فَـإنني أُجِـل زكـاتكم عـن مـال مِثْلِـي[4]

---

[1] - ينظر: **الديوان** ، النماذج في الصفحات 131 ، 218 ، 227 .
[2] - بدر الدين : يبدو أنه واحد من أصدقاء الشاعر ، ولم أهتد إلى ترجمته.
[3] - الكتبي ، **فوات الوفيات** 284/2.
[4] - نفسه 285/2.

فالشاعر يتهم مهجوه بالسرقة ، وكيف يفعل ذلك من لا يؤدي أركان الإسلام كالصوم والحج والصلاة ؟

6- التهاجي بين الشعراء :

شهدت مصر والشام ازدهاراً أدبياً في عصر الزنكيين والأيوبيين ومرد ذلك الازدهار إلى أن الحكام كانوا يحبون الأدب ، ويجيزون عليه ، ويجلسون للشعراء مجالس ، ينصتون فيها إلى شعرهم ، وينقدون إنتاجهم ، ويكافئون على مقدار جودتهم[1] ، وكذلك كثرة الحواضر الأدبية والعلمية في الشام[2] ، وهي الحواضر والمجالس التي أمها العديد من الشعراء والأدباء ، وشكلت مجالاً للتنافس ، ودفعت لظهور ما يسمى بالمساجلات الشعرية لم ترق إلى تلك التي كانت قائمة في العصر الأموي بين جرير والفرزدق اللهم إذا استثنينا ما ذكره العماد الأصفهاني ، مما وقع من مساجلات بين ابن منير الطرابلسي، وابن القيسراني فهما أكبر شاعرين في عصرهما ، وقد وصفهما بقوله : " كانا كفرسي رهان وجوادي ميدان "[3] .

وذكر أن " القيسراني كان سنياً متورعاً وابن منير كان مغالياً شيعياً "[4] ويبدو أن مُهاجاة هذين الشاعرين قد ضاعت ولم يصلنا منها سوى القليل واتفق موتهما في سنة واحدة[5] .

---

1 - ينظر : بدوي ، أحمد ، **الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية** : 23.

2 - ينظر : عبد المهدي ، عبد الجليل حسن ، **الحياة الأدبية في الشام في القرن الخامس الهجري** 14-19.

3 - **الخريدة (قسم شعراء الشام)** : 76/1.

4 - نفسه : 76/1.

5 - ينظر : ياقوت الحموي ، **معجم الأدباء** 64/19 ، أبو شامة ، **الروضتين** 293/1 .

وأول ما يُلفت انتباه الدراسين في تلك المساجلات الشعرية ، ما قاله ابن منير الطرابلسي هاجياً ابن القيسراني مستغلاً حادثة حريق هائل صادف دخول ابن القيسراني مدينة دمشق ، فراح يزري به ، ويسخر منه سخرية لاذعة ، حين جعله رمزاً للشؤم ، وسوء الطالع وقد استعار له شخصية يضرب بها المثل في التطير هي (طويس)، وفي ذلك يقول : " الرمل "

يا طُويس الشُؤمِ هذي الحركه … ألحقَتْ جلّقَ بالمؤْتَفِكَه
جِئْتَها تُذَكرها عهداً مضى … مِن تَوالي الفِتَن المشْتَبِكَه
يا رسولَ القَدرِ الحتْمِ إلى … كل من سد عليها مسلكه
يا أبا الكعبِ الذي ما حطّ في … بقعةٍ إلا أطار البركه
لك رِجْلٌ قُطعتْ لو جمعتْ … تَحتَ كيوانِ لهدتْ فَلَكَه
شُؤْمها أسرى مِن السم فما … دب للملسوعِ إلا أهلكه[1]

و يتابع ابن منير هجومه على خصمه ، ويصور مهجوه بأنه أصبح طالع شؤم للأرض وأهلها ، فكلما نزل أرضاً أعقبها الهدم والخراب ، وخلف أموال أهلها تركة لما بعدهم ، وفيه يقول : " الرمل "

شردته طَلْعةٌ إن صبحتْ … أَرض قَومٍ عقبتها الدكْدكَه[2]
لم يمِلْ وجهاً إلى مال ثرٍ … قَط إلا تَركَتْه تَركَه
لا ، ولا طر لها شِدقٌ على … مأمنٍ إلا وأمسى معركه[3]

---

[1] - **الديوان**: 93-95 .
[2] - الدكدكة : الأرض المتهدمة . ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (دكك) .
[3] - **الديوان**:94.

ولا تخـرج هـذه القـصيدة - التـي بلـغ عـدد أبياتهـا تـسعاً وثلاثـين بيتاً- عن حـديث الـشؤم وسـوء الطـالع للمهجـو ، إلـى درجـة دفعـت الـشاعر للطلـب مـن أميـر دمـشق إلـى طـرده منهـا لأنـه سـبب كـل بـؤس وشـقاء لها:

" الرمل "

يـا " مجيــر الــدين " مــن دلّ علــى	ربعــك المــأهول هــذي الهلكــه
مـن مـن الحـساد مـا حولـك اللّـ ـ ـ	ـ ـه أهـدى لـك هـذي الـشبكه ؟
مــن رمــى مغْنَــاك لا ريــع بمــن	كــل منْجــاةٍ نَحاهــا مهلكــه ؟
مـــن إذا لاحـــقَ شَـــملاً بثـــه	وإذا عـــن لِوصـــل بتّكـــه[1] ؟
أي دارٍ أمهــــا مــــا غمهــــا	أي ســتْرٍ ضــمه مــا هتَكــه[2]

أما مـا دار بـين ابـن منيـر الطرابلـسي وابـن القيـسراني مـن معـارك هجائيـة ، فقـد ضـاع رغـم كثرتهـا ، لـذا فمـن الـصعوبة إعطـاء صـورة واضـحة عـن تهاجيهمـا وغيرهمـا مـن الـشعراء ، وفقـدان الـشعر كمـا يقـول محمـد صـبحي أبـو حـسين " يجعـل الـصورة التـي يحـاول الـدارس رسـمها للشعر والشعراء صورة جزئية "[3] .

وكل ما قاله ابـن القيـسراني فـي ابـن منيـر ، فلـم أعثـر منـه إلا علـى بيتين ، هما قوله هاجياً : " مخلع البسيط "

ابــــن منيـــــرٍ هجــــوتَ منّــــي	حبـــراً فـــاد الـــورى صـــوابه
ولــــم تُـــــضيقْ بِـــــذاك صـــــدري	فـــإن لـــي أســـوةَ الـــصحابه[4]

---

1 - بتّكه : قطعه . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (بتك).

2 - **الديوان** :95 .

3 - **ابن منير الطرابلسي حياته وشعره** : 77 .

4 - محمد ،عادل جابر ، **شعر ابن القيسراني** : 90.

ويتضح مـن قـول ابـن القيـسراني أثـر العامـل المـذهبي فـي الهجـاء ، فالبيتـان لا يظهـران عـداء لابـن منيـر بقـدر مـا يحمـلان معنـى الـصفح والتسامح الذي يتحلى به الأصحاب ليكونوا قدوة لغيرهم .

ولم يـسلم أحـد مـن لـسان ابـن منيـر فهـو كمـا يقـول ابـن عـساكر : " كان هجـاء خبيـث اللـسان يُكثـر الفحـش فـي شـعره ويـستعمل منـه الألفـاظ العامية "[1]. وممـن هجـاهم ابـن منيـر "ملـك النحـاة "[2] وقـد اتخـذ مـن الدعابـة والنكتـة طريقـاً لهجائـه والغمـز بـشجاعته وكرمـه فـسلبه بـذلك فـضائله النفـسية ، وأزرى بـه حـين جعلـه مـن فـصيلة الكـلاب بأسـلوب حـواري بينـه وبين قطّه ، وفيه يقول : "المتقارب "

عتبـتُ علـى قـط ابـن منيـرٍ وقُلْـتُ أتيـت بغيـر الـصوابِ
جرحـتِ يـداً خُلِقَـتْ للنـدى وبـذل الهبـات وضـرب الرقـابِ
فقـال لِـي القـطّ : ويـك انتبـه ألـيس القطـاط عِـداةَ الكـلابِ[3]

ولم يكن ابـن منيـر بمنـأى مـن ألـسنة شـعراء مـصر والـشام وغيـرهم فوجهـوا سـهام هجـائهم لـه، كمـا فعـل ابـن قـسيم الحمـوي فـي معـرض رده على رسالة بعثهـا ابـن منيـر لأحـد المـشايخ يعلـن فيهـا تخليـه عـن المـذهب

---

[1] - **تاريخ ابن عساكر** : 33/6.

[2] - ملك النحاة : هو الحسن بن أبي الحسن صافي بن عبد ا المعـروف بملـك النحـاة وكنيتـه أبـو نزار ، وتوفي بدمـشق سـنة 568 هـ . ينظـر: الـسيوطي، **بغيـة الوعـاة** 504/1 – 505، القفطي، **إنبـاه الـرواه**305 – 310 ، المنـذري ، **التكملـة فـي وفيـات النقلـة**140/1 ، ابـن تغري بردي، **النجوم الزاهرة** 69/6 ، اليافعي ، **مرآة الجنان** 386/3.

[3] - **الديوان** : 174.

الشيعي وتحوله إلى مذهب أهل السنة والجماعة فيرد ابن قسيم عليه قائلاً :   " المنسرح "

يا شاعراً أودعتْ أنامله   در القوافي كتابه النبوي
ولو كشَفْنَاك لم تكُن حلبياً   قط في مذهب ولا حموي
لو كان إبليس قبلُ لاح له   آدم من نَقْش قصك الغَروي
لخَر مما شِئْتَ ساجداً وعنَا   طوعاً وكان غير غَوي[1]

فهو يتهمه بالكذب والادعاء الباطل بتركه مذهبه .

ويبدو لي أن كثرة المساجلات الشعرية بين الشعراء هدف الشعراء من ورائها - حقداً وكراهية وحسداً – سلْب مهجويهم كل فضل لهم في هذا المجال ، وإلصاق شعرهم صفة الضعف والفساد للتقليل من منافستهم ودفع الناس للتفرق من حولهم إليه . وممن شارك في ميدان المهاجاة أبو إسحق الغزي حين هجا " أبا الفتح بن الخشاب "[2] ، وأخذ يتهكم بما ينظمه من شعر ، ويصفه باللؤم ، والكذب ، والجهل والبخل ، وضعة النسب ، ويكون بذلك قد سلبه كل فضائله النفسية ، فيقول :   " البسيط "

أوصاه أن ينْحتَ الأخَشاب والده   فلَم يطِعه وأمسى ينْحتُ الكذِبا
لو ماتَ من عطش والماء في يدِهِ   وكان ممتَزجاً بالصدق ما شربا
يوزع السلع في الأشْعار ينْظِمها   والهرة اعتمدتْ في دفْنها الأدبا

---

1 - **الديوان**: 122 – 123 .

2 - أبو الفتح بن الخشاب : هو ابن الحسين محمد بن أحمد بن حمدان بن فضاله الكاتب المعروف بابن الخشاب ، أحد الكتاب الفضلاء كان يضرب به المثل في الكذب ووضع المحالات وحكايات المستحيلات ت 540 هـ . ينظر : الصفدي ، **الوافي بالوفيات** 165/1.

أعجِـب بـه جـاهلاً بالفـضل متـسِماً	مـن الـورى وهجينـاً يـدعي نَـسبا
بـين الـدناءةِ والـدُّنيا مناسـبةٌ	لِـذاكَ نَـالَ الغِنَـى والمـالَ والنِّـسبا
مثرٍ من المـال يـشكُو الجـوع مِـن سـغبٍ	كالنـارِ مـا أكلتْـه زادهـا لهبـا
والبخْـلُ إن كـان طبعـاً لـم يكـن يغنًـى	وربما كـان بعـض البخْـل مكتَـسبا[1]

أمـا ابـن الخيـاط الدمـشقي فيرسـم صـورة سـاخرة لمـن يـدعي الأدب والـشعر ، تثيـر الـضحك فيجعـل صـاحبها لا يـستحق إلا الـصفع والـصرف زيـادة فـي ازدرائـه ، فـالمهجو موصـوف بفـساده الخلقـي ، وفقـره العقلـي إضافة إلى الشؤم في شخصه وأدبه ، كما يبدو في قوله : " الخفيف "

صِرتَ بـين الـصادين يـا بـن المجلـي[2]	بـين صـفْعٍ يـوهي قفـاك وصـرفِ
بعـد بـاعين مِـن بِغَـاءٍ وبـردٍ	جِلْـفَ ضـادين فيـك ضـر وضـعفِ
ثُـم شِـينَين شُـؤم جِـد وشِـعرٍ	لمغـيض[3] فيـه ينَـابيع كُنـفِ
قِـرن عينـين عـدم عقْـلٍ ومـالٍ	وعمـى عاجـلٍ يوفْـع الأكُـف
وسـتَأتي الفـاءان قفَـدك بـلْ قفْـ	ـركَ إثْـر الحـاءين حـرفُ حتْـفِ
وإذا مـا الـسيناتُ حزنُـك يـا حـز	ن ذَوي الـصرفِ قُمـتَ مِـن غيـر خَلْـفِ
سـفه فـي سـفالةٍ فـي سـقوطٍ	دائـمٍ فـي سـوادٍ وجـهٍ وسـخفِ[4]

وكان لـشعراء هـذا العـصر أسـلوب خـاص فـي المهاجـاة ، فقـد يعـود ذلـك إلـى التركيبـة التـي فطـر عليهـا الإنـسان فأهـل مـصر أصـحاب نكتـة

---

[1] - **الديوان** : 83

[2] - ابن مجلي : هو محمد بن المجلي بن الـصائغ الجـرزي ، طبيـب عـالم بالحكمـة والفلـسفة ، لُقِّـب بالغتري له مصنفات عدة منها " نـور المجتبـى " **فـي الأدب والأخبـار** ، تـوفي سـنة 570 هــ . ينظر:الزركلي، **الأعلام** 19/7 .

[3] - المغيض : مكان تجمع ماء ينبت فيه الشجر . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (غيض).

[4] - **الديوان** :142-143.

ودعابة وهـذا مـا فعلـه ابـن قـادوس حـين هجـا الرشـيد بـن الزبيـر[1] وسـخر منه لـسواد جلـده واتهمـه بالـسرقة بأسـلوب يعتمـد علـى الفكاهـة والدعابـة ،إذ يقول : " السريع "

يـــا شِبـــه لقمـــانِ بِــــلا حكمــــةٍ وخاسِـــراً فـــي العِلْـــمِ لا راسِــخَا

سَـــلختَ أشـــعار الـــورى كلهـــم فَـــصِرتَ تُـــدعى الأســـود الـــسالِخَا[2]

وفـــي إطـــار المـــساجلات الـــشعرية يلحـــظ الـــدارس نـــشوء عـــداوات وخـــصومات ، مردهـــا إلـــى تعـــصب الـــشعراء لمـــواطنهم فيـــسعى الـــشاعر للإزراء بمهجوه كما فعـل ابـن الـساعاتي حـين هجـا ابـن سـناء الملـك فجعـل يذم فيه بخله وسوء عشرته، فيقول : " المتقارب "

نَزلنـــا علـــى شـــاعرِ البلْـــدتين نُـــزولَ الجِيـــاعِ علـــى المعـــدمِ

فَــــلا بالبــــدين أجــــاد القِــــرى ولا المــــذْقَ أحــــسنَه يــــالقمِ

وأقبــــلَ يــــشتم أهــــلَ الــــشآم ولـــولا الحماقَـــةُ لَـــم يـــشتِمِ

وبــــاتَ يــــذُم الخَفَيــــفَ الثقيــــل خفيـــفَ الـــدماغ ثقيـــلَ الـــدمِ[3]

ومـــضى يهجـــوه لـــشدة بخلـــه حـــين صـــور ليلـــة أمـــضاها فـــي داره يتضور جوعـاً لـم يُغمـض لـه جفـن ، ولـم يظفـر فيهـا بطعـام غيـر صـوت الضفادع، فيقول : " الطويل "

أجاعني القاضـي الـسعيد ولـم أكـن بـــأول ضـــيفٍ فـــي مغَانيـــهِ جـــائع

---

[1] - الرشيد بن الزبير : أبو الحسن أحمد بن أبي الحسن علي بن إبراهيم ، كان ذا علم وفضل كثير عالماً في الهندسة والمنطق شاعراً ، تولى الإسكندرية ، ثم مات مقتولاً عام 563 هـ . ينظر: العماد الأصفهاني، **الخريدة (قسم شعراء مصر)**1/200-202 ، السيوطي، **حسن المحاضرة** 1/416 .

[2] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة(قسم شعراء مصر)** 1/226.

[3] - **الديوان** : 2/38.

أقمـــتُ لديـــهِ ليلـــةً نابغيـــةً   عزيــز كــرى الأجفــان حــزن المــضاجعِ
وما مــن قــرى غيــر الــزلال بِربعــهِ   وذاك قــرى مــن بــاتَ ضــيفَ الــضفادعِ[1]

وقـد بـالغ الـشعراء فـي أهـاجيهم لخـصومهم إلـى الحـد الـذي سـلبوا فيه كـل فـضائلهم النفـسية فعلـم الـدين الـشاتاني هجـا الـسابق المعـري[2] وقـد جرده من كـل صـفاته ، فوصـفه بأنـه مفـسد يـستحق قطـع لـسانه ، وغاصـب ومكفّــر للآخــرين ومغتــاب ، ونــذل ، وخــائن ، ومــارق يــستحق الــسجن ، وجعل يحرض عليه ، ويقول :   " السريع "

مـــولاي فَخْـــر الـــدين يـــا ذا النهـــى   مـــا قِيمـــةُ الأخْـــرس كالنـــاطق
كـــلاّ ولا العبـــدِ المطيـــع الـــذي   يرجـــو رضـــا مـــولاه كـــالآبق[3]
للعبـــــدِ أبيـــــاتٌ زهـــــا حـــــسنُها   فَجبرهـــا مـــن لفظِـــهِ الرائِـــق
قَطْـــع لـــسان المفْـــسدِ الـــسابق   أوجـــب مـــن قَطْـــع يـــد الـــسارق
يبتـــز أمـــوالَ الـــورى عنـــوةً   ويكْفُـــر الـــرزقَ مـــن الـــرازق
غِيـــذَاؤه الغيبـــةُ لا غيرهـــا   شـــيمةُ نـــذلِ خـــائنِ مـــاذق
والـــسعي فـــي الخَيـــر لا يبغـــى بـــهِ   وقـــوع أهـــل الـــدين فـــي مـــازق
خـــب[4] إذا لاحـــتْ لـــه فُرصـــةٌ   يـــنْقَض كالبـــازي والباشـــق[5]

---

[1] - **الديوان** : 115/1.
[2] - السابق المعري هو محمد بن الخضر بن الحسن بن القاسم أبو اليمن المعروف بالسابق من أهل المعرة كان شاعراً مُجيداً . دخل بغداد وجالس الأبيوردي والتبريزي وأنشدهم من شعره . ينظر: العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** 124/2 ،الصفدي، **الوافي بالوفيات3**/39،الكتبي، **فوات الوفيات** 248/2 .
[3] - الآبق : الهارب . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (أبق) .
[4] - الخب : المفسد الذي يسعى بين الناس بالفساد . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (خبب) .
[5] - الباشق: طائر من صغار الجوارح،أصفر العينين. ينظـر: ضـنّاوي، سـعدي، **المعجـم المفـصل في العرب والدخيل**65.

مـا زالَ يـؤذي النـاس حتـى رأى   كساده فـي سـوقه النـافق
فموتُـه فـي السجن أولـى بِـهِ   ورمـي مـن ربـاه مـن حـالق
وإن أرحـتَ النـاس مـن شَـرِهِ   أحـرزتَ شُـكْر الخَلْـق والخـالق
وأجهـلُ العـالِمِ عِنْـد امـرئٍ   يهـدد الـضرغام بالنـاهِق[1]

ويبدو لي أن مجموعة من الشعراء مالوا إلى الانتحال والسرقة من أشعار غيرهم وقد اتخذ الشعراء ذلك ذريعة للحط من قدر مهجويهم كما فعل ابن المسجف يهجو شاعراً يقال له ابن الكساء ويتهمه بالسرقة ، فيقول : " الوافر "

أرى ابـن كِسا يسرقُ كُل شيءٍ   مجاهرةً ويكْذِب حيثُ كانا
فلـو أن الزمان قَصيد شِعرٍ   يصادِمنا بها سرقَ الزمانا
ولولا أنـه رجـلٌ جبـان   لساء الفِعلَ وانْتَحلَ القرانا[2]

لقد بالغ في هجوه ووصمه بالسارق والجبان ،ولولا جبنه وخوفه لذهب في سوء فعله لانتحال شخصية عريس في ليلة عرسه .

ويعد ابن عنين أبرز الشعراء الذين استغلوا موهبتهم الشعرية في ميدان المساجلات الشعرية ، وقد ساعدته موهبته الشعرية يصاحبها قوة في شخصيته وسلاطة في لسانه إلى إلحاق الأذى بكثير من أبناء عصره ، ومن أبرز الشعراء الذين صب عليهم لهيب شعره ، وسياط لسانه ، فسلبه كل فضائله النفسية والخلقية القاضي الفاضل ، فكان هجاؤه

---

[1] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** 2/375 – 376.

[2] - ابن الشعار ، **عقود الجمان** 2/334.

لـه فاحـشاً وبـذيئاً ، وأرى أن الغيـرة والحـسد كانـت مـن دوافـع هجائـه فكـلّ ذي نعمةٍ محسود، ومما قاله فيه : " المنسرح "

حاشـا لِعبـدِ الـرحيمِ سـيدِنا الـ ـ ـ ـفاضِلِ ممـا تقولُـه الـسفَلُ
وتَـب مـن قَـالَ إن حدبتَـه فـي ظَهـرِهِ مِـن عِيـدِهِ حبـلُ
هـذا قيـاس فـي غيـر سـيدنا يـصح إن كـان يحبـلُ الرجـلُ[1]

ففـي منتهـى الفحـش والـسخرية فـي النيـل مـن كرامتـه بألفـاظ بذيئـة وتصوير مُهـين طـال بـه مهجوه،حمـل ظـاهره الـدفاع والمـدح، لكنـه سـرعان ما أظهر حقيقته بذلك القدح الفاحش.

وهجا ابـن عنـين الرشـيد النابلـسي متنـدراً بـه ،هازئـاً منـه وسـاخراً ، واضـعاً الـصور المتقابلـة إلـى جـوار بعـضها ، مقـابلاً بينهـا ، زاعمـاً أن المهجو تعود على الصفع ، فيقول : " المتقارب "

تعجـب قـوم لـصفع الرشـيد وذلـك مـا زالَ مِـن دابِـهِ
رجِمـتُ انكِـسار قُلـوبِ النعـال وقَـد دنـسوها بِأثوابِـهِ
فـوا مـا صـفَعوه بهـا ولكـنّهم صـفعوها بِـهِ[2]

فالـشاعر يعبـث بمهجـوه بـروحٍ مرحـة سـاخرة فيـصور النعـال بأشخاص لها قلوب بل وتتأذى من قذارة ثيابه، وله فيه أشعار كثيرة[3] .

وقال يزري بفتيان الشاغوري وهو اسم على غير مسمى ، وهو لا يقول شعراً وإنما ينبح بنباح الكلاب ، فيقول : " البسيط "

يـا مـن يلقـب ظُلمـاً بالـشهابِ وإن أضـحى بظلمتِـه قـد أظلـم الـشهبا

---

1 - **الديوان** : 189.

2 - **نفسه** : 185.

3 - **الديوان** : ينظر في الصفحات : 186 ، 187 ، 188 .

لا تخدعنّك مِن مودود دولتُه وإن تعلّقْتَ مِن أسبابها سببا
فليس ينبح فيها غَير واحدةٍ حتى يلفّ على خَيشُومِهِ الذّنبا[1]

وتصدى الشاغوري لابن عنين ليثبت قدرته على مقارعة كبار الهجائين فخص ابن عنين بهجاء جارح ، ونقد لاذع ، فوصفه بأنه عديم الفائدة ، ولا يرجى منه خيراً ، ومن قصده يخفق في مسعاه ، ولا ينال من شعره شيئاً إلا كما ينال الصياد من رحلته بأم حُبين[2]، فيقول فيه : " الخفيف "

من يرجي خيراً من ابن "عنَين" لم ينلْ منه غَير خُفي حنَين
هو في غفلةٍ وأيامه تَفْنـ ـى في غَزل غَزلهِ باليدين
صاد منه السلطان أم حبين أي خير في صيد أم حبين[3]

ولم يسلم المنشدون لأشعاره وغيره من الشعراء من قسوة لسان الشاغوري فوصفهم بالحيوانات ، يؤذون مسامع الناس بأصواتهم ، وفي صورة طريفة يوصي من بهم صمم أن يحمدوا ا على ذلك ؛ حتى لا تتأذى مسامعهم من أصواتهم ، فيقول في مأدبة دعاه إليها الرشيد النابلسي : " المتقارب "

دعاني الرشيد إلى دعوةٍ له جمعتْ بين كُل الأمم
وأقبلَ ينْهقُ فيها القَصيح بنغماتِهِ ، فَحمِدنَا الصمم

---

[1] - **الديوان** 212 – 213.

[2] - أم حبين : هي الدويبة المعروفة في بلاد الشام بالحرذون ، ينظر :ابن منظور، لسان العرب مادة (حبن) ، وقيل هي أنثى الحرباء على اعتبار أن الحرباء ذكر والجمع حرابي. ينظر : شاكر هادي ، **الحيوان في الأدب العربي** 291/1.

[3] - **الديوان** : 517 – 518.

ومــــر يــــردد شِــــعر الرشــــيدِ   فمــــا أحــــد ثــــم إلا انْــــزكم[1]

وقد عبر عـدد مـن الـشعراء عـن ثقـتهم الزائـدة بأنفـسهم ، فلـم يعيـروا اهتمامـاً لكـل مـن تـصدى لهـم بالهجـاء ، ولـم يثـر هجـاؤهم غـضبهم مـنهم تقليـلاً مـن شـأنهم ، إلـى درجـة أنهـم لا يـستحقون الوقـوف عنـد أقـوالهم طـويلاً ، فكلهـم عيـوب ولا داعـي لتعـدادها ، ويـذهب هـذا المـذهب الـشاعر يحيى بن حميد الأزدي فـي هجائـه لـشاعر يقـال لـه راجـح الحلـي ، فلـم يجـد فيه خلة حسنة فكلّه عيوب ، فيقول :   " مجزوء الخفيف "

قيــــلَ لــــي راجِــــح[2] **هجــــا   ك فلــــــــم تُجيبــــــــه**

قلــــت مــــن كُلــــه عيــــو   ب بِمــــــــاذا أعيبــــــــه[3]

وقد جمـع بعـض الـشعراء فـي هجائـه بـين ذاتـه وغيـره سـواء أكـان ذلـك مـن الـشعراء أم غيـرهم ، ومـنهم ابـن عنـين حيـث دفعتـه روحـه الـساخرة المرحـة ، وتنـدره واسـتخفافه إلـى الاسـتهزاء بنفـسه والانتقـاص منها وهو بـذلك يـذكرنا بالحطيئـة كمـا نجـده فـي هـذا النمـوذج حيـث يـسخر ويتنـدر مـن نفـسه وابـن شـيت الكاتـب[4] والـشاعر الرشـيد النابلـسي ، فيقول :   " الكامل "

---

1 - **الديوان** : 472.

2 - راجح الحلّي : شرف الدين راجح بن إسماعيل الحلّي ، شاعر الملك الظاهر صلاح الـدين صـاحب حلب ومدحه بقصيدة نال عليها ألف دينار وقد توفي سنة 627 هـ. ينظـر : الـصفدي ، **الـوافي بالوفيات** 53/14 ، ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب** 217/7.

3 - ابن الشعار ، **عقود الجمان** ، 236/8 .

4 - ابن شيت : هو جمال الدين عبد الرحيم بن علي بن شيت الكاتـب بدمـشق ، كـان دينـاً حـسن النثر والنظم ، وتولى الديوان ببلاد قوص ، ثم بالإسـكندرية ، ثـم ببيـت المقـدس ، ثـم بكتابـة الإنشاء للملك المعظم عيسى ، وكان مغرى بكتابة الكيمياء وقـد تـوفي سـنة 625 هـ. ينظـر: أبو شامة المقدسي ، **ذيل الروضـتين** 231/5 – 232 ،ابـن العمـاد الحنبلـي ، **شـذرات الـذهب** 117/5 ، الكتبي ، **فوات الوفيات** 312/2.

أنَـا وابـن شـيتٍ والرشـيد ثلاثـةٌ لا تُرتَجـى فينـا لِخَلْـق الفَائِـدة

من كـل مـن قَـصرتْ يـداه عـن النّـدى يـوم الجـدا وتطـولُ عنـد المائـدة

فكأننـا واو بعمـرو ألحِقـتْ أو إصـبع بـين الأصـابع زائـدة[1]

فالـشاعر يظهـر ظرفـاً وخفـة ظـل ممزوجـة بالعبـث بـالآخرين ، فقـد جرد نفسه ومن هجاهم معـه مـن كـل فـضيلة ، وعـد نفـسه قـبلهم بـلا قيمـة ، وجعل مكانتهم كمكانة حرف الواو في كلمة (عمرو) .

ورغـم العـداء والخـصومة التـي أظهرهـا الـشعراء فـي مـساجلاتهم الـشعرية إلا أن بعـضهم دعـا إلـى تـضامن الـشعراء لمـساعدته علـى هجـاء أبنـاء جيلـه وبـرر ذلـك لحـسدهم ولـؤمهم ؛ ولأن مـادِحهم لا يحـصل إلا أمانيـا وهذا ما فعله فتيان الشاغوري، في قوله :   " مجزوء الرمل "

نَحـن فـي جِيـلٍ لِئـامٍ كلهـم سـخْنَةُ عـين[2]

هجـوهم أَحـسن صِـدقٍ مـدحهم أَكبـر مـين

مـا لِمـن يمـدحهم منـ هـم سِـوى خُفـي حنَـين

فـاهجهم تَلـق الأمـاني مِـنْهم كـابن عنَـين[3]

فالـشاعر فـي الأبيـات الـسابقة يحـرض الـشعراء للتوقـف عـن مـدح الأعيـان لمـا فيـه مـن نفـاقٍ أولاً ، ولأن مـادحهم لا ينـال مـنهم شـيئاً ، وسيعود من عِنْـدهُم بِـلا نـوال إلا كنـوال حنـين مـن خفيـه ، ويـرى أن هنـاك من يستحق الهجو كابن عنين ففي هجوه تبلغ الأماني .

---

1 - **الديوان** : 147.

2 - سخنة عين : الحرارة والحمى وهي كنايـة عـن الحـسد واللـؤم ينظـر:ابـن منظـور،**لـسان العرب** ، مادة (سخن).

3 - **الديوان** : 548.

وقد أظهر الشعراء خلال هذه الفترة وخاصة في تهاجيهم عفوية، وبداهة تنم عن الذكاء ، وسرعة الخاطر ، وعرف ابن ظافر الأزدي تلك البداهة بقوله : " اقتدار الشاعر على القول من غير فكرة ولا أهبة ، باقتدار نازل البئر على النزول من غير حبل ولا آلة "[1] فبمجرد سماع الشاعر كلام من يعرض به في الهجاء يرد عليه سريعاً كسرعة جريان الماء ، مما جعل ألفاظهم تتميز بالسهولة والبساطة والبعد عن التعقيد وخير من يمثل هذا الأسلوب ابن قلاقس فحين هجا الشاعر ابن الذروي ابن قلاقس وعيره بأن لا لحية له ، في قوله : " الخفيف "

لك وجه – أبا الفتوح – أثطٌ ... ما على لعن مثله من جناح

أنِفَ الشَعر أن يلوح عليه ... وهو يبدو على القفا القباح[2]

فقد رسم له صورة قبيحة آلمته وقد دفعت ابن قلاقس أن يرد عليه بداهة، فيقول : " السريع "

يا ذروياً كان في حبه ... جسمي في الرقة كالذر

أقصدتني بالهجر من بعد ما ... أقصدتني من قبلُ بالهجر

وخِفْتَ أن ينطِقَ ثغْري بما ... يبيح أثار حمى الثغر

كُن آمناً فالدهر قد شفعتْ ... أحداثُه فيك مدى الدهر[3]

---

[1] - **بدائع البدائه** 7.

[2] - ينظر : ابن سعيد ، **النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة** 335.

[3] - **الديوان** : 450.

ومثلها في هذا الباب تعرض أحد المغنين يدعى " حسام "ببليقة[1] بالهجاء لابن قلاقس ، فيقول :

اسألوا عنّي فتوح بن قلاقس كيفَ رأى ضرب الشاوح بالدرافس[2]

فيرد عليه ابن قلاقس بكلام فيه سب وشتم ينم عن غضبه مما سمع ، فيقول : " المجتث "

ليس الحسام حساماً وإنّما هو غِمد

يشدو فكم من فؤادٍ تحت السياط يشَد

قد قلتُ إذ تاه فينا تَبظرماً[3] لا يحد

... عليك ولو كان معبد[4] لك عبد[5]

وفي إطار التهاجي بين الشعراء لجأ بعض الشعراء إلى السخرية من مهجويهم مستخدمين المراثي الشعرية وسيلة ومدخلاً ، لتحقيق أهدافهم للنيل من ضحاياهم ، وهي ما يسمى " بالمراثي الهجائية " .

وممن وقعت له أشعار من خلال مطالعاتنا لشعر تلك الفترة الزمنية وعبرت بذلك الأسلوب عرقلة الكلبي الذي جاء ظاهر أبياته في

---

[1] - البليق : هو قسم من أقسام الزجل يتضمن الهزل ، والخلاعة ، والإحماض ، وهي من فنون الأدب العامي وأرفعها رتبة . ينظر : الحلي ، صفي الدين ، **العاطل الحالي والمرخص الغالي** 6 .

[2] - **بدائع البدائه** : 395 . الدرافس : مفردها درفس وهي الضخم والضخمة من الإبل . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (درفس) .

[3] - تبظرم : تبظرم الرجل أي رفع بطرف لسانه شفته العليا ليحف شاربه . ينظر : الزبيدي ، **تاج العروس** ، مادة (بظر) .

[4] - معبد : هو معبد بن وهب أبو عباد المدني ، نابغة الغناء في العصر الأموي ينظر:الزركلي، **الأعلام** 177/8.

[5] - **الديوان** 419.

البكاء على الشاعر الأندلسي " أبي الحكم الأندلسي "[1] رثاء ، لكن معناها فيه هجاء لاذع فهو يدعو له بعدم الرحمة ولا بالسقيا على قبره لفساد عقيدته ودينه، فيقول : " البسيط "

يا عين سحي بدمع ساكبٍ ودمٍ	**على الحكيم الذي يكْنَى أبا الحكمِ**
قد كان لا رحم الرحمن شيبتَه	**ولا سقى قبره من صيبِ الديمِ**
شيخاً يرى الصلواتِ الخمس نافلةً	**ويستحلّ دم الحجاجِ في الحرمِ**[2]

والحديث يطول بنا عن تلك المساجلات الشعرية ، لكن تلك النهضة الشعرية وجدت رواجاً " فكان للتشجيع الذي لقيه الأدباء من ملوك الزنكيين والأيوبيين أثر كبير في رواجه ونفاق سوقه "[3] بل إن بعضاً من أبناء ملوك بني أيوب كانوا من أشهر الشعراء" فقد كان الأفضل بن صلاح الدين شاعراً"[4] ، لذلك حرص الشعراء على إقصاء خصومهم والتقليل من إبداعاتهم بل وإظهارهم في أبشع صورة وتجويد شعرهم لنيل الرضى من جانب الحكام والأمراء ، فكان للمنافسة بين شعراء مصر والشام من الإجادة والإبداع ، أثر في رواج الشعر"[5] ومنه شعر الهجاء وما تضمنه من نقد اجتماعي وسياسي للجوانب السلبية في تلك الحقبة الزمنية .

---

[1] - هو أبو الحكم عبد الله بن المظفر الباهلي ، وهو أندلسي الأصل من أهل المرية ، كان عالماً بالطب ومتقناً للصناعة الطبية أغلب شعره مراثي قصد بها اللعب والمجون ، كان يهاجي بعضاً من الشعراء ويهاجونه ومنهم عرقلة الكلبي توفي بدمشق سنة 549 هـ . ينظر : الصفدي ، **الوافي بالوفيات** 622/17-625 ، ابن أبي أصيبعة ، **عيون الأطباء** 614 – 615، ابن خلكان، **وفيات الأعيان** 123/3 .

[2] - ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء 15 ، ولم ترد الأبيات في ديوان عرقلة ، وهناك أبيات في ديوانه بالموضوع نفسه ، لكن لبذاءتها أترفّع عن ذكرها . ينظر: **ديوانه**: 36.

[3] - أبو الخير ، محمود عبد الله ، **الشعر الشامي في مواجهة الصليبيين** : 75/1.

[4] - ينظر :ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** 37/1 ،القلقشندي ، **صبح الأعشى** 309/6.

[5] - أبو الخير ، محمود عبد الله ، **الشعر الشامي** 78/1.

المبحث الثاني : هجاء ما لا يعقل :

شمل الهجاء في هذه الفترة الزمنية كل مناحي الحياة ، ولم يقف الشعراء عند ذم الأفراد وحدهم ، بل تعدوه إلى ذم بعض الحيوانات والنباتات ، ووسائل اللهو ، ومظاهر الطبيعة وغيرها مما لا إدراك له ، لكنني أود أن أشير إلى أن هذا اللون من الهجاء لم يكن مستحدثاً بل كان شائعاً فيما مضى من عصور سابقة يمكن مطالعته – على سبيل المثال – عند شعراء القرن الثاني الهجري[1] ويمكن أن ندرك من خلاله أذواق الشعراء ونوازعهم ، ومظاهر الحياة في عصرهم ونظرتهم إلى الناس والكون .

ومن النماذج التي يمكن عرضها في هذا المقام ما عبر عنه ابن عنين – حين ذم خروفاً هزيلاً أُهدي له من قبل الشريف الكحال[2] وعده به ، ولم يحصل عليه إلا بعد مدة من الزمن ، وكان الخروف هزيلاً ومن شدة هزاله وصفه الشاعر بأسلوب ساخر ، بعاشق أصيب بمرض العشق ، فأذاب جسمه ونخر عظمه حتى بدا للرائي كالخيال لا يرى يقول فيه : " الطويل "

أتاني خَروفٌ ما شككتُ بِأنّه حليفُ هوى قد شفه الهجر والعذلُ
إذا قام في شمس الظهيرةِ خِلْتَه خيالاً سرى في ظلمةٍ ما له ظِل

---

[1] - ينظر : التميمي ، قحطان رشيد ، **اتجاهات شعر الهجاء في القرن الثاني الهجري** الصفحات من 78 – 85.

[2] - هو برهان الدين أبو الفضل ، أصله من مصر وانتقل إلى الشام ، خدم بصناعة الكحل السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب حتى وفاته ، هجاه العديد من الشعراء . ينظر : ابن أبي أصيبعه، **عيون الأنباء** 660.

فناشدته ما تشتهي قال قتةٌ   وقاسمته ما شقّه قال لي الأكلُ
فأحضرتها خضراء مجاجةَ الثرى   مسلمةً ما حص أوراقها الفتْلُ
فظل يراعِيها بعينٍ ضعيفةٍ   وينشدها والدمع في الخد منْهلُ
"أتت وحياض الموتِ بيني وبينَها   وجادتْ بوصلٍ حين لا ينْفَع الوصلُ"[1]

وليس خروف الكحال أول حيوان يتعرض للذم بل طال الذمُ من قبل الشعراء حيوانات كثيرة دفعت الجاحظ لتأليف كتاب أسماه الحيوان بين فيه ما قالوه في ذمها وأوجُه القبح فيها ، وما يتصل بأصواتها وأشكالها وغير ذلك[2] .

واتجه بعض الشعراء إلى ذم الخمر ، مصوراً ما لها من آثار سيئة على شاربه وأقلها كما يقول الشاعر أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأزدي ذهاب عقل الإنسان ، فيقول :   " الطويل "

فأيسر ما فيها الذي العقل أنّها   إذا ولجتْ في رأسه خرج العقْلُ[3]

ومن الأمور التي تثير الاستغراب أن يذم بعض الشعراء الغيم ، الذي يُعد ظهوره فأل خير للناس ، لأنه ينبئ بالمطر ، والمطر يعني الحياة وإعلاناً لموسم جيد للمزارعين ، وربما دفع الشاعر ظرف خاص به فالشاعر الجرز الكاتب ، يقول :   " السريع "

ما أقبح الغَيم ولو أنّه   يمطِرنا دراً وياقُوتَا

---

1 - **الديوان** : 134 – 135 .

2 - ينظر : **الحيوان**، الصفحات مثلا 247/1 – 257 ، 352/1 – 356 ، 308/2 – 309 .

3 - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 278/1.

فكيــــفَ والآفــــاقُ مغْبـــــرة شـــوهاء لا مـــاء ولا قُوتــــا[1]

وقـد نالـت الـشمس نـصيبها مـن الـذم ، رغـم الفوائـد العظيمـة لهـذا الكوكب لكنها لم تـسلم مـن لـسان ابـن سـناء الملـك ، ويـذكر الـصفدي تعلـيلاً لوجود مثل هـذه الظـاهرة عنـد الـشعراء قـائلاً : " هـذا المعنـى تكلفـه الـشاعر في إظهار معايـب الـشمس ليبـين تفـاوت النـاس فـي البلاغـة وأحـسن مـا فـي هذه القطعـة يـا غلـة المهمـوم "[2] ، فالـشعر بنـاء علـى مـا سـبق متكلـف أراد الـــشاعر مـــن ورائـــه إبـــراز مواهبـــه وقدرتـــه البلاغيـــة، وفيهـــا يقول الشاعر : " السريع "

لا كانَــتِ الــشمس فكَــم أصــدَأتْ صــفْحةَ خــد كالحــسامِ الــصقيل[3]
وكَــم وكَــم صــدتْ بــوادي الكَــرى طَيــفَ خَيــالٍ جــاءني مــن خَلِيــل
وأعــدمتْني مــن نُجــومِ الــدجى ومنــه روض بــين ظِــل ظَليــل
تَكْــذِب فــي العهــدِ ، وبرهانُــه أن ســراب القفْــر منهــا ســليل
وتَحــسب النهــر حــساماً فتَــر تَــاع وتحكــي فيــهِ قَلْــب الــذليل
إن صــدَأَ[4] الطــرفُ فمــا صــقْله إلا التحلـــي بمحيـــاً جميـــل
وهـــي إذا أبـــصرها مبـــصِر حديــد طــرفٍ عــاد عنْهــا كليــل
يــا غُلــةَ[5] المهمــومِ جِلْــدةَ الــ ــمحمومِ يــا زمــرةَ صــب نَحيــل
يــا فُرجــةَ المــشْرِق وقْــتَ الــضحى وســلْحةَ المغْــربِ عِنْــد الأصــيل

[1] - الكتبي ، **فوات الوفيات** 235/4.
[2] - **الغيث المسجم في شرح لامية المعجم** : 263/2 .
[3] - الصقيل:السيف. ينظر : ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة(صقل).
[4] - صدأ : صدأ الطرف بمعنى علته الكدرة والوسخ . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (صدأ) .
[5] - الغُلة : شدة العطش و حرارته. ينظر: ابن منظور ، **لسان العرب**، مادة (غلل).

أَنْتِ عجوزٌ لم تبرجي لي   وقد بدا منكِ لُعاب يسيلْ
وأَنْتِ بالشّيطان قرنانةٌ   فكيفَ تهدينا سواء السبيلْ[1]

فالشاعر يذم الشمس ويعدد سلبياتها فهي مغيرة للألوان ، وتزيل الظل من البساتين ، وهي خادعة لأن شدة حرارتها تخدع الظمآن فيظن السراب ماء ، ويمضي الشاعر في ذمها حتى يصمها بالشيطان وهو اعتقاد عند العرب فلا تصلح للهداية .

وقد هجا الشعراء بعض الألعاب ومجالسها التي كان الناس يمارسونها ولا يزالون فهي كما تسمى لعبة الأذكياء إنها لعبة الشطرنج التي وجه لها عرقلة الكلبي نقده ، ويظهر من ذمه لها أنه يظهر الآثار السيئة التي تتخلل هذه اللعبة بكثرة القيل والقال ، وما يدور فيها من ملاعنة يبدي الشاعر رفضه لذلك الأسلوب ، ونراه يقول :   " السريع "

ما اجتمع الشطْرنْج في مجلس   والنرد ذاتُ القِيل والقال
إلا لعنْتُ الشيخَ نوحاً ولم   أقْصِر من اللّعن على الصولي
لأنها لِقُبح ما عِنْدها   تُقدم الشاة على الفيل[2]

وقد طال الذّم بعض الكتب كما فعل ابن سناء الملك يذم كتاب الخريدة وصاحبها قُبيلَ تصنيفه من قبل العماد الأصفهاني وألحظُ فيها

---

1 - **الديوان** : 481/1 .
2 - **الديوان** : 77 – 78 ،للاستزادة ينظر أبيات للأسعد بن مماتي ، أبو شامة المقدسي ، **الروضتين** 299/2 .

حـسداً وغيـرةً مـن الـشاعر ؛ لأن النعـت لهـا بـالنقص علـى عكـس الحقيقـة التي يدعيها الشاعر ، فيقول :   " السريع "

خَريـــــدةٌ أفيّــــةٌ مِــــن نَتْنِهـــا   كأنهـــا مِـــن ريـــج أنفاسِـــه

قِنِـــــصفه الأول فـــــي ذقنـــــه   ونـــصفها الآخـــر فـــي رأســـه[1]

وإذا كـان التعـريض للخريـدة وصـاحبها أمـراً طبيعيـاً ، فـي ميـدان التهاجي بين الـشعراء مـن خـلال البحـث عـن المعايـب والنـواقص التـي تقلـل من قدر صـاحبها ، ومحاولـة أحـدهم إظهـار التفـوق علـى نـده ، فـإن الغريـب فـي الأمـر أن يستحـسن المهجـو شـتمه ، لـيس هـذا فحـسب ، بـل يرددهمـا ويقــول : " وا لقــد أحــسن وإن أســاء إلــي فــي الهجــاء "[2] وقليــل مــن المهجـوين يـرى أن مـا قيـل فيـه مـن إزراء وتـشهير يبـدو حـسناً كمـا هـو الحال عند الأصفهاني يثني ويستحسن ما قيل فيه .

ولعـل الظـاهرة الأبـرز فـي هجـاء مـا لا يعقـل ، أن يـذهب الـشعراء فـي نقـدهم وهجـائهم إلـى الـزمن المتمثـل فـي شـهور الـسنة ،وتفـضيل أحـد الشهور علـى غيـره،ولابن الـساعاتي الـسبق فـي ذلـك حـين هجـا شـهر آب ، وأوجـد لنفـسه مبـررات وأعـذاراً بالـدعاء عليـه ، ولأنـه شـهر يتميـز بـشدة حـره وسـمومه اللاهبـة ، واشـتكى مـن طولـه ، ومـا جلبـه لـه مـن متاعـب وآلام جعلته ، يقول فيه :   " الخفيف "

قُـــــبح ا آب مـــــا آب شـــــهراً   وابـــتلاه بمـــا بِـــهِ مِـــن سَـــمومِ

كُـــل يـــومٍ بِـــهِ عـــذاب ألـــيم   وهـــو ينْجـــي مـــن العـــذابِ الألـــيمِ

---

[1] - ابن الشعار ، **عقود الجمان** 131/7،ولم يذكر البيتان في ديوانه.

[2] - نفسه : 131/7.

وجـب الـصوم فِيـهِ شَـرعاً قَـصمنا فـي جحِـيمٍ رجـاء قُـربِ الجحِـيمِ[1]
لَـم يكُـن عهـده كريمـاً ولكـنْ ـنَا حفِظْنَـاه للمقـامِ الكَـريمِ[2]

ويبدو لي أن مثل هـذا الهجـاء لـم يكـن جـاداً ، فقـد يكـون الـشعراء قـد ســاقوه مــن قبيــل الدعابــة والتــسلية مــن الظــروف المحيطــة بهــم ، لأن الحروب الصليبية لـم تـدع مجـالاً للراحـة فـأراد الـشعراء أن يقللـوا مـن الكآبـة إذ يقـول شـوقي ضـيف " فـالنفوس لـم تكـن مطويـة علـى مـرح ، وكـان للحروب الـصليبية أثرهـا فـي ذلـك ، فإنهـا خلقـت جـواً مـن الـصراع الكئيـب بين الشرق والغرب "[3] ، لذا حاول الشعراء التخفيف عن أنفسهم .

---

[1] - اعتقد أن الأنسب بعد كلمة " رجاء " أن يقول قرب النعيم لأن ذلك يوافق المعنى.
[2] - **الديوان** : 399/2 ، وينظر: **ديوان عرقلة في هجاء الخريف** 11.
[3] - **الفن ومذاهبه** 491.

المبحث الثالث : مظاهر أخرى :

ومن المظاهر الأخرى التي ذمها الشعراء الفترات العُمرية في حياة الإنسان التي تتمثل في " شبابه وشيبته " ويبدو لي أن هذا النوع من الشعر أقرب للشكوى منه إلى الهجاء ، والشكوى عادة هي نتيجة لأوضاع اقتصادية واجتماعية سيئة في حياة الإنسان .

ويكشف هذا النوع من الهجاء عن شيء من تعاسة الواقع وسوداويته دفعت الشاعر للتعبير عن أيام الحرمان والفقر فذم شبابه ، لأنه لم ينعُم فيه بلذة عيش ولم يُحصل فيه نوالاً ، ولم يكن هذا النوع جديداً على هذه الفترة بل سبق شعراءها آخرون في عصور متقدمة مع تباين في النظرة إلى الشباب بين كثير من الشعراء . فلم تكن صورة الشباب في ذهن ابن الرومي مثلاً " فترة من الزمن ، أو ظواهر من المتعة والعافية ، وإنما يذكر شبابه وهو ينفذ إلى صميمه وباطنه ولبابه الذي لا يُحسب بالأيام"[1] .

أما ابن سناء الملك فيذم شبابه ، ولا يعبر عن لحظة ندم على انقضاء أيامه ، وكيف له أن يفعل ذلك وهو لم يذق فيه سعادةَ لحظة ولم يظفر بعطاءٍ لا بطريق شرعي أو غير شرعي ويفخر بأنه لم يبك عليه كما فعل غيره ، وما درى أن الشباب هو الحياة ولا فرق بين فاقد الشباب وفاقد الحياة ، إذ يقول : " الطويل "

أذم شباباً لم أَذُقْ فيه لذةً ... ولا نِلْتُ منْه لا حراماً ولا حِلاً

---

[1] - العقاد ، عباس محمود ، **ابن الرومي حياته من شعره** 235 .

وأحمـد مِنْـه أنني لـستُ باكيـاً   عليـهِ كمـا يبكِـي سـواي إذا ولّـى[1]

فالشاعر يذم شبابه لأنه يرى أن المتعة بمقدار ما يسعد فيه ، وما يُحصل من هبات وأموال ، ويكون قد خالف نظرة ابن الرومي .

وأكثر الشعراء من ذم الشيب وكراهته ، وصوروا ما جلب عليهم الشيب من هموم وأحزان ، وما أحدث بهم من تغيير في حياتهم فعكّر صفوها ، وحرمها من متع الدنيا ، وأبعد الأحبة عنها .

وفي إطار تلك المعاني ذم الشاغوري إطلالة الشيب في رأسه ، في صور متتابعة تشير إلى ما أحدثه الشيب في نفسه من آلام وأحزان ، فألم الشعرات البيض في نفسه كوخز الحراب ، وظهوره إعلان صدود الأحبة وإغلاق صحف العتاب ، وإشارات الخجل ، وكل شعرة تظهر في رأسه هي يوم تنعب في خراب ، وظل الشاعر يذم الشيب على هذا النحو مضيفاً إلى الصور المقابلات اللطيفة والألفاظ المتجانسة ، فيقول :   " الوافر "

نُـزولُ الـشّيب رحـلَ عـنْس عيـشي[2]   فـسار مودعـاً وصـلَ الكعـابِ

وللـشعراتِ لمـا لُحـن بِيـضاً   بقلبـي مِثْـلَ وخْـزاتِ الحِـرابِ

مـضى زمـن الـصبا فاعتَـضتُ عنْـه   يِطُـول أسـى عليـهِ واكتئـابِ

فَقَـد نَـشَرَ المـشِيب كِتـاب صـد الـ   أحبـةِ وانطـوتْ صـحفُ العِتَـابِ

بيـاض الـشيبِ قَـد سـودتَ وجهـي   فَفِـي تَـسويدِ وجهـك مـا أُحـابي

---

[1] - **الديوان** : 481/2.

[2] - عنْس عيشي : غير حالي إلى الكبر ، وأعنس الشيب رأسه : خالطه . ينظر :ابن منظور، **لسان العرب ،** مادة (عنَس) .

[3] - الكعاب : المرأة حين يبدو ثديها للنهود. ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (كعب).

ألا يـا صـاحِ إنـي غَيـر صـاحِ سـكِرتُ مِـن المـشِيبِ بـلا شَـرابِ

فَـسكري مِـن مـشيبٍ حـلَ عِنـدي محـل البـوم ينـأم[1] فـي الخَـرابِ

كِتَـاب الـشيبِ أبـيض فـي سـوادٍ وهـذا ضِـد معهـودِ الكِتَـابِ

مـصابيح المـشيبِ هـوتْ بليـلٍ فَعاثَـتْ فـي شَـياطِين الـشبابِ

فقَـد صـدت شُـموس الغَيـدِ[2] عنـي صدود الـشمس عـن حـال الـشهابِ[3]

تلك صـور متتابعـة أبـرز فيهـا الـشاعر آلامـه مـن مـشيبه جمـع فيهـا كثيراً من عناصـر الـصورة فبـدا اللـون الأبـيض عنـده شـؤماً فـسود وجهـه ، وجعـل الأسـود علـى غيـر المـألوف أمـلاً ودلـيلاً علـى الحيويـة وعنوانـاً للـشباب ، وغيرهـا مـن الـصور الجميلـة وإن كانـت فـي الـذم ومغـايرة لمواضعها، لكن الموقف تطلّب منه ذلك ليعبر عن أحاسيسه ومشاعره .

ولعـلّ أكثـر الـشعراء ذكـراً للـشيب والـشباب ظـافر الحـداد ، وقـد راوح فـي حديثـه عنهمـا بـين ذم المـشيب ، ومـدح الـشباب ، ومـن مقتـه للـشيب فـي الـرأس تمنّـى موتـه فـي الـشباب وجعـل ذلـك موضـع سـعادته فـالعمر الحقيقـي للإنـسان زمـن الـشباب ومـا بعـده حيـاة زائـدة، وفيه يقول : " الطويل "

شـباب تـولّى مـا إليـه سـبيلُ وشَـيب تَبـدى[4] لـيس منـه مقيـلُ

فهـذا كليـلٌ[5] الوصـل لونـاً ومـدةً وذا كنهـار الهجـر فَهـو طويـلُ

---

[1] - ينأم : ينْئِمُ وينأم نئيماً وهي (صوت الضعيف). ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (نأم) .

[2] - الغيد : مفردها غيداء وهي المرأة الناعمة المتثنية من اللين وقـد تغـادت فـي مـشيتها . ينظـر: ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (غيد) .

[3] - **الديوان** : 48 – 50.

[4] - تبدى : ظهر . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (بدو).

[5] - كليل : ضعيف ، خائر القوى ، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (كلّل) .

فَأطْيَــب عــيش المــرءِ عــصر شــبابِه   ومِــن سَــعدِه لــو مــاتَ حــين يــزولُ

فــلا تحــسبن العمــر بعــد شــبيبةٍ   فكــل حيــاةٍ بعــد ذاك فُــضولُ

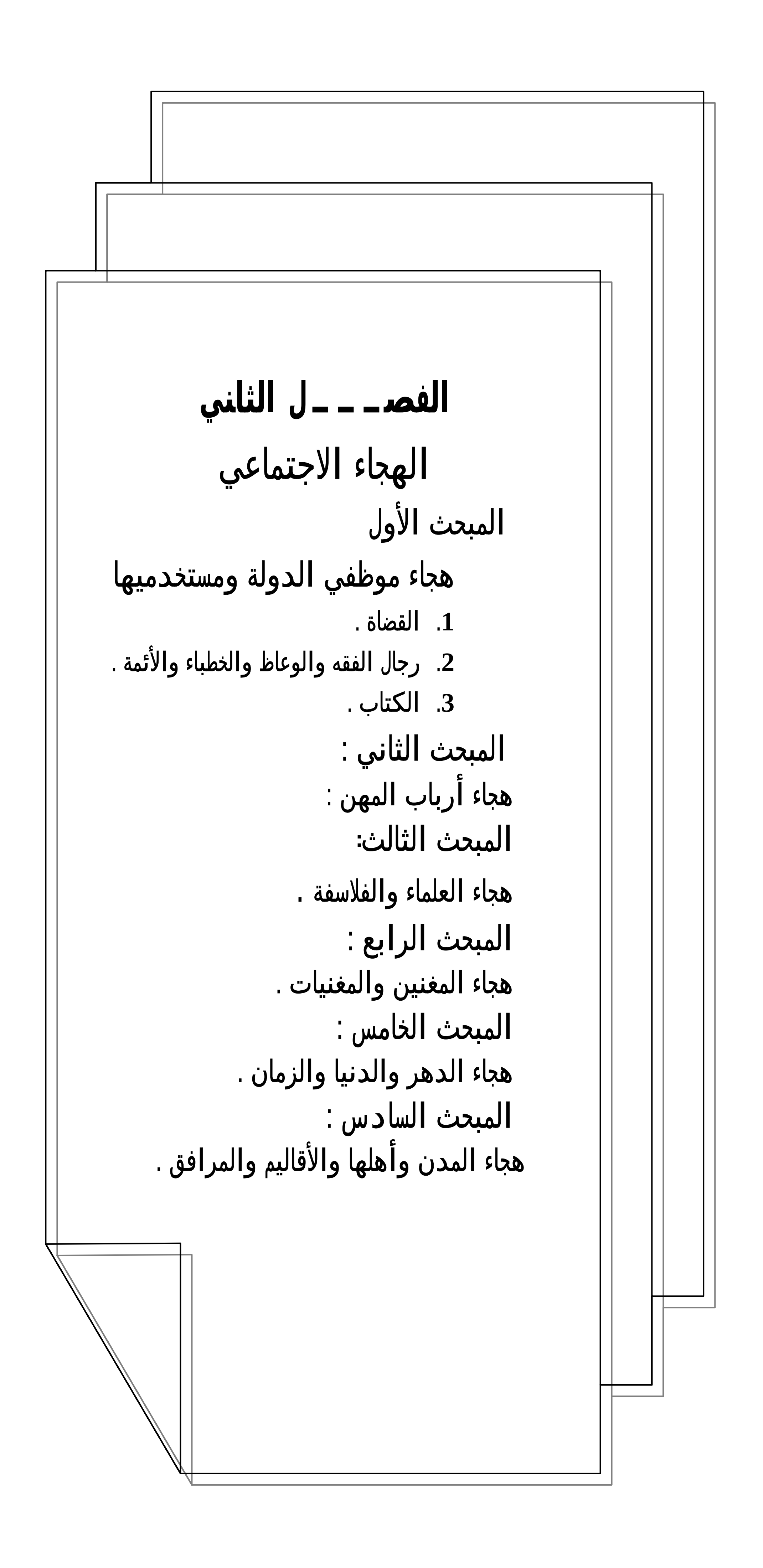
إذا الــشيخُ أثْــرى فَهــو أفْقَــر معــدِمٍ   وإن صــح بعــد الــشّيبِ فَهــو عليــلُ

بكــى النّــاس أيــام الــشبيبةِ قبلنــا   بكــاء أطــالوا فيــه وهــو قليــلُ[1]

فالـشاعر قابـلَ بـين شـباب المـرء وشـيبته، فالـشباب لحظاتـه جميلـة تمر بسرعة بينما شيخوخته طويلة مُمِلة ومؤلمة كأيام هجران المحبوب .

وأخيــراً يبــدو أن الــشعراء فــي مجــال الهجــاء الشخــصي شــمل هجاؤهم كل جوانـب الحيـاة وعبـروا بمـشاعرهم عـن حيـاة الإنـسان وكـل مـا يحيط بهـم فـي هـذا الكـون ، وقـد غلـب علـى أشـعارهم نـزعتهم الشخـصية ، فصوروا تلك المظاهر السلبية للحياة العامة من وجهة نظرهم .

1 - **الديوان** : 247 ، للاستزادة بالمعنى نفسه ينظر : نفسه الصفحات 13 - 16 .



الفصـــــل الثاني

الهجاء الاجتماعي

المبحث الأول

هجاء موظفي الدولة ومستخدميها

1. القضاة .
2. رجال الفقه والوعاظ والخطباء والأئمة .
3. الكتاب .

المبحث الثاني :

هجاء أرباب المهن :

المبحث الثالث:

هجاء العلماء والفلاسفة .

المبحث الرابع :

هجاء المغنين والمغنيات .

المبحث الخامس :

هجاء الدهر والدنيا والزمان .

المبحث السادس :

هجاء المدن وأهلها والأقاليم والمرافق .

الهجاء الاجتماعي :

يجدر بنا الإشارة إلى أن الحديث عن الهجاء الاجتماعي وصوره المختلفة التي نظمها الشعراء ، وعبروا من خلالها عن حياة المجتمع في ظل الدولتين الزنكية والأيوبية ، ليس الهدف منه تجريح العصر والوقوف فقط عند صوره السوداوية ومظاهره السلبية ، سعياً لمحاكمة عصر تلك الدولتين و القائمين على شؤونهما ، وإنما هدف الدراسة الرئيس هو الوقوف على دور الأدب وخاصة الشعر ، على واقع الحياة الاجتماعية ، ومساهمة الشعراء في نقد سلبيات المجتمع من خلال القائمين على تسيير شؤونه بمختلف مستوياتهم ، وإظهار ما حملته أشعارهم من رسائل اجتماعية تريد النهوض بها ، وإيصالها إلى القائمين على أمره ؛ لتنبيههم إلى جوانب التقصير والانحراف، وقد يكون فيها دافع نحو دالة الصواب .

ولعلّ ما يستفاد من قراءة تلك الأشعار إبراز الدارس صورة عن موقف الشعراء لأحداث ذلك العصر وصور حياة أفراده ، فعواطف الشعراء هي وحدها الكفيلة في تصوير الواقع لما تحمله من رقة الأحاسيس والمشاعر ، ورغم التباين في أساليب الشعراء نحو هذا الموضوع ، واختلاف النماذج الشعرية التي تشير إلى تلك المفاسد ،إلا أنها تشير بصورة لافتة إلى وجود توافق ، وتشابه فيما بينها حول تلك المساوئ ، مما يجعل هذا التوافق ليس من قبيل الصدفة ، وإنما إشارة

إلـى إجمـاع علـى صـورة الحيـاة التـي عاشـها أفـراد المجتمـع ، ومـنهم الشعراء في ذلك الزمن .

ويبـدو أن التـداخل الكبيـر فـي مـضامين تلـك الأشـعار ، ومـا تحملـه من صـور اجتماعيـة متعـددة فـي مجـالات النقـد ، تـضع الـدارس فـي حيـرة لتحديد اتجاهاتها ، وبعـد تأمـل تلـك الأشـعار التـي جمعـت فـي هـذا المجـال ، والوقــوف عنــدها طــويلاً واســتقراء مــضامينها المختلفــة ، فقــد ارتــأى الــدارس أن يقــسمها إلــى محــاور رئيــسة ، ثــم تنــاول كــل محــور منهــا بالدراســة والتحليــل لإظهــار الجوانــب الفنيــة التــي صــورتها تلــك الأشــعار بقدر من الواقعية والموضوعية على النحو الآتي :

المبحث الأول : هجاء موظفي الدولة ومستخدميها :

لعـل أبـرز مظـاهر الهجـاء الاجتمـاعي زمـن الـزنكيين والأيـوبيين ذم الــشعراء لعــدد مــن المــستخدمين ، والعمــال ، والمــوظفين الــذين اســتغلوا وظــائفهم فــي ظلــم النــاس واســتبدادهم ، فعمــدوا إلــى كــشف تجــاوزاتهم وتعـدياتهم علـى طبقـات المجتمـع الفقيـرة ، وتراوحـت أشـعارهم بـين الهجـاء الشخــصي ، والــنقض الموضــوعي الهــادف ، فــصوروا بأشــعارهم معانــاة الناس وظـروفهم الـسيئة فـي تلـك الفتـرة ، وأبـدوا مـن خلالهـا دلالات لا لـبس فيهـا عـن مظـاهر الفـساد الاجتمـاعي وظلـم النـاس ، ويمكـن تتـبعهم علـى النحو التالي :

1. هجاء القضاة :

يعـد القاضـي عنوانـاً لعدالـة الدولـة ، ورمـزاً لإحقـاق الحـق ونـصرة المظلـومين ، فهـو أعلـى مـسؤول يـسير شـؤون الرعيـة فـي أمورهـا الدينيـة والدنيوية ، لـذا ينبغـي أن يحمـل صـفات الـورع والتقـوى والعـدل التـي تؤهلـه لهـذا المنـصب الإداري ، وأن يخلّـص نفـسه مـن اتبـاع الهـوى فـي أحكامـه ، وقد تعـرض القـضاة فـي ظـل الـدولتين الزنكيـة والأيوبيـة للنقـد الـلاذع مـن الـشعراء الهجـائين ، والقـدح المقـذع وصـل أحيانـاً إلـى مرتبـة الـسباب ، وربما يكـون الـشعراء علـى حـق فيمـا أظهـروه مـن مـساوئ ومفاسـد لـبعض القضاة ، لكن حكمهـم لا يكـون بـالطبع ظـاهرة عامـة ، فقـد وجـد مـن القـضاة من اتسم في حكمـه بالعـدل ، وبالتـالي يكـون بعـض الـشعراء قـد سـلك هجـاء القضاة بباعث شخصي ليس إلا .

لقـد تعـددت المثالـب والنـواقص التـي طالتهـا ألـسنة الـشعراء للقـضاة ، وجـاءت أولويـة الـشعراء فـي ذم القـضاة تُبنـى علـى أسـاس جـورهم ، وجهلهـم بالأحكـام ونقـص درايـتهم بـالعلوم الفقهيـة ، وقلـة فهمهـم لأمور القضاء الذي يستدعي كل علم[1] .

وكـان أكثـر الـشعراء جـرأة وسـلاطة لـسان فـي هجـو القـضاة وتجريحهم ابن منيـر الطرابلـسي ، فقـد جعـل مـن قاضـي صـور مـادة لتَنَـدره

---

[1] - ينظر: الشهرستاني ، **الملل والنحل** 171/1.

وتهكمه من مهنته بأسلوب ساخر يبدأ باتهام " محمد بن هبة ا "[1] بالجهل ولا يحمل أي صفة تدل على معرفته بالقضاء ، سوى عمامة كبيرة تخفي تحتها وجهاً صغيراً، وقد زينت برسوم وتصاوير لمختلف الحيوانات كالكلاب ، والحمير ، والوحوش والظباء ، وصور للعاهرين والعشاق إذ يقول :   " الخفيف "

هو قاضٍ كما يقولُ ولكن　　　ما عليهِ من القضاء علامه
عِمةٌ تَملأُ الفضاء على وجـ　　　ـهِ ضئيلٍ كعشْر عشْر القُلامه[2]
وعليها من التصاوير ما لم　　　يجمع الدقْس بعضه أو قُمامه
لو تَخِذنا البحر المحيطَ مِداداً　　　وجعلْنا بيتَ الدنا أقلامه
مِن وحوشٍ رواتعٍ وظباءٍ　　　رتعٍ بين أَثْلَةٍ[3] وثُمامه[4]
وكلابٍ قد أُضريتْ وبزاةٍ　　　فوق ما ثورتْ له حوامه
والنبِيون كُلٌّ من أظهر الحقْ　　　قَ وأُورى بصِدقه أَعلامه
فعليها أبو الخلائق قَد عو　　　وض دار الدنيا بدار المقامه[5]

واستمر الشاعر بالإزراء بالقاضي معرضاً لكل صفاته الخُلقية والخلقية والاستهزاء بعلمه واتهامه بالجهل وقلة العقل ، وقد أظهر الشاعر قدرة لغوية وفنية كبيرة في تصوير مهجوه ودلل هجاؤه على

---

1 - هو أبو الفتح محمد بن هبة ا بن إبراهيم بن خلف التميمي ، قاضي صور ، كان ذا مروءة وحسن خلق توفي سنة 532 هـ . ينظر :ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب** 101/4، ابن القلانسي، **تاريخ دمشق** 418.

2 - القلامة: هي المقاومة عن طرف الظفر. ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (قلم).

3 - أثلة : بفتح أولها وإسكان ثانيها وآخرها ها . يظن أنها تلقاء مصر . ينظر : البكري ، عبد ا بن عبد العزيز ، **معجم ما استعجم** 108/1 .

4 - ثُمامة : صخيرات الثمامة إحدى مراحل النبي – صلى ا عليه وسلم – إلى بدر بين السيالة وفرش . ينظر:ياقوت الحموي، **معجم البلدان** 84/2.

5 - **الديوان** : 105 – 106.

ثقافة واسعة تدل عليها تلك الصور المستوحاة من التاريخ والقرآن ، وقد ذهب في السخرية منه بتعنيفٍ من يمالئونه ويرون فيه صفة الإمامة والقضاء فيقول : " الخفيف "

لا تقولوا : كيفَ استطاعتْ ثباتاً فَوقَ رأسي أخَفّ من دوامةْ
غيَر بدعٍ أن تحمِلَ الأرض مِنْها ولها من قرنَيهِ أقْوى دِعامةْ
أحمقٌ لو يقالُ في بلدِ الصين طِراز أمسى بأرض اليمامةْ
كان في بانياس يقْضِي فلا ينْفذُ فِي قدر بعرةٍ أحكامةْ
مكّن ا ُ دريةِي من أعالِي سفّلٍ يدعون فِيهِ الإمامةْ[1]

ويعد العدل بالأحكام وتجنب الجور ، من أهم الصفات المأمولة من القاضي ، وقيل بين الناس إن من يستشعر الظلم من الآخرين ينتظر الإنصاف من القاضي ، وكلما أظهر القاضي العدل في أحكامه أكبرَتْه النفوس ، وأعلت من قدره ، ولكن هناك من القضاة من رماه الشعراء بالجور والظلم فهذا أبو المجد المعري يتذمر من ظلم بعض القضاة في عصره وعسفهم بالرعية ، ويرسم صورة وحشية لأولئك القضاة ، فهم ذئاب تتعقب شاة ، وتوحي الصورة للمظلومين المغلوب على أمرهم ممن لا حول لهم ولا قوة فيقول : " الوافر "

تولى الحكْم بين الناس قوم يِهم نَزلَ البلاء من السماءِ
كأنهم الذئاب إذا تعاوتْ سواغِبها على آثار شاءِ
يقولُ القائلون إذا رأوهم لقد جار القَضاةُ على القَضاءِ[2]

---

[1] - **الديوان** : 108.
[2] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** 12/2.

وقد يلجأ الشاعر في هجوه إلى رسم صورة ساخرة بغرض الإضحاك دون أن يكون بينه وبين المهجو ضغينة أو سخط ، وإنما يعمد فيه الشاعر إلى العبث بأحد الأشخاص ، وإظهاره في صورة هزلية على سبيل التندر والدعابة والظرف ، وكلون من ألوان التسلية ، وإزجاء الفراغ ، وإثبات القدرة على التصوير والإضحاك ، وهو بهذا المعنى نتاج الترف الحضاري[1]، ومن أمثلة ذلك ما أنشده ابن عنين في تصوير القاضي " جمال الدين المصري " حين طلب في وصيته أن يدفن في داره بعد وفاته فاتخذ الشاعر الحادثة موضوعاً هزلياً للتندر والدعابة ينهش به المهجو ،فيقول : " السريع "

ما قَصر المصري في فِعلهِ إذ جعلَ الحفْرةَ في دارهِ

فَخَلّص الأحياء من رجمهِ وخلّص الأمواتَ من نَارهِ[2]

ومن قبح ما رمي به القضاة في هذه الفترة قبولهم الرشوة ، وهي ظاهرة ليست جديدةً على القضاة بل سبقهم في فعلتها قضاة في عصور سابقة[3] غير أن استشراء هذه الظاهرة داء خطير على المجتمع إذ فيها ضياع للحقوق وبث للفساد والتحايل والكذب وكلها أمراض خطيرة تدمر المجتمع ، ولم يكن القضاة المرتشون بمنأى عن عيون

---

1 - ينظر : عيسى ، فوزي سعد ، **الهجاء في الأدب الأندلسي** 187 .

2 - **الديوان** : 238 . ووردت الأبيات في **عقود الجمان** لابن الشعار 152/6 بنص :

ما أقصر المصري في رأيه إذ جعل التربة في داره

فخلّص الأحياء من شره وخلّص الأموات من ناره

3 - ينظر: التميمي،قحطان ، **اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري** 167.

الـشعراء فرصـدوا فـيهم تلـك الخيانـة ، فهـا هـو الـشاعر المـصري أبـو المـشرف الـدجرجي يـزري بقـاضٍ لجـأ إلـى الرشـوة ، وتـرك القـضية بـين الخـصمين بـلا حكـم ؛ حتـى ينـال متاعـاً رخيـصاً مـن أحـدهما ، وشـهر بـه بـذكر عيوبـه دون أن يـذكر اسـمه فـصفاته تـدل عليـه قائلاً : " البسيط "

قـاضٍ إذا انْفَـصلَ الخَـصمان ردهمـا إلــى الخِــصامِ بِحكــمٍ غيــر منْفَــصل

يبدي الزهـادة فـي الـدنيا وزخْرفِهـا جهــراً ويقْبــلُ ســراً بعــرة الجمــل

مهلــلُ الـدهرِ لا فـي وقـتِ هيللـةٍ ويلـزم الـصمتَ وقْـتَ القَـول والعمـل

ومــا أســميه لكنّــي نَعــتّ لكُــم نَعتَــاً أدلكُــم فيــهِ علــى الرجــل[1]

فاسم القاضـي لـم يـذكره الـشاعر، ولكـن صـفاته القبيحـة تعـرف بـه ، وفي ذلك منتهى التحقيـر لـه ، فهـو يقبـل الرشـوة مهمـا صـغرت قيمتهـا ولـو كانــت مقــدار بعــرة الجمــل ، فالقاضــي ذو طبيعــة ازدواجيــة متناقــضة ، فظاهره يدل على ورعه وزهده في الدنيا .

وخلاصــة القــول فــي هــذا الموضــوع أن الــشعراء ركّــزوا هجــاءهم على المثالـب والتجـاوزات التـي تـصدر عـن القـضاة قاصـدين تجريـدهم مـن فـضائلهم وقـيمهم كالجهـل . فمـا فائـدة القاضـي إذا كـان بـلا علـم ولا درايـة مما يدفعه ذلك إلـى الظلـم وقتـل كـل معنـى سـامٍ كمـا يقـول الـشاعر سـلامة السنجاري : " المنسرح "

ضــاقَ بِحفــظِ العلــومِ ذَرعــاً ضــــيقةَ كفّيــــهِ بالأيــــادي

قــاضٍ ولكــن علــى المعــالي والــــدين والعقْــــل والــــسدادِ

---

[1] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 66/2 .

يعـــدِلُ فـــي حكْمِـــهِ ولكـــن إلـــى الرشـــا أو عـــن الرشـــادِ[1]

2. هجاء رجال الفقه والوعاظ والخطباء والأئمة :

وفـــي ســـياق النقـــد لمظـــاهر الحيـــاة الاجتماعيـــة فـــي تلـــك الفتـــرة الزمنيـــة ، نـــال رجـــال الـــدين علـــى مختلـــف مـــستوياتهم ومراكـــزهم الدينيـــة نصيباً من سـخرية الـشعراء ونقـدهم الـلاذع ، ومـن أطـرف النمـاذج مـا قالـه ابن عنين فـي فقيهـين تحـاورا فبـدا عليهمـا الجهـل فـي أصـول الحـوار الـذي يـستند إلـى الحجـة والمنطـق ، مـستغلاً مـزاج النـاس وحـبهم للـسخرية مـن أصحاب الجـاه والـسلطان بألقـابهم ، فـاغتنم الـشاعر مـزاج النـاس واتخـذ مـن لقـــب الفقيهـــين مـــادة تثيـــر الـــسخرية وتبعـــث الـــضحك فـــي نفوســـهم فيقول :   " الكامل "

البغْـــلُ والجـــاموس فـــي جـــدليهما قَـــد أصـــبحا مـــثلاً لِكُـــل منـــاظر

بـــرزا عـــشيةَ ليلـــةٍ فتنـــاظرا هـــــذا بِقَرنَيـــــهِ وذا بالحــــــافِر

مـــا أحكمـــا غَيـــر الـــصياح كأنمـــا لَقِنـــا جِـــدالَ المرتَـــضى بـــن عـــساكر

جلِقَـــان مـــا لهمـــا شَـــبيه ثالـــثٌ إلا رقاعـــــةُ مدلَويـــــهِ[2] الـــــشاعر[3]

---

[1] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** 400/2.

[2] - هو عبد الرحمن بن بدر الحسن ، المعروف بلقب " مدلويه " له مـدائح فـي بعـض ملـوك بنـي أيوب توفي سنة 619 هـ . ينظر: ابن خلكـان ، **وفيـات الأعيـان** 266/5 ، الكتبـي ، **فـوات الوفيات** 275/2.

[3] - **الديوان** : 205.

أمـا ابـن الـساعاتي فيـزري بمهجـوه ويـسلبه فـضائله كلّهـا ، فحـين نظر إلى ذلك الفقيه هدته فراسـته إلـى أنـه سـيء بعيـدةٌ محبتـه يكـن لـه الكـره في قلبه ، ونعتـه بنقـيض صـفاته فالفقيـه جـامع للعلـم عـادة بينمـا هـذا الفقيـه جامع لكل العيوب فلم يبق له صفة حسنة ، وفيه يقول : " الخفيف "

وفَقِيـــهٍ بـــدا فَعاينْـــتُ مِنـــه وجـــه ســـوءٍ إلـــي غَيـــر حبِيـــبِ

قيـلَ : ذا جـامِع فقُلـتُ : صـدقتْم هـــو لا شـــك جـــامع للعيـــوبِ[1]

وقـد وجـه الـشاغوري نقـداً لاذعـاً ، وهجـاءً جارحـاً لأحـد الوعـاظ ، واتخذ الـشاعر مـن اسـم (ابـن جـاموس) صـفة تلازمـه فـي خَلقـه وخُلقـه ، وإمعاناً في قدحـه وصَـفه بأنـه مـن هـذه الفـصيلة مـن الحيوانـات ، ثـم عمـد إليه فجـرده مـن صـفات الـواعظ الـصادق ، وأخـذ ينقـده ويحـذر النـاس مـن حـضور مجـالس وعظـه ،لأنـه كالجـاموس ومكانـه بـين البقـر، وفـي ذلـك قوله : " السريع "

رأيـــتُ بالجـــامِع أعجوبـــةً والنـــاس يـــسعون إليهـــا زمـــر

فقلـــتُ يـــا قـــوم علـــى رِســـلِكم مـــا يعِـــظُ الجـــاموس إلا البقـــر[2]

أمـا عبـد المحـسن الإسـكندري المعـروف بـابن الرقيـق فهجـا واعظـاً يدعى ابـن عبـد القـوي فنعتـه بـالمتكبر والمتغطـرس والمتعجـرف فـي معاملتـه

[1] - **الديوان** : 402/2.

[2] - **الديوان** : 204.

للناس ، أما عقله فخرف لا يدرك شيئاً مما يقوله ، وإمعاناً في إزرائه وتحقيره التقط له صورة من التراث الشعبي مستخدماً الألوان فيذكره بأن لون ثيابه البيضاء لا توحي بصفاء سريرته ولا تدل على فهمه ، صحيح أن اللؤلؤ موضعه الأصداف لكن بياض ثيابه يغطي صدفاً من نوع آخر، وقد استخدم في صورته المجانسة اللفظية للتفريق بين الصدفتين وفي هذا المعنى يقول : " المنسرح "

قل لابن عبد القوي يا خَرِفُ[1] ... علام ذا التيه منْك والصافُ[2]
لا يغْررنْك الثياب أبيضها ... فإنما منْك تَحتَها جِيفُ
فالدر مستَودع حشَا صدفاً ... وأنتَ در في جوفِه صدفُ[3]

إن هذه التصرفات من هذا الفريق منكرة ، وتثير استياء الناس وغضبهم ، لما لهذه الوظائف الدينية من مكانة وهيبة في النفوس .

وعبر عدد من الشعراء عن رفضه مثل تلك التصرفات من رجال الوعظ والدين ، ويعد ابن عنين صاحب القدرة البارعة لما يتمتع به من جرأة ، وسرعة بديهته في السخرية من بعض رجالات الدين فقد أظهر تهكمه من الدولعي خطيب دمشق . فقد طالت خُطبته فنَفَرَ الناس منها لما فيها من الخُطوب وأحدثت في الناس فزعاً وضجراً دَفَعَه إلى أن يقول : " المنسرح "

طولتَ يا دولعِي فقَصر ... وأنتَ في غير ذا مقصر

---

[1] - خرف : خَرِف الرجل : فسد عقله من الكبر ، والخرف فساد العقل من الكبر. ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** مادة (خَرِف).

[2] - الصلف : مجاوزة القدر في الظرف والبراعة والادعاء فوق ذلك تكبراً . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (صلف) .

[3] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 224/2.

خِطابـــةٌ كلهـــا خُطُـــوب وبعــضها للـــورى منَقّـــر[1]

وقـد وقـف الـشعراء عنـد القـائمين علـى إدارات الـشئون الماليـة ينتقـدونهم ، ويـشّهرون بهـم ، ويتهمـونهم بالخيانـة وسـرقة الأمـوال العامـة ، ويعـد اخـتلاس الأمـوال والكـسب بطـرقٍ غيـر مـشروعة ، والـسعي للإثـراء بكافة السبل مـن الظـواهر التـي نـدد بهـا الـشعراء، كمـا فعـل ابـن المـسجف بمقطوعـة شـعرية ينتقـد فيهـا القـائمين علـى بيـت المـال ويـتهمهم بالـسرقة ، ويطلب من أولـي الأمـر تنحيـتهم وإلا خيبـوا آمـال عـصرهم بمـا هـو مـأمول منهم عمله في هذا المنصب الإداري، إذ يقول : " السريع "

وكيلُ بيتِ المـال قـد أصـبح النْــ ـــنَجم وكـم مِـن حولِـه حامـا
فَهـو لِبيـتِ المـال أهـلٌ إذا أسـقطت مـن آخـرِهِ لامـا
وا خَيبـةَ الآمـال فـي عـصرِهِ وضـيعةَ الأمـوال إن دامـا[2]

ويـستمر الـشعراء فـي نقـدهم لتلـك المرافـق الهامـة يعرضـون بفـساد القـائمين عليهـا ويـشَهرون بهـم أمـام عامـة النـاس ، ومثـل هـذا الـشعر الهجـائي أدى دوراً سـامياً فـي المجتمـع ، يـذكّر بمـا ينبغـي أن يكـون عليـه أفـراد المجتمـع مـن كـريم الـسجايا كـالطهر والنقـاء والأمانـة ، وتجنّـب أي مظهـر مـستقبح ومنتقـد ، كمـا يظهـر ذلـك الـشعر الـصورة الواقعيـة لحيـاة المجتمـع فـي تلـك الفتـرة الزمنيـة " فالهجـاء نظـرات نقديـة لـبعض أحـوال المجتمـع تناولهـا شـعراء ذلـك العـصر فـي صـورة سـاخرة ونـستطيع إذا

---

[1] - **الديوان** : 188 وللاستزاده ينظر: نفسه 182 – 183.
[2] - ابن الشعار ، **عقود الجمان** 335/3.

تعمقنا هـذا الهجـاء أن نـدرك الكثيـر ممـا كـان فـي هـذا العـصر "[1] فالـشاعر ناقد ومؤرخ يرسم ما يشاهد ويسمع .

وانتقــد الــشعراء العمــال والــسدنة ممــن يــشرفون علــى إدارة بعــض المؤســسات الدينيــة كالمــساجد والمــدارس ، ويــصورون بأســلوب لاذع ســوء أحــوال تلــك المرافــق بــسبب فــساد القــائمين عليهــا ، وقــد دفــع ســوء تلــك الأحــوال الــشاعر فتيــان الــشاغوري إلــى توجيــه نقــد لاذع لإدارة المدرســة الأمينيـة بدمـشق متهمـاً العـاملين عليهـا بالإسـراف والخيانـة وخـص المـشرف بالإسراف والعمال بأنهم غير مؤتمنين وفي ذلك يقول : " المنسرح "

إن (الأمينيـــــة) إذا شَـــــرفَتْ بمعــشرٍ فــي الــورى لهــا شــان

مــشْرفُهم مــسرفٌ وعـــاملُهم معاهِــــلٌ والأمــــين خَــــوان[2]

3. هجاء الكتاب :

ويقــصد بالكتّــاب أولئــك الأشــخاص الــذين عملــوا فــي دواويــن الدولة ، وتلـك مناصـب إداريـة خطيـرة لكـن تلـك الـدواوين لـم تكـن حديثـة هذه الفتـرة ، بـل وجـدت فـي العـصور التـي سـبقتها ، وعمـل الكاتـب خطيـر فهـو أمـين سـر الدولـة وكـاتم أسـرارها فـلا بـد أن يتـصف بالأمانـة ، ومـن اللافـت أن عـددا مـن الكتّـاب خـلال هـذه المرحلـة هـم شـعراء وقـد تناولنـا بعض أشـعارهم ومـنهم القاضـي الفاضـل ، وابـن سـناء الملـك ، وابـن قـادوس وغيرهم .

[1] - بدوي ، أحمد ، **الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية** 81.
[2] - **الديوان** : 551.

وإذا كانت مكانة الكتاب الحساسة في الدولة موضع مدح الشعراء وثنائهم ، فإن بعضهم لم يسلم من ألسنة الشعراء ، فغدا موضع هجائهم وذمهم لأسباب كثيرة مختلفة ،منها سوء أفعالهم ولؤم طباعهم وأخلاقهم[1] .

وكان ابن دخان[2] أحد المقربين من شاور[3] و أكثر الكتاب عرضة لهجاء عمارة اليمني " فكان كثيراً ما يناكد عمارة ، ويدس له عند شاور "[4] ، فحنق عليه وكشف عيوبه ونعته بالسارق واللئيم ، إذ يقول : " البسيط "

لم يبقَ لابن دخانٍ عِنْدِ خَالقِهِ ... أمنيةٌ يتَمنّاها ويأملُها

لأن حوصلة الملْعوق[5] لو فُتِحتْ ... لأغْنَتِ الناس في مصر حواصِلُها

فاشرب عليها وكُلْ يا بن الخبيثِ فَما ... يخْطِيك عاجِلُ أقْوالِي وآجِلُها[6]

فالشاعر يسخر من مهجوه سخرية لاذعة ، ويركز في نقده له على نقطة الضعف التي تسلبه فضائله الخلقية ألا وهي خيانته وكثرة سرقاته من الديوان ، وليزيد من تجريحه رسم له صورة مادية حسية تثير الضحك منه حين جعل له حوصلة تجمع فيها ما سَرقه .

---

[1] - ينظر : الجاحظ ، **رسائل الجاحظ** 188/2.

[2] - هو إبراهيم بن دخان رئيس ديوان الرواتب في أيام الخليفتين الفائز والعاضد كان يناصب الشاعر العداوة ويحوك له المكائد عند شاور لأجل ذلك هجاه الشاعر بأكثر من مقطوعة نقلاً عن **ديوان** الشاعر عمارة اليمني (الحاشية)صفحة 403.

[3] - شاور:هو شاور بن مجير السعدي وزر للعاضد الفاطمي ، واستند بأمر مصر، واستنجد بالصليبيين على خليفته العاضد . ينظر:ابن تغري بردي،**النجوم الزاهرة** 348/5.

[4] - ينظر : عمارة اليمني ، **النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية** 90.

[5] - الملعوق : اللعوق رجل نكد لئيم الخلق . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (لعق) .

[6] - **الديوان**: 851/2.

وقد أكثر عمارة من هجاء ابن دخان لخيانته الأمانة وقد أسهب في وصف تلك الرذيلة ، وأكثر من أفعال الأمر في هجائه ليدل على بشاعة فعلته إذ يقول : " السريع "

قُلْ لابن دخانٍ إذا جِئْتَه ووجهه يندى من القُرقُفِ[1]
مكّنك الدهر سِبالَ[2] الورى فاحلقْ لحاهم آمناً و انْتِفِ
خلا لك الديوان من ناظرٍ مستيقظ العزم ومن مشْرفِ
فاكسب وحصّلْ وادخر واكتنز واسرقْ وخُن وابطشْ وخُذْ واخْطِفِ
واستغنم الفترةَ من قبل أن يرتفع الإنجيلُ بالمصحفِ[3]

فيرسم له صورة بشعة في السرقة مستخدماً كل الأساليب لجمع المال ، ومستغلاً غياب الرقيب والمحاسب ، وهو بذلك يشير إلى ظاهرة عند ضعاف النفوس يستغلون مناصبهم في الكسب غير المشروع .

ومن الصفات الذميمة التي نعت الشعراء بها الكتّاب الرشوة ، وهي داء خطير في المجتمع لما لها من آثار سلبية ، وها هو ابن المقدام المحلي يصور أحوال الكتّاب في عصره ، وكيف اتخذوا من مناصبهم درعاً لحمايتهم ، ومصدراً للإثراء، والغنى أحلّوه لأنفسهم، ومنعوه عن غيرهم ، وراح يرسم لهم صورة قبيحة تزري بهم فصور فرحتهم لحظة امتداد أيديهم إلى الرشوة بالخيل حين تبصر المخلاة المملوءة

---

[1] - القرقف : الخمر . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (قرقف).
[2] - سبال : جمع سبلة ، وهي الشوارب . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (سبل) .

[3] - الديوان : 700/2، ويمكن ملاحظة الظاهرة نفسها في شعر ابن منكلان، ينظر:العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 42/2.

بالعلف ليجعلهم كالدواب لا هم لها سوى ملء بطونها

فيقول :   " الوافر "

وكُتّابٍ لهم أبداً حماةٌ   تَعُد لهم رقًى مثْلَ الصلال[1]

وكلهم يجر إليهِ نَفْعاً   فعادتُه احتجابي واعتِزالي

بأيدٍ يَبتَدِرن إلى الرشَاوى   كأيدي الخَيل مبصرةُ المخَالي[2]

وقد استخدم بعض الشعراء الكتاب وسيلة للسخرية والسب والشتم وإبداء جوانب فسادهم [3] .

المبحث الثاني : هجاء أرباب المهن .

لم يقف هجاء الشعراء عند مسؤولي الإدارة في الدولة بل تعدوهم إلى أصحاب المهن والصناعات ، فقد طال نقدهم كل مناحي الحياة الاجتماعية ، وتباينت الأهاجي من حيث كميتها في هذا المجال ، فبعضها كان كثيراً بشكل مفرط ، وبعضها اقتصر على مقطوعة أو اثنتين ، ومن أرباب المهن التي وجه إليها نقد الشعراء : الأطباء ، والكحالون ، والمغنون ، والمغنيات ، والتجار ، والحلاقون ، والعلماء .

⌖ **هجاء الأطباء :** يعد الأطباء من أكثر أرباب المهن تعرضاً للهجاء من قبل الشعراء ، ويبدو أن كثرت الأطباء دفعت ابن أبي أصيبعة إلى تأليف كتاب تناول فيه حياتهم وذكر أسماءهم وما ورد من

---

[1] - الصلال ، مفردها صَلّة ، وهي القطع من الأمطار المتفرقة يقع منها الشيء بعد الشيء . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (صلل).

[2] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 47/2 – 48.

[3] - ينظر:**ديوان ابن الساعاتي** 132/1.

أشعارهم[1] ، وأُلفت كتب كثيرة في هذا المجال لكن كتابه تخصص بالعلم نفسه ، وهذا ما تميز به الطبيب ابن أبي أصيبعة عن غيره ، ولعل كثرة الأطباء دليل على التطور العلمي خلال هذه الفترة الزمنية .

وكان الجانب الأبرز الذي هجا به الشعراء الأطباء هو جهلهم وعدم معرفتهم بأصول المهنة فهذا ابن عنين يصف موفق الدين الطبيب[2] بقصور المعرفة في الطب ويجد له في هذا العيب مبرراً لهجائه فيقول : " الوافر "

ورب أخٍ حميمٍ بتُّ ليلي ... أُجرّع من ملامته الحميما

يقولُ : علام من غير اجترامٍ ... هجوتَ موفقَ الدين الحكيما

فَقُلْتُ له تأن فغير عدلٍ ... إذا ما لام من سلم السليما

شَكوتُ إليه من كانون قُراً ... أَبيتُ لِضرهِ أَرعى النجوما

فما أَلوى علي وقَالَ خَلْطٌ ... يزولُ إذا تجنّبتَ اللحوما

فَقَضيتُ الشتاء كما تَقَضى ... شِتا البرغوثِ في ذَقَن ابن سيما[3]

وأكثر فتيان الشاغوري من هجاء طبيب يدعى " نصراً " وطب هذا الرجل يقضي على آجال مستطبة ، وقد أمات الكثيرين منهم ،

---

1 - ينظر: **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** 568.

2 - هو موفق الدين أبو نصر أسعد بن أبي الفتح بن جرجس المطران ، أمير أهل زمانه في صناعة الطب ، نشأ بدمشق ، وخدم الملك الناصر صلاح الدين بمهنته، وكان نصرانياً توفي سنة 587 هـ بدمشق . ينظر: ابن أبي أصيبعة ، **عيون الأنباء** : 651 – 656 .

3 - **الديوان** : 196، وللاستزادة عن الطبيب نفسه . ينظر الديوان : 133 ، 179 ، 193 ، 194. وابن سيما : هو تاج الدين أيوب بن فخر الدين محمود بن عبد اللطيف بن سيما أحد الشيوخ المعدلين بدمشق، وكان والد محتسب دمشق توفي سنة 662 هـ . ينظر :أبو شامة المقدسي، **ذيل الروضتين** 349/5.

فـضحايا الطبيـب مـن النـاس أكثـر مـن ضـحايا الحجـاج بـن يوسـف ، كمـا يقول : " المنسرح "

يا نـصر تُـب فمـا قتـلَ الـ ـ ـحجاج مـا قـد قتلـتَ يـا رجـلُ
بطِبـك مـن طاعـةِ الحِمـامِ لـه يقتُـلُ مـن لا دنـا لـه الأجـلُ[1]

وها هو التاج البلطـي النحـوي يهجـو ابـن عـم لـه يـشتغل فـي الطبابـة ويذكر جهلـه بالمهنـة ، ويرسـم لـه صـورة سـاخرة فيـذكر أن مَـسه للمـريض أثقل مـن يـد الأسـد ، فقـد حـول مهنتـه إلـى حيـوان مفتـرس بقتـل مرضـاه فيقول : " المنسرح "

لِي ابـن عـمٍ حـوى الجهالـة للـ ـ ـحِكْمةِ أضـحى يطِـب فـي البلـدِ
قد اكتفى مـذْ نَـشَا يـدِ ملَـك الـ ـ ـموتِ فمـا إن يبقـي علـى أحـدِ
تَجـس نَـبض المـريض مِنْـه يـد أسـام منهـا بـراثِن الأسـدِ[2]
يقـولُ للنـاس خَلـو عـضداً[3] **فقلـتٌ يـا ليتنـي بـلا عـضدِ**[4]

ومـن الـشعراء مَـن جمـع فـي هجـوه بـين الطبيـب وحمـال الجنـائز ومغسل الأمـوات ، وهـذا مـا فعلـه الـشاعر جـرجس الفيلـسوف النـصراني فـي هجوه لطبيب في قوله : " السريع "

إن أبـا الخيـر[5] **علـى جهلـهِ يخِـف فـي كفتِـهِ القاضِـلُ**

---

[1] - **الديوان** : 361 ، وللاستزادة عن الطبيب نفسه . ينظر **الديوان** : 204 ، 585.

[2] - براثن الأسد كالظفر للإنـسان وهـي المخالـب . ينظـر : الزبيـدي ، **تـاج العـروس** ، مـادة (برثن) .

[3] - العضد : القوة ، وعضد الرجل أعوانه وأنصاره . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (عضد) .

[4] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 387/2 – 388.

[5] - أبو الخير:هو سلامة بن رحمون بن مبارك مـن أطبـاء مـصر وفـضلائها ،كـان يهوديـاً ولـه أعمال حسنة في صناعة الطب.ينظر:ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء** 568.

ثلاثـــةٌ تَـــدخُلُ فـــي دفْعـــةٍ طَلعتُـــــه والـــنعشُ والغَاسِـــــلُ[1]

⌖ هجو الكحالين :

وهـؤلاء مجموعـة ممـن يعملـون فـي كحـل العيـون وقـد انتقـدهم الشعراء لمـا يلحقونـه مـن أذى بعيـون النـاس ، وأطلـق علـيهم أطبـاء العيـون أو مـا يـسمى الكحـالون ، وهـا هـو القاضـي الفاضـل يهجـو طبيبـاً يـدعى الشريف الكحـال[2] ويداعبـه بـصورة سـاخرة ثـم يـذكر مـا ألحقـه بعينـه عنـدما كحله فيقول : " الكامل "

رجـــلٌ تَوكـــلَ لِـــي وكَحلنـــي فَـــدهيتُ فـــي عينـــي[3] وفـــي عينـــي

وخَـــشِيتُ تَنْقُـــلُ نقـــطَ كُحلِيـــةٍ عينَـــي مِـــن عينـــي وفِـــي عينـــي[4]

فـصور الـشاعر مـا يلحقـه مـن ضـرر بطريقـة سـاخرة ، معتمـداً على الألفاظ المتجانسة وتكرار الحروف التي أكسبتها جرساً موسيقياً .

وقـد هجـا ابـن عنـين الكحـال نفـسه ، وبـين مـا ترتـب علـى كحلـه بطريقة ساخرة قيد تكحـل ويـد تعلـن القـضاء فمـا تكـاد يـداه تمـس مبـصراً إلا أصابه العمى وفي ذلك يقول : " مجزوء الكامل "

---

[1] -العماد الأصفهاني،**الخريدة، (قسم شعراء مـصر)** 186/2،ابـن أبـي أصـيبعة،**عيـون الأنبـاء** 568.

[2] - الشريف الكحال : هو برهان الدين أبو الفضل أصـله مـن مـصر وانتقـل إلـى الـشام ، خـدم بصناعة الكحل السلطان الناصر صلاح الـدين .ينظـر:ابـن أبـي أصـيبعة ، **عيـون الأنبـاء** : 660.

[3] - عيني : الأولى : حاسة البصر ، وعيني الثانية : الذهب عامة ، وقيل الدنيا . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (عين) .

[4] - **الديوان** :2/ 438.

كُحــــلُ الـــشريفِ مقـــاربٌ[1]   كـــم نـَــاظرٍ قـــد أغْمَـــضا
تَلْقَـــى الــــدوا بيمينِــــهِ   وشــــمالُه تُعطــــي القَــــضا[2]

ووجــه الــشعراء نقــداً لاذعــاً للكحــالين وكحالــتهم ، وصــوروا الآلام والآثار السيئة التـي أحدثتـه فـي جفـون المرضـى فبـدلت كحالـتُهم عيـونَهم مـن الإبـصار إلـى العمـى وهـذا مـا عبـر عنـه هبـة ا بـن وزيـر قائلاً :   " الوافر "

لنَجــل المــد عبــد ضــر خَلْقــاً   يميــلِ مــالَ عــن طُــرق النجــاح
إذا مــا حــلّ فــي الأجفــان أبــدى   بِــهِ وخْــز الأسِــنة بالرمــاح
لــه كُحــلٌ أعــاذَ ا ُ منْــه   يــسوقُ الــسقْم للحــدق الــصحاح
إذا كحــلَ العيــون بِــهِ تَــساوى   دجــى ليــل المــريض مــع الــصباح[3]

⌖ هجو التجار :

وهنـاك مهـن أخـرى لكنهـا قليلـة تناولهـا الـشعراء بالنقـد والـسخرية ، وهي تأتي من بـاب الدعابـة والنكتـة ، وتعبيـراً عـن المعانـاة مـن الفقـر وسـوء الأحوال الاقتـصادية ، ومـن الـصفات التـي ذمهـا الـشعراء فـي التّجـار الغـلاء وارتفـاع الأسـعار وهـذا مـا فعلــه الــشاغوري حــين انتقــد التجــار دون أن يــذكرهم صــراحة وإنمــا لمــح إلــيهم بــذكر كلمــة " الغــلاء " إذ يقول :   " الكامل "

هـم أطْلقُـوا طَـرفَ الغَـلاءِ فَجاءنَـا   عــن طَــرفِ رخْــص بــالفلاةِ مقيــدا

---

[1] - المقارب : الوسط بين الجيد والرديء . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (قرب) .
[2] - **الديوان** : 218 ، وللاستزادة ينظر : نفسه : 240.
[3] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 142/2.

ما بين جـدبٍ نحـن فيـه ورخـصهم إلا كغُلـــوة[1] سـهم راءٍ جيـدا[2]

فـالغلاء عـادة مـا يفتعلـه التجـار ، فيـذكر الـشاعر أنهـم اكتنـزوا الأمـوال وسـكبوها فـي دورهـم ، فـي حـين تركـوا بقيـة الرعيـة تعـاني مـن الجدب والجوع .

ومن الـصفات التـي ذمهـا الـشاعر فـي التجـار " تطفيـف الكيـل " وقـد رسم الـشاعر عبـد المـنعم الإسـكندري صـورة لمطفـف للكيـل وقـد اتخـذ مـن اسـمه مجـالاً للـسخرية والاسـتهزاء حـين تلاعـب فـي حـروف اسـمه كنـوع مـن النكتـة ورأى أنـه لا يـستحق أن يـسمى حـسناً بـل نحـساً لـسوء فعلـه ، فيقول : " المنسرح "

يـا حـسناً نُونُـه مقدمـةٌ فَـلا رعـاهـا مـن يؤخرهـا
كـلّ أيـادي الـصفي صـافيةٌ لِكـن وزانَهـا يكـدرها[3]

ومـن المهـن التـي طالهـا نقـد الـشعراء وهجـوهم مهنـة " **الحلاقـة** " ومـن النمـاذج الطريفـة التـي نظمهـا الـشعراء ، قـول ظـافر الحـداد يرسـم صورة قبيحـة لمـزين يـدعى " مـسعوداً " فهـو إلـى جانـب قـبح وجهـه يجمـع جهلـه بالمهنـة فمـن يـزره مـرة يحـرم العـودة إليـه مـرة أخـرى وفيـه يقول : " البسيط "

لا أسـعدا مـسعوداً فـصنعتُه كوجهـهِ كُـل قُـبحٍ منْـه مختَـصر

---

[1] - الغلوة : المرة والغاية ، ورمية سهم إلى بعيد وجمعها غلوات وغلاء . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (غلو).
[2] - **الديوان** : 131.
[3] - ابن الشعار ، **عقود الجمان** 127/4.

لا يحلِقُ الرأس إلا مرةً ويها	**تُغْنيهِ عن عودةٍ ما مده العمر**
لأن ألطفَ لمسٍ من أناملهِ	**سلخٌ ، وهلْ بعد سلخٍ ينْبتُ الشعر[1]**

المبحث الثالث : هجاء العلماء والفلاسفة :

لم يقتصر الشعراء في هجوهم ونقدهم الاجتماعي على أصحاب المهن بل طالت ألسنتهم العلماء ومنهم علماء النحو ، فقد ظهر في القرن السادس نحاة عدة ومنهم ملك النحاة ، الذي كان يسخط على كل من يخاطبه بغير لقبه[2] ، وممن هجاه غامزاً به وساخراً من علمه ابن منير فقد استغل الشاعر رسالة له كتبها لأحد القضاة وتصنّع في كلامه فقال " العاصوي " فاستهجنها ابن منير وهجاه قائلاً : " المتقارب "

أيا ملك النجو والحاء من	**تَهجيهِ من نَحتِ قَد أعجموها[3]**
أتانَا قِياسك هذا الذي	**يعجم أشْياء قَد أعربوها**
ولما تَصنعتَ فِي "العاصوي "	**غَدا وجه جهلك فيها وجوها**
وقَالُوا : فَقَا الشيخ إن الملو	**ك إذا دخَلُوا قَرية أفْسدوها[4]**

وقد هاجم الشعراء طبقة النحاة في مقطوعات عدة لكنها اشتملت على ألفاظٍ نابية أترفع عن ذكرها عند بعض الشعراء[5] .

---

[1] - **الديوان** : 133.

[2] - باشا ، عمر موسى ، **الأدب في بلاد الشام في عصر الزنكيين والأيوبيين** 151 .

[3] - النجو : ما يخرج من البطن من ريح وغائط . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (نجا) .

[4] - **الديوان**: 185.

[5] - ينظر :**ديوان ابن عنين** 220.

ومن الشعراء الذين تناولوا النحاة بالتعريض والسخرية الشاعر فتيان الشاغوري ، فقد رسم لمن ادعى معرفته بالنحو صورة مزرية ، ورأى إن كان من مكافأة يستحقها فليس له إلا الصفع والصرف ، ولا غرابة في ذلك ما دام يفتقر إلى العقل ، ويتصف بالفساد الخلقي ،

وفيه يقول : "الوافر"

ونَحوي تكلّم في أقاحٍ فأنبتَ في قفاه الصفعُ وردا

فثغر الأقحوان له ابتسام يحجِّلُ[1] عنقه إذ صار خدّا

فلا تُشلَلْ يد فتكتْ بهِ إذْ رأينا كف ليثٍ صكَّ[2] قِردا[3]

فالشاعر قبح صورته فجعله قرداً ضربه أسد ، ويتشفّى به لما ناله من الصفع فتلك هي جائزة ادعائه بالعلم كذباً .

ولعلّ علماء الفلسفة نالهم من النقد والتجريح ما لم ينله أحد من أشباههم في مضمار العلم والمعرفة وخاصة في عهد بني أيوب " فكانت الدولة الأيوبية عنيفة في معاملة الفلاسفة ، لا تتهاون في تعقبهم ، ولا تتساهل في قتلهم وإبادتهم ولا تقبل منهم جدلاً ،ولا ترضى منهم عملاً"[4] فأصبحوا عرضة للحقد والكراهية لما يحملونه من أفكار تخالف مذهب أهل السنة ومنهم صلاح الدين الأيوبي كما ذكر ابن تغري بردي[1]،

---

[1] - الحجل : البياض ، يقال به حجل أي بياض ، وحجل : بيض . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (حَجلَ).

[2] - صك ومنه صكّه يصكه صكّا وهو الضرب الشديد بالشيء العريض .ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (صكك).

[3] - **الديوان** : 124.

[4] - حمزة ، عبد اللطيف ، **الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي** : 334.

بردي[1]، وغدوا عرضة للتشهير من مؤرخي الأدب كما فعل الأدفوي في ترجمته لقريب له منهم "[2] ، ومن أبرز الشعراء تعريضاً وفضحاً لمسلكهم الشاعر الرحالة ابن جبير ، فقد وصفهم بأنّهم آفات ودهريون لا يقرون بيوم القيامة ويرون الناس كالزرع والحصاد في الوجود إذ يقول : " مخلع البسيط "

قد ثبتَ الغي في العبادِ ... طائفَةُ الكون والفسادِ
يلعنُها الله حيثُ كانت ... فإنّهم آفةُ العبادِ
دهريةٌ لا يرون رسلاً ... ولا يقرون بالمعادِ
يعتَقِدون الأمور دوراً ... والناس كالزرع والحصادِ[3]

وأوغل ابن جبير في ذمهم إلى حد تهديدهم ، وقد تمنى أن يشفي الله غليله منهم فهم مخادعون وكذابون ، وإن ما يظهرونه خلاف ما يضمرونه من سوء المعتقد فهم جماعة لا خير فيهم ولا في علمهم ، فيقول : " المجتث "

قلْ للزنادِق عنّي ... قَولاً هو السيفُ أمضيهِ
أرسلتُ شِعري فيكُم ... يغْزوكُم بقوافيهِ
لعلّكُم أن تَقُولوا ... فَإنّكُم أهلُ تَمويهِ
من كان جاهلَ شيءٍ ... فلا يزالُ يعاديهِ
هيهاتَ بغضي فيكم ... في الله يدريه
وذلك العِلم عِندي ... لا خيرَ فيكُم ولا فيهِ[4]

---

1 - ينظر : **النجوم الزاهرة** 9/6.
2 - **الطالع السعيد** : 75 .
3 - **الديوان** : 39.
4 - نفسه : 103.

ويظهر ابـن جبيـر فـي هجومـه العنيـف علـى الفلاسـفة كراهيـة أهـل الـسنّة لمعتقـداتهم " واعتبـار الدراسـات الفلـسفية دراسـة إلحاديـة ، وأن القائمين بها من العلمـاء زنادقـة "[1] لكـن هـذا الـرأي لـم يتوافـق مـع الفـاطميين الذين قام مذهبهم الشيعي على الفلسفة .

ولم يتوقـف ذم الفلاسـفة علـى ابـن جبيـر وحـده ، بـل شـاركه الـرأي ابـن الـساعاتي الـذي اتهـم المتقـدمين والمتـأخرين مـن علمـائهم بالكـذب والـضلال ، وتزويـر الحقـائق ، وشـن هجومـاً عنيفـاً علـى معتقـداتهم ؛ لأنهـم استنّوا للناس قـوانين باطلـة فقلبـوا الحـق بـاطلاً ، ولجـأ إلـى التوريـة لـلإزراء بهم وتكذيبهم إذ يقول فيهم : " الكامل "

كـذب الفلاسـفةُ الـذين تقـدموا عنـدي ولاحِقُهـم إذاً كالـسابق
وضعوا على الإنـسان حـداً لـم أزلْ أجـذوه[2] فـي سـنن المقـال الـصادق
حتى أتـى الـزرزور[3] وهـو مهـاجِر يـدعو مِـن الزقـزوق[4] أي منـافق[5]

فالـشاعر يـصور كـذب الفلاسـفة بحـدّهم الإنـسان وإلا فكيـف يمكـن لهـذا الـواعظ المهـاجر (الـزرزور) أن يـدعو لهـذا المنـافق (الزقـزوق) ؟ إنها صورة معكوسة حين يتحول الباطل حقاً عندهم .

---

1 - حسين ، محمد كامل ، **في أدب مصر الفاطمية** 88.
2 - أجذوه :جذا الشيء و يجذو جذواً ويعني الزمه.ينظر:ابن منظور، **لسان العرب،** مادة(جذا).
3 - الزرزور : هو طائر بري معـروف ، وفـي البيـت يـشار بـه إلـى واعـظ . ينظـر: ابـن منظور، **لسان العرب** ، مادة (زرزر).
4 - الزقزوق : هو الزقة طائر صغير مـن طيـور المـاء وفـي البيـت يـشار بـه إلـى المنـافق وينظر : ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (زقق).
5 - **الديوان** :159/2.

ومهما يكن من أمر الفلاسفة وما تبدى لنا من مواقف اتجاههم ، فنرى أن كلّ علم نافع ، ما لم يؤد إلى انحراف وسوء في المعتقد للمسلم تجاه خالقه ونبيه .

المبحث الرابع : هجاء المغنّين والمغنّيات :

إن الحيـاة الاقتـصادية فـي عـصر الـزنكيين والأيـوبيين كانـت متباينـة بـين طبقـات المجتمـع ، ويؤكـد هـذا التبـاين مظـاهر الحيـاة الاجتماعيـة التـي سادت في تلك الفتـرة ، وهـذا يـشير ويـدلُ فـي الوقـت نفـسه علـى أن مجتمـع الـزنكيين والأيـوبيين تراوحـت مـستوى المعيـشة فيـه بـين أثريـاء متـرفين ، وبـين فقـراء معـدمين ، فكمـا صـور الـشعراء جانـب الفقـر والحرمـان فـي المجتمـع فـإن لهـم أشـعاراً تـصور الجانـب الآخـر مـن حيـاة النـاس ، وهـي تـؤرخ كـذلك لآثـار الثـراء ، حـين أورد سـقوط الدولـة الفاطميـة واسـتيلاء صلاح الدين الأيوبي على قصور آخر أمرائهم عقب وفاته[1] .

وقـد أدى هـذا الثـراء إلـى انتـشار المغنـين والمغنيـات ، ممـا يـدل علـى أن صـورة المجتمـع فـي ظـل تلـك الظـروف القاسـية التـي مـرت بهـا الأمـة فـي تلـك الفتـرة الزمنيـة ، لـم تكـن كلهـا سـوداوية ، بفعـل الهجمـات الخارجيـة المتمثلـة فـي الـصليبيين والتتـار ، يـضاف إليهـا صـور التعـسف والظلم التي حلّت بالنـاس مـن بعـض الحكـام المـستبدين ، لكنهـا لـم تَخـلُ مـن ظهـور جانـب مـشرق مـن حيـاة المجتمـع التـي عبـر عنهـا شـدو تلـك

---

[1] - ينظر:أبو شامة المقدسـي، **الروضـتين** ، 193/2 – 194 ، وللاسـتزادة حـول مظـاهر الثـراء في هذا العصر ، ينظر : ابن خلكان ،**وفيات الأعيان** 451/2(ترجمة الأفضل الجمالي).

الأصـوات التـي غنّـت لنفـسها وللبائـسين لعلّهـا تـروح عنهـا ، وتبعـث فيهـا أمل الحياة .

ويبـدو أن الـشعراء فـي هـذه الفتـرة الزمنيـة لـم يتركـوا شـيئاً مـن مظاهر الحيـاة الاجتماعيـة إلا طالتـه ألـسنتهم بالنقـد والتجـريح ممـا يـدل علـى أن الهجـائين لـم يعجـبهم كـلّ المغنـين والمغنيـات ، فكـان الحـظ الخاسـر مـن نـصيب بعـضهم ، فجـاء هجـاء الـشعراء لهـذه الطبقـة وفـق الـصفات التـي يجـب أن تتـوافر فـيهم وحـالهم مـن النقـد كحـال غيـرهم مـن بقيـة أفـراد المجتمع .

ومــن أبــرز الــصفات التــي ذمهــا الــشعراء فــي هــؤلاء المغنــين أصواتهم ، وهذا ما عبـر عنـه ابـن قلاقـس حـين ذم زامـراً راسـماً لـه صـورة ساخرة فهو لم يكتـف بـذم تنـافر صـوته مـع إيقاعـه بـل أضـاف فـي سـخريته مــشهد التنــافر بــين طــول رقبــة الزامــر وقِــصَر نَفَــسِهِ فيقــول فيه : " المتقارب "

ينـــافر إيقاعـــه صـــوتُه فهـــذا يزيـــد وذا يـــنقص
ويتْبعـــه زامـــر مِثلـــه تَليـــع[1] لـــه نَفَـــس أوقَـــص[2]
فـــإن قـــام مـــا بيننـــا راقـــصاً لِكـــلٍ إلـــى بيتِـــهِ يـــرقص[3]

فالـشاعر يجعـل بـشاعة صـوت المغنـي تنفـر النـاس منـه فيهربـون مسرعين إلى بيوتهم .

---

[1] - تليع : طويل الرقبة . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (تلع) .
[2] - أوقص : الأوقص قصير الرقبة. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (وقص).
[3] - الـديوان : 162 ، وللاسـتزادة ينظـر ديوانـه : 569 ،العمـاد الأصـفهاني ، **الخريـدة(قـسم شعراء مصر)** 1/162.

أمـا عرقلـة الكلبـي فَيـشبه صـوت المغنـي ووقعـه علـى الأسـماع بصورة وقع السوط الـلاذع علـى الأجـسام ويعبـر عـن هـذا المعنـى فـي هجـو مغن اسمه علي ، فيقول : " مجزوء الوافر "

عِلِـــي صـــوتُه ســـوطٌ — علينــــا لا علــــى القَــــرس
وجملـــةُ ضـــربِهِ ضـــرب — لمــــــــدرعٍ ومتــــــــرس[1]
يقـــولُ الـــسامعون لـــه — رمــــــاه ا بــــــالخَرس
وخَـــذْ يـــا رب مهجتَـــه — إذا غنّــــى خـــذي نَفْــــسي[2]

فـصوته لا يتناسـب مـع رقّـة ألفاظـه ممـا دفـع الـسامعين أن يـدعوا عليه بالخرس والموت .

ولعـل عذوبـة الـصوت وطريقـة الأداء فـي الغنـاء وهـدوء الإيقـاع من حـسنات الغنـاء ، فـإن لـم يلتـزم المغنـي بتلـك الـصفات ، صـار موضـع النقد والتجريح إلـى الحـد الـذي دفـع الـشاعر محاسـن الـشواء أن يـدعو علـى مهجـوه بـالموت ، وأن تـصاب عينـاه وكفـاه بالاضـطراب كإيقـاع صـوته المضطرب عند الغناء ، وفي ذلك يقول : " الطويل "

تمنّيتُ إذْ غَنـى وصـفق لـو قَـضى — إلـه الـورى قَبـلَ الـسكوتِ بموتـه
فيـا ليـتَ عينيـهِ وكفّيـهِ أصـبحتْ — كإيقاعِـهِ عِنْـد الغِنَـاء وصـوته[3]

فلا تناسق بين إيقاع المغني وصوته لسرعته.

---

1 - مدرع : لابس الدرس والمترس : من لبس التّرس.ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادتي(درع وترس) .

2 - **الـديوان** : 553 ، وعبـارة " خـذي نَفَـسي " مـأخوذة مـن بيـت الـشريف الرضـي مـن قوله : " الطويل "

خذي نفسي يا ريح من جانب الحمى — فلاقي به ليلاً نسيم ربى نجـد

ينظر **ديوانه** : 431/1.

3 - ابن الشعار ، **عقود الجمان** 168/10.

وقد نالت المغنيات نصيبهن من ذم الشواء ، فقد جمع في عوادته كل الصفات القبيحة ، ونزع كل المواصفات الحسنة في المغنية فهي ضعيفة البدن ، يعتريها الجهل ، شيخة كبيرة ، وجهها قبيح ، لا تناسق بين صوتها وإيقاعها ، إذا لمست يداها أوتار عودها بعثت الضجر في نفوس سامعيها للكنةٍ في لسانها ولتشويه صورتها شبه أوتار عودها عند الاهتزاز كحبال الصوف المشدودة على الحجارة ،يقول في ذلك : " المنسرح "

تَبـاً لِعوادةٍ قصيرةِ بـا ... ع الفهم جهلاً طويلةِ العمر
خارجةِ الضربِ والغناءِ معاً ... تُريك وجهاً من أقبح الصور
يذهب مضرابها وأُنْملها ... في الجس والضربِ لِذةُ الوتر
بِعودِها إذا تَجسه لكن ... يقْضي بجلاسِها إلى الضجر
كأن أوتاره إذا قُرعتْ ... حبالُ صوفٍ شُدتْ على حجر[1]

وإذا كان جمال الوجه من المواصفات المفضلة للمغنية ، فإن بعضهن فقد تلك المواصفات ، فأصبحت مادة للتندر والسخرية من الشعراء كما فعل القاضي الفاضل راسماً صورة كاريكاتورية لقينة قبيحة الوجه ، منَفّرة للسمع إذا غنّت تصم المسامع ، فيقول : "المنسرح "

وقينَةٍ كل وجهها أنفٌ ... كأنما وجهها له خَلْفُ
غنّتْ فلَم تَبقَ في جارحةٌ ... إلا تمنيتُ أنها كَفُ[2]

[1] - ابن الشعار ، **عقود الجمان** 177/10.

[2] - **الديوان** :2/ 426 ، وينظر: المعنى نفسه **ديوان العرقلة** 88.

المبحث الخامس : هجاء الدهر والدنيا والزمن :

كثـر الـشعر الـذي اسـتخدمه الـشعراء فـي العهـدين الزنكـي والأيـوبي في نقـد الـدهر وذم الـدنيا بـصورة لافتـة ، وقـد بـرزت هـذه الظـاهرة عنـد العديـد مـن الـشعراء ، ولعـلّ تلـك الأنّـات والزفـرات تعبيـر عـن البـؤس والحرمان " فـسوء أمـور النـاس وفقـرهم دفـع إلـى تلـك الألـوان الهجائيـة ، وكـذلك النظـام الاجتمـاعي، ووصـول جماعـة مـن النـاس إلـى مراتـب الجـاه والـسلطة ، وحـصول آخـرين علـى المـال الـوفير حتـى بلـغ بهـم الغنـى والثـراء العـريض ممـا جعـل النـاس يتحاسـدون ويتحاقـدون ، وينظـر بعـضهم إلـى بعـض ، فيـرى المتخلـف فـي المتقـدم الثـري أنـه لا يمتـاز عنـه فـي شيء ، بـل قـد يـرى نفـسه متقـدماً عليـه علمـاً ومعرفـة وذكـاء ، لهـذا فهـم يرون أن من وصل من الناس إلـى مـا وصـل إليـه مـن جـاه أو مـال إنمـا كـان في غفلة من الزمن "[1] .

وقد دفعـت الأحـداث التـي مـرت بهـا المجتمعـات ، ومـا عانـاه النـاس من أوضاع اقتصادية مترديـة فـي تلـك الفتـرة ، ومـا رافـق ذلـك مـن اسـتبداد لبعض المتنفـذين فـي مراكـز الـسلطة وأصـحاب الجـاه إلـى أن يتجـاوز الـشعر هجـاء الأفـراد إلـى هجـاء النـاس جميعـاً ، وهجـاء الـزمن والـدهر ، لأن الشاعر لم يجد قبساً يضيء لـه ذلـك النفـق المظلـم فيخلـصه ممـا هـو فيـه مـن شقاء وفقر سوى لـسانه يـسلطه علـى الجميـع حتـى دفعـت تلـك الأوضـاع أحـد

---

[1] - سلام ، محمد زغلول ، **الأدب في العصر الأيوبي** 237.

الشعراء إلى ذم جيل وزمن بأكمله وهو المسجف العسقلاني ، قائلاً : " مجزوء الرمل "

أنَا في جيلٍ خسيس وقبيلٍ وزمان
أمدحُ السلطانَ كي يصـ ـبح مالي في أمان[1]

ووصل المهذّب بن الزبير في ذمه للزمن إلى فقدان الأمل في كل الناس فلم يعد يثق بأحد ولا حتى بنفسه ، يقول : " البسيط "

كم كُنتُ أسمع أن الدهر ذو غِيرٍ فاليوم بالخُبر استغني عن الخَبرِ
تشابه الناس في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ تشابه الناس والأصنامِ في الصور
ولم أَثِقْ قطّ من خَلْقٍ على ثقةٍ إلا وأصبح من عقلي على غَرر[2]

ويهجو ابن الخياط الدهر وينعته بالظالم ، ويصفه باللئيم ، فهو لا يساوي بين الناس في سعيهم ، يمنع بظلمه العطاء عن الصابرين المثابرين الأقوياء ، ويمنح العاجزين الكسالى الذين يبطئون ولا يجدون في سعيهم . وتلك معادلة ظالمة في نظره ، فيقول : " الطويل "

كأن صروفَ الدهر ليس يعدها صروفاً إذا مكّروهن عداني
ولو أن غير الدهر بالجور قادني جمحتُ ولكن في يديه عِنَاني
قعدتُ بمجرى الحادثاتِ معرضاً لأسبابها ما شئْن فِي أتَاني
مصاحب أيامٍ تَجر ذُيولها على بأنواعٍ من الحدثان
وقد يحرم الجلْد الحريص مرامه ويعطى مناه العاجز المتَواني
وحط علي الدهر أثقالَ لؤمه وتلك التي يعيا بها الثّقلان[3]

---

1 - الكتبي ، **فوات الوفيات** 536/1.
2 - سالم ، محمد عبد الحميد ، **شعر المهذب بن الزبير** : 196.
3 - **الديوان** : 19 – 20.

فالشاعر صب جام غضبه على الدهر فهو سبب تعاسته فقد حمله من المصائب ما يعجز عنها الإنس والجن.

ويظهر الشاعر الشواء الدنيا ستارة سوداء قاتمة ، لا يطاق منها عيشُ ، حاقدة تكره من أحبها وتبغضه ، فقد أضعفت قواه وغيرت أحواله وبدلت بهمومها وأحزانها شبابه إلى شيخوخته ، وليس هذا بغريب عليها فهي كالنار تحول الفحم الأسود إلى رماد ، فيقول : " مجزوء الكامل "

تَبّاً لدنيا أحدثت   في عالم الكون الفسادا
نهوى البقاء بها فتُبـ   ـغِضنَا وتُفْنِينَا عِنادا
جارتْ فأضعفتِ القوي   مِنّا وبيضتِ السوادا
كالنّار إذا يلقى بها   فَحم فتَجعلُه رمادا[1]

أما نبأ الزعفراني فيذهب في ذمه إلى جعل الزمان خصماً له ، فهو الذي يحرمه مظاهر السعادة ، كما أنه لا يعدل فيرفع الجاهلين الأغبياء رغم جهلهم ، وينيخ بكلكله عن أصحاب العقول رغم رجاحة عقولهم ، فيقول : " الخفيف "

قاتَلَ ا ُ ذا الزمانَ فما يسـ   ـمح يوماً بِما يسر فُؤادي
كُلّما رمتُ مِن زماني إسعا   داً قضى لِي مِن دونه بالعنادِ
يا لِقومي كيفَ احتِياجِي وقد صا   ر زماني من جملة الأضدادِ
ينْفِقُ الجاهلون فيهِ مع الجهـ   ـل ويمنَى ذَوو النّهى بالكَسادِ[2]

---

[1] - ابن الشعار ، **عقود الجمان** 172/10.

[2] - نفسه : 92/8.

ولعلّ الشعراء في نقدهم للزمن رغبوا في إظهار بعض التناقضات التي كانت تسود المجتمعات في تلك الفترة والاضطراب بين طبقات الناس ومن ذلك ما عبر عنه أسامة بن منقذ عن تناقض الواقع الاجتماعي في زمنه ، إذ يقول : " السريع "

زهّدني في العقل أنّي أرى عناية الأيام بالجهل
والدهر كالميزان : ذو الفضل ينْحطّ ، وذو النقصان يستعلي[1]

فالشاعر يعبر عن غضبه ورفضه لتلك المعادلة المغلوطة ، وقد رسم صورة لتلك المعادلة المغلوطة بالميزان ، فالميزان يعطي الكيل حقه بينما الدهر ينزل شأن ذوي الفضل ويعلي ذوي النقصان ، ومن العجائب أن يستخدم الميزان في غير موضعه .

ويذهب ابن سناء الملك في ذمه للدنيا ونقده للزمن ، ليعبر من خلالها عما يعانيه فيها من خيانة الأصدقاء وغدرهم ، فأصبحت الخيانة والغدر طبعاً ورثُوه عن أبويهم ، حين صور الزمان أباً والدنيا أماً،والناس الخائنين أولاداً لهم، إذ يقول : " الكامل "

أتَخُون يا سكني؟ فقالَ : نَعم لي في الخيانةِ نِسبةٌ علياء
لِم لا أخون ولم أفي أبداً وأبي الزمان وأمي الدنياء[2]

---

[1] - **الديوان** : 258.
[2] - **الديوان** : 472/2.

ومن المتناقضات التي ساقها الشعراء في هذا الضرب من الهجو الاجتماعي ما قاله ابن الفراش[1] في تصوير الأحوال السيئة وما يتمنى أن يكون عليه الواقع للمجتمع ، قوله : " المتقارب "

فتبـاً لـدهرٍ يعِـز اللئـام ... وقـدر الكـلامِ بِـه مطـرح

ذلـولٌ إذا مـا امتطـاه الجهـولُ ... ومـا رامـه الحـر إلا جمِـح

لقد شاه في الناس وجه القريض ... ولـم يبـقَ فـي دهرنَـا ممتـدح

وقـد طُمِـستْ أوجـه المكْرمـاتِ ... وقَـد عطلـتْ هجنُهـا والصرح[2]

والبيت الرابع يشف عما في نفس الشاعر من نقمة على الزمن وجوره كما يبدو وهي الحاجة .

المبحث السادس : هجاء المدن وأهلها والأقاليم والمرافق .

ذم الشعراء في مصر والشام كل ما لا يرتضونه من مظاهر الحياة المختلفة ، أفراداً ، وجماعات ، ومدناً ، وأقاليم ، ودور سكن ، ومرافق عامة ، وربما هجوها من خلال الطعن بأهلها وساكنيها، وقد كثرت شكواهم من الناس وأخلاقهم وطبائعهم ، وفشا الذم من الزمان ، والأهل والأقارب والأصحاب ، والبلد والقطر والإقليم ، فقالوا كثيراً مما لا يحصيه عد ، حتى كان لهم باب في هجاء المدن والبلاد ، دخله

---

[1] - ابن الفراش : هو القاضي شمس الدين أبو عبد ا محمد بن محمد ، شاعر دمشق عمل في خدمة نور الدين زنكي ومن بعده صلاح الدين الأيوبي توفي سنة 588 هـ . ينظر :العماد الأصفهاني، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** 289/1 ،الزركلي،**الأعلام** 26/7.

[2] - العماد الأصفهاني ،**الخريدة (قسم شعراء الشام)** 293/1 .

شـعراؤهم ليحطّـوا مـن قـدر المكـان وسـكانه[1]، ولـم يكـن هـذا اللـون مـن الهجاء وليـد عهـد الـزنكيين والأيـوبيين وإنمـا كـان امتـداداً لمـن تقـدمهم فيـه من الشعراء في عصور سابقة [2] .

ويبــدو لــي أن التطــور الــذي شــمل المــدن والأقــاليم فــي نواحيــه المتعـددة حـضارياً وعمرانيـاً ، ومـا أقامـه الـشعراء مـن علاقـات مـع أمـراء وحكام وسـكان تلـك المنـاطق ، كـان لـه عظـيم الأثـر علـى نفـسية الـشعراء وتوجهــاتهم وســلوكهم ، ومــن الطبيعــي أن يكــون لــوفرة أســباب الراحــة ، ورغــد العــيش ، والعلاقــات الجيــدة ، وحــسن المعاملــة ، ومــا يتحقــق مــن طموحــات لــدى الــشعراء فــي تلــك الأمــاكن دور فــي جــذب الــشعراء أو نفــورهم ، فتحقــق الأســباب الــسابقة مــع غيرهــا مــن الظــروف الأخــرى وفقدانها تحـدد سـلوك الـشعراء فـي نظـم أشـعارهم واسـتخدامها فـي المـدح أو القدح .

***1* هجاء المدن وأهلها :**

تعرض الشعراء خـلال هـذه الفتـرة فـي هجـائهم لمـدن كثيـرة فـي كـل مـن الـشام ومـصر والعـراق وغيرهـا مـن أقـاليم الدولـة الإسـلامية ، ولعـلّ كثرة الهجاء لمـدن الـشام ينـاقض مـدح مـدنها الـذي أفـرده لهـا شـفيق الرقـب في دراسته[3] وهـذا يـدلل علـى اخـتلاف دوافـع الـشعراء تجـاه هـذا اللـون مـن

---

[1] - ينظر: الدهان ، سامي ، **الهجاء " سلسلة فنون الأدب العربي "** 87.

[2] - ينظر: حسين ، محمد محمد ، **الهجاء والهجـاؤون فـي صـدر الإسـلام** 34 – 40 ؛ هـدارة مـصطفى : **اتجاهـات الـشعر فـي القـرن الثـاني الهجـري** 430 - 431 ،التميمـي ، **اتجاهات الهجاء في القرن الثالث** 85 – 91.

[3] - ينظر: **الـشعر العربـي فـي بـلاد الـشام فـي القـرن الـسادس الهجـري** الـصفحات مـن 288 – 291.

الهجـاء ، ويجعلنـا نتفـق مـع مـا ذهـب إليـه قحطـان التميمـي فـي قولـه : " وليس من شـك فـي أن الإنـسان يـأنس بالمكـان حـين يـأنس بأهلـه ، ويـضيق بـه ويـضجر بـه حـين يلقـى مـن أهلـه الإهمـال وسـوء العـشرة "[1] فـالأنس والـضجر والـسعادة والـشقاء عنـد الـشعراء مـؤثرات الحـب والكـره للمكـان ، وما يتحقق منهـا يحـدد شـعور الـشاعر بالرضـى والغـضب فيميـل إمـا للمـدح أو الذم .

وقـد صـب الـشعراء جـم غـضبهم ولهيـب ألـسنتهم علـى مـدن الـشام وأهلهـا ، وكانـت دمـشق – عاصـمة الخلافـة الأمويـة وحاضـرتها الزاهـرة أيـام الأمـويين – أكثـر المـدن تعرضـاً للـذم والانتقـاص سـواء كـان ذلك بذكرها مباشـرة أو مـن خـلال ذكـر أحيائهـا وأمـاكن سـكناها ، ويعـد ابـن عنـين أكثـر الـشعراء حـدة وأشـدهم قـسوةً فـي ذمهـا ، وذم أهلهـا خاصـتهم وعـامتهم ولـه فيهـا قـصيدة تـسمى " مقـراض الأعـراض " زادت أبياتهـا المذكورة عن خمـسين بيتـاً ،هجـا فيهـا كـلّ أهلهـا شـمل القـضاة ، والخطبـاء ، والفقهـاء بـأقبح الألفـاظ وأبـشع الـصور ، خـرج فيهـا عـن حـدود اللياقـة الأدبية وعما يلتزم بـه المـرء مـن عـرف وتقاليـد فـي صـفة الحـديث ، جَعَلَـتْ الباحـث يترفـع عـن ذكرهـا فـي بحثـه ويتـرك للقـارئ حريـة العـودة إليهـا والاكتفاء بذكر مطلعها ،إذ يقول فيها : " المنسرح "

أضـالِع تَنْطـوي علـى كُـرَبِ ومقْلـةٌ مـستهلةُ الغَـربِ
شَـوقاً إلـى سـاكِني دِمـشقَ فَـلا عـدتْ رباهـا مـواطِر الـسحبِ[2]

[1] - **اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري** 86.
[2] - **الديوان** : 179 - 184.

وقـد ذم ابـن دنينيـر دمـشق ووصـفها بأنهـا تخلـو مـن الراحـة بـلا جـاه ولا مـال لمـن يـسكنها ، ولا يرتجـى أي خيـر مـن أهلهـا فهـم لؤمـاء وخصها ا بكل سوء ، فيقول : " السريع "

لا يرتَجــى مِــن جِلّــقٍ راحــةٌ كـــــلا ولا مـــــالٌ ولا جـــــاه
مدينـــةٌ لِلّـــومِ قَـــد شُـــيدتْ وبِــــالخَنى قَـــــد خــــصها ا ُ
الــصفع .... بِهـــا وإِفـــر إذ خَـــزرجٌ[1] فِيهـــا وابنَـــاه[2]

وواضـح للقـارئ دافـع الـشاعر للهجـاء ، وهـو دافـع مـادي فلـم يحصل فيها مالاً ولا جاهاً.

أمـا فتيـان الـشاغوري فـلا يخدعـه طيـب نـسيمها ، فظـاهره شـهد سرعان مـا يدركـه المـرء حـين يجربـه ، فيجـده ممزوجـاً بالـسم وكـل نـسمة يتنفسها زائرها سكين تجرح ويظهر ذلك ، في قوله : " الطويل "

تُخادِعنَــا الــدنيا بِطِيــبِ نَــسِيمِها ومــا هــو إلا الــشهد خالطَــه الــسم
وتلتَــذ بالأنْفَــاس جهــلاً نفوســنا ومــا نَفَــس إلا وفِيهــا لهــا كلْــم[3]

وقـد لجـأ بعـض الـشعراء فـي ذمهـم لمدينـة دمـشق إلـى أسـلوب الحكايـة ، وهـو أسـلوب قصـصي يقـوم علـى الحـوار تـصطنعه براعـة الشاعر لـشد الانتبـاه والتـشويق كمـا فعـل أبـو عبـد ا الأشـتري فـي ذمهـا ، بقوله : " المتقارب "

يقولــون لــي : جلــقٌ جنّــةٌ مزخْرفَـــــةٌ لِلْـــــورى مفتنَـــــه

---

[1] - خزرج : اسم شخص لم أهتد لترجمته ، أما ابناه فكانا كما ذكر فيهما الشاعر الصفع ... .

[2] - **الديوان** : 592 .

[3] - **الديوان** : 465 ، و الكلم : الجرح والجمع كلوم وكلام . ينظـر:ابـن منظـور، **لـسان العـرب**، مادة (كلم).

فقالـتُ ومـا إن بِهـا محـسن	**يـرى للغريـب ولا محـسِنه**
إذا قُطِـع المـاء منهـا غـدتْ	**كأربابِهـا جِيفـةٌ منتنـه**[1]

فالصورة التي اصطنعها الشاعر للتعبير عن شدة بخل أهلها متمثلة بحال مزروعاتها ، فإذا ما قطع الماء عنها تعفنت ونتنت رائحتها فهي كأصحابها جيف ومنتنة .

ورسم ابن منير الطرابلسي صورة مزرية لأهل دمشق ، فشبههم بالحيوانات فهم بقر،والحليم فيهم كذكر النّعام في طيشه ، وماؤهم قذر ، والعالِم فيهم جاهل ، والمتدين محتقر وقلوبهم قاسية مثل قساوة الحجر ، إذ يقول فيها : " مجزوء الكامل "

وسـكَنْتُ جِلّـقَ واقتَديـ	**ـتُ بِهـم وإن كـانوا بقـر**
بقـر تَـرى بحلـيمِهم	**طَـيشَ الظلـيمِ إذا نَفـر**
وهـواؤهم كهـوائِهم	**وخلـيطُ مـائِهم القَـذر**
وعلـيمهم مـستَجهلٌ	**وأخُـو الدِيانـةِ محتقـر**
وخَفـيفهم مـستثقلٌ	**وثقـيلهم فيـه العِبـر**
وطِبـاعهم كجِبـالهم	**جبلـت وقُـدتْ مِـن حجـر**[2]

والأبيات السابقة من قصيدة مشهورة لابن منير الطرابلسي سميت بالقصيدة " التترية " أبياتها مئة بيت ونيف ساق المحقق مناسبتها لمن أراد الاستزادة[3] وقد أدخلها ابن حجة الحموي في " باب الهزل الذي يراد به الجد "[4] .

---

[1] - ابن الشعار ، **عقود الجمان** 6/ 303.
[2] - **الديوان** : 211.
[3] - ينظر: نفسه: 204 – 212.
[4] - **خزانة الأدب** 185/2.

أما ابن مطروح فقد شبه أهل دمشق باليهود في سلوكهم ، واختيارهم السبت عيداً لهم ، وقد نزع إلى التوجيه في هجاء أهلها، بقوله : " المنسرح "

تَخِذْتُم السبتَ يومَ عيدٍ وهذه سُنّةُ اليهودِ
وكان يكفيكم ضلالاً شُربكم الماء من يزيدِ[1]

ولم تسلم أحياء دمشق وأهلها من التعريض بها ، فنالت الزبداني وأهلها نصيبها من نقد الشاغوري وهجائه بسبب بخل أهلها ، وعدم احتفالهم بالضيف وإكرامه ، فهم يتصفون باللؤم ، وتمسكهم بالدنيا وحفظ المال ،إذ يقول : " الطويل "

وبالزبداني الكروم كثيرةٌ ولكنّها أَضحتْ بِغَيرِ كِرامِ
ولو حفِظُوا أعراضهم مثْلَ حِفظِها لكانوا لعمري غير لئامِ[2]

ومعروف أن مدينة دمشق نالت الحظوة من الوصف والاهتمام لكل من زارها رغم ما تعرضت له من ذم ، لكن نالها الكثير من المدح وهذا يجعلنا نؤكد صحة ما قاله عز الدين إسماعيل " إن تطور أي مدينة يجعلها تتضمن في وقت واحد عوامل جذب وعوامل تنفير . وهذه في الحقيقة صفة لكل مدينة كبيرة تستوعب قطاعات وشرائح مختلفة ومتفاوتة من الجميع ، كما تستوعب كل وسائل الثقافة وألوانها ، وكل أسباب الحضارة والتمدن "[3]

---

[1] - **الديوان** : 86.
[2] - **الديوان** : 464.
[3] - في الشعر العباسي **(الرؤية والفن)** 344.

وقـد طالـت ألـسنة الـشعراء مـدناً شـامية كثيـرة ، فهـا هـي حلـب الـشهباء تنـال نـصيبها مـن الـذم والانتقـاص ، فقـد جعلهـا ابـن عنـين دار سـوء ، ومـأوى للرذيلـة ، وتـشابهت الأمـور فـي عرصـاتها ، فـصباح المدينـة لا يختلـف عـن مـسائها ، وظلامهـا كنورهـا ، وهـذا الهجـاء المـشين المـزري الذي يحط من الكرامـة وصـفه سـامي الـدهان بقولـه: " وهـذا هجـاء قـوي مـر يـشين البلـد وينـال منـه "[1] ، وقـد عبـر الـشاعر ابـن عنـين عـن ذلـك فـي قوله : " الكامل "

لا عاد فـي حلـبٍ زمـان مـر لـي ... مـا الـصبح فيـهِ مـن المـساءِ بأمثـل
سِـيان فـي عرصـاتِها رأد الـضحى ... عِنـدي وديجـور الظـلامِ المـسبل[2]

فالـشاعر يـذم حلـب ، ويـرى أن الزمـان الـذي مـر لـه فيهـا تـساوى فيه عنده بـين صـباحها ومـسائها ، فعيـشه بـين عرصـاتها لـيلاً ونهـاراً ظـلام مسبل .

أمـا مدينـة "يافـا" فـي فلـسطين فقـد نالهـا وأهلهـا مـن الـذم مـا نـال غيرها مـن المـدن الـشامية ، فقـد أزرى الـشاعر خالـد بـن سـنان الإسـكندراني بها وبأهلها إذ جعل مقامـه بـين أهلهـا كمقـام أسـد بـين كـلاب ، لأنهـم بخـلاء لا يجـودون بـشيء ولـو كـان ضـيفهم رجـلاً عظيمـاً لهربـوا منـه ، إذ يقول : " الوافر "

مقَـامي بـين أظهـر أهـل يافـا ... مقـام غـضنفرٍ بـين الكـلابِ
تَـصور أنـه يعـدو عليهـا ... فتَنْبحـه وتُـسرع فـي الـذهابِ

---

[1] - **الهجاء " سلسلة فنون الأدب العربي "** 87 .
[2] - **الديوان** : 230 – 231.

ولـو علمـوا بـأني ذو لـسانٍ يغـادِر عِرضـهم خَلَـقَ الإهـاب[1]

ومـن المـدن الـشامية التـي تعرضـت للقـدح والتـشهير : مدينـة الـشاغور " فقـد وصـف الـشاغوري أهلهـا ورمـاهم باللـصوصية "[2] ومدينـة " حمـاة " لـم يكـن مـصيرها مـن الهجـو بأحـسن مـن سـابقتها فقـد رماهـا محاسـن الـشواء وسـب أهلهـا بكـلام فـاحش[3] ومدينـة بعلبـك اللبنانيـة جعلهـا الـشاغوري مـن المزابـل وأهلهـا كلهـم أراذل فـلا تـستحق الخيـر[4] وكـذلك "المعرة "[5] نالت نصيبها .

أمـا مـصر ومـدنها وقراهـا وأهلهـا فنـالهم بـالتعريض والإزراء شعراء كثر إمـا بـشكل عـام (أي مـصر بـشكل كامـل) أو طـال القـدح مـدناً بعينها ، وقـد وصـم ابـن الـساعاتي أهـل مـصر عامـة بالبخـل ، وجعلهـا بلـداً لا يقـضى لزائـر فيهـا حاجـة ، ولا يظفـر مظلـوم فيهـا بعـدلٍ يتأملـه ، بـل صـاحب الفـضل يجـف فـضله فيهـا ولـو كـان مثـل نهـر النيـل ويقـول في ذلك : " الطويل "

وها مِصر لا يقضى بها حـاج طالـبٍ بغاهـا ولا يمـضي لـذي أمـلٍ حكْـم

لأبحـر مِنْهـا النيـلُ وهـو مجاجـةٌ مـن البخـل لا بـلْ أظْلَـم القمـر الـتم

وكم خاب قِدح طالَ مـن قبـلُ فـوزه وأخْطَـأ مـن بعـد الوثـوقَ بـه سـهم[6]

---

[1] - العماد الأصفهاني، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 118/2.

[2] - الديوان 253 . والشاغور: محله مشهور بالباب الضغير مـن دمـشق. ينظـر:يـاقوت الحمـوي، **معجم البلدان** 310/3.

[3] - ينظر: الصفدي ، **الغيث المسجم في شرح لامية المعجم** : 405/2.

[4] - **الديوان** 361.

[5] - ينظر:العماد الأصفهاني **، الخريدة (قسم شعراء الشام)** 53/2.

[6] - **الديوان** : 71/2.

وقد يقف الباحـث حـائراً أمـام ظـاهرة يحـار فيهـا كـل متـذوق للـشعر ألا وهـي التنـاقض فـي شخـصية الـشاعر ، وموقفـه تجـاه بلـدٍ فتـارة يفتـتن الـشاعر فـي مظـاهره فيمدحـه ، ثـم مـا يلبـث أن ينقلـب عليـه فيقدحـه ، ويـزري بأهلـه مـستخدماً المقـابلات اللفظيـة ، وسـرعان مـا تظهـر حقيقـة أسلوب التكلف فـي الـشعر كمـا هـو الحـال عنـد ظـافر الحـداد إذ نـراه يهجـو مدينـة الإسـكندرية وأهلهـا فـي أكثـر مـن موضـع بعـد مـدحها فـي مواضـع عدة ،إذ يقول في ذمها : " مجزوء الكامل "

لهفِـــي علـــى الإسكندريـــــ	**ـــةِ كيـــفَ يـــسكُنها اللئـــام**
بلـــد عـــدِمتُ بهـــا الـــسرو	**ر كمـــا بهـــا عـــدِم الكِـــرام**
حـــسنتْ وقُـــبح أهلُهـــا	**فـــضِياؤُها بِهـــم ظَـــلام**
قَـــوم إذا اسـتيقَظْتَهم	**لِمكـــارمِ الأخْـــلاق نـــاموا**
قـــوم إذا قعـــد الكِـــرا	**م علـــى بِـــساط العِـــز قـــاموا**
فَحلالُهـــم مِـــن شـــحهم	**فـــي كـــل مـــسألةٍ حـــرام**
قـــوم إذا اسـتَطْعمتَهم	**فـــي يـــوم عيـــد الفطـــر صـــاموا[1]**

وبعـض مـن هجـا مـصر بـين الـشعراء لجـأ لـذم شـخص ، وجعلـه رمزاً للمكان وأهلـه كمـا فعـل عبـد العظـيم بـن عبـد الواحـد الطـائي فقـد ذم الغربية ، ووصـم أهلهـا بـاللؤم والبخـل مـستخدماً واليهـا وحاكمهـا رمـزاً لهـا ومن الواضح أن الـشاعر إذا لـم يحـصل علـى شـيء مـن مكـان يدخلـه يـصب جـام غـضبه علـى أهلـه وهـو مـا فعلـه الـشاعر فـي هجائـه ، إذ يقول : " الطويل "

لحـا ا ُ بالغربيـــةِ الآن نـــاظِراً	**تَـــصلب لمـــا أن شـــكوتُ لـــه العـــدما**

---

[1] - **الديوان** : 293 – 294.

ولا سـقيتْ أرض نِيهـا سـببتْ لـه معـالم ذكـر كُـن مـن قبلِهـا رسـما
بـلاد لِئـامٍ لا تَـرى حـق وافـدٍ تُـرى هـل يرينـي ا نَاظرهـا أعمـى[1]

فقـد دعـا الـشاعر عليهـا بـألا ينـزل عليهـا الغيـث ، فهـي أرض لئـام لا حرمـة فيهـا لـضيف ، وتمنـى أن يـصاب واليهـا بـالعمى وقـد اسـتعان بالتورية في هجائه لكلمة " ناظر " .

وقـد نالـت بـلاد الرافـدين ، ومـدنها حـصتها مـن الـذم والـدعاء والإزراء ، فهـا هـو أبـو إسـحق الغـزي – شـاعر الـشام فـي القـرن الخـامس الهجري وأكثـر الـشعراء هجـاء للمـدن فـي تلـك الفتـرة -[2] يـرفض المكـوث في مدينـة الـزوراء ، لأن مكوثـه لا طائـل منـه فـلا نـوال يحـصده فيهـا ، ولا جـو يـشجعه علـى الإقامـة فيهـا لـشدة حرارتهـا ، إذ يقول : " البسيط "

مالي وللمكثِ في الزوراء يجحف بـي من ألفِـح العجـز لـم يفـرح بمـا نَتَجـا
قلبـي أظـن هـو المعـدي مـساكنها بنَـار لوعتِـهِ لمـا ارتقـى درجـا
فالـدور محترقـاتٌ والهجيـر بِهـا يـساعِد الهجـر فيمـا يـسيلُ المهجـا[3]

ومـن المـدن العراقيـة التـي ذمهـا شـعراء مـصر والـشام مدينـة " بغـداد " فقـد وصـف أبـو إسـحق الغـزي أهلهـا بالبخـل[4] وكـذلك مدينـة

---

[1] - ابن الشعار ، **عقود الجمان** 163/3.
[2] - ينظر:عبد المهدي ، عبد الجليل ، **الحيـاة الأدبيـة فـي الـشام فـي القـرن الخـامس الهجـري** . 100
[3] - الصفدي ، **الغيث المسجم** 116/1، ولم ترد الأبيات في ديوانه.
[4] - **الـديوان** : 50 ،وذمهـا جعفـر بـن أبـي زيـد بأبيـات. ينظـر:العمـاد الأصـفهاني، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 67/2.

"إربـل"[1] لـم تـسلم مـن لـسان ابـن المـسجف فقـد وصـفها فـي أكثـر مـن مقطوعـة بأنهـا دار فـسق وظلـم ودار سـوء ودعـا عليهـا[2] ، أمـا مدينـة الموصـل فقـد أزرى ابـن المـسجف بأهلهـا ، ووصـفهم بـالكلاب وحـذر مـن مصاحبة أهلها، ومفَارقُها عده رابحاً ، إذ يقول : " المتقارب "

تَجنّـب مـصاحبةَ الموصـلي فإنـك مِـن تَركِهـا تـربح
فلـو قِيـلَ للكلـبِ يـا موصـلي لمـا عـاد مـن بعـدها ينـبح[3]

وذم الـشعراء مـدناً يمنيـةً ، فهـا هـو ابـن قلاقـس الـسكندري يهجـو " دَهلَك "[4] ، وجعـل كـل مـن يـدخلها هالـك ، وغمـز بأمينهـا مالـك فـي قولـه معتمداً على التوجيه : " المتقارب "

ألا افْـسِح بـدهلك مِـن بلْـدة فكـل امـرئٍ حلَّهـا هالـك
كفـاك دليـلٌ علـى أنهـا جحِيـم وخَازنُهـا مالـك[5]

أما ابـن الحبـاب الأغلبـي الـسعدي فهجـا مدينـة " زَبيـد "[6] وعبـر عـن شـدة حرارتهـا فـلا تطـاق ، ووصـف مـن يتـصدون للقـضاء فيهـا بالجهـل ، فيقول : " الطويل "

---

[1] - إربل : بالكسر وهي مشتقة من الربل نبـات كثيـر ملتـف وهـي مدينـة تقـع شـمال العـراق واسمها حالياً أربيل وتقع إلى الغرب من سفوح جبال كردسـتان قـام بعمارتهـا مظفـر الـدين كوكبري بن زين الدين كوجك. ينظر:ياقوت الحموي، **معجم البلدان** 137/1 - 138 .

[2] - ابن الشعار ، **عقود الجمان** 336/2.

[3] - نفسه : 335/2.

[4] - دَهلَك : هي جزيرة في بحر اليمن ، وهـو مرسـى بـين بـلاد الـيمن والحبـشة ، بلـدة ضـيقة حارة ، كان بنو أمية إذا سخطوا من أحد نفوه إليها ، وهـي التـي نفـي إليهـا عمـر بـن أبـي ربيعة كما قيل في إحدى رواياته . ينظر:ياقوت الحموي، **معجم البلدان** 492/2.

[5] - **الديوان** : 489 .

[6] - زبيد : مدينة أحدثت زمن المأمون ، وحـديثاً تقـع علـى وادي زبيـد قـرب البحـر الأحمـر ، وينسب إليها صاحب تاج العروس . ينظر:ياقوت الحمـوي، **معجـم البلـدان** 184/3، آمنـة أبـو حجر، **موسوعة المدن العربية** 574 – 575 .

وكم فـي زبيـدٍ مِـن فَقيـهٍ مـصدرٍ وفـي صـدرهِ بحـر مـن الجهـل مزبـد

إذا ذاب جِسمِي مِـن حـرورِ بِلادِكـم عِلقْــتُ علــى أشْــعارِكم أتبــرد[1]

وقد تجـاوز الـشعراء فـي هجـائهم المـدن حـدود الـبلاد العربيـة ليـصل إلى غيرهـا مـن أقـاليم الدولـة الإسـلامية ، فقـد هجـا الغـزي مدينـة " مـرو " في بلاد فارس ووصـف أهلهـا بمـا يـسلبهم فـضائلهم النفـسية فهـم كمـا يبـدون في أبياته بخلاء ولؤماء ، فيقول :   " الكامل "

بخِلوا بمـرو وعِـز مـروٍ أصـبحتْ مـأوى اللئــامِ ومجمــع اللــوام

لا الفِأس يخْـرج مِـن يـدٍ فيهـا وإن خــرج العــروقُ بهــا عــن الأجــسامِ[2]

وهذا ابـن عنـين يعـرض بمدينـة " بخـارى " لمـا لقيـه مـن أهلهـا مـن ضجر وإجحـاف وفتـور حتـى تكـاد تخرجـه مـن دينـه ومعتقـده ، ممـا دفعـه للقـسم ألا يعـود إليهـا مـرة ثانيـة ولـو كانـت جنـة الخلـود فـي الأرض ، فيقول :   " الكامل "

آليــتُ لا آتــي بخَــارى بعــدها ولــو انّهــا فــي الأرض دار خلــودِ

فلَقــد حللــتُ بِهــا حنيفــاً مــسلماً ورحلــتُ عنْهــا باعتقــادِ يهــودِي[3]

ويبــدو أن كثــرة التنقــل والترحــال مــن بلــد إلــى آخــر ، ومــدى إحساس الشاعر بالراحـة أو الـشقاء فـي البلـد الـذي يمـر بـه أثـر علـى مـدح ذلك البلد أو قدحه ، ولابـن عنـين تجربـة فـي هـذا الميـدان فقـد عـرف بكثـرة

---

1 - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 198/1.

2 - **الديوان** : 44.

3 - **الديوان** : 211.

تنقلاته في البلدان ، وليس ثمة ما يدل على أنه حمدها ، أو أنه قد وجد فيها مبتغاه . ومن البلدان التي ذمها في رحلاته " الهند " فقد سخر منها ، ودعا لها بالسقيا ولكن بالصواعق والدماء ، ويظهر ذلك في قوله : " الكامل "

وإذا سقى الله البلاد فلا سقى بلد الهنود سوى الصواعقَ والدما[1]

وصب جام غضبه وسخطه على قضاتها ، في قوله : " الكامل "

قاضٍ إذا أسدى أطالَ وأعرضا ... قاضيهم ديناً دوزٍ فإنّه[2]

ولعل أبرز المدن تعرضاً للنقد والإزراء – خارج نطاق حدود مصر والشام – مدينة نيسابور، فقد نالها نصيب وافر من الهجو الجارح والنعوت اللاذعة من قبل العديد من الشعراء ، فهجاها الحافظ ابن عساكر ، وذم شدة برودتها ، وحمل على أهلها واتهمهم بالغدر وقلة الوفاء رغم وفائه لهم ، وفيها يقول : " البسيط "

لا قدس الله نيسابور من بلدٍ ... ما فيه من صاحبٍ يسلي ولا سكن
لولا الجحيم الذي في القلب من حرقٍ ... لِفُرقةِ الأهل والأحبابِ والوطن
لمت من شدةِ البردِ الذي ظهرتْ ... آثار شدتهِ في ظاهر البدن
يا قوم دوموا على عهدِ الهوى وثقوا ... أني على العهدِ لم أغدر ولم أخن
ولا تدبرتُ عيشي بعدكم ... إلا تمثلتُ بيتاً قيلَ من زمن
فإن أعشْ فلعل الله يجمعنا ... وإن أمتّ فقتيل الهم والحزن[3]

---

[1] - **الديوان** : 79.
[2] - **الديوان** : 127.
[3] - العماد الأصفهاني، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** 274/1، ياقوت الحموي ، **معجم الأدباء** 87/13 .

فالشاعر لا يخفي امتعاضه وغضبه من أهل نيسابور ، كما أن شدة برودة المدينة وما أحدثته في بدنه من ألم دفعته لذمها ، وأخذ يعلن صراحة صعوبة عيشه لفراق أهله وأحبته الذين كلما تذكر بعدهم تمثل لهم بأشعار من السابقين ، ويظهر ذلك في البيت الثاني ، ولعل ما يبديه الشاعر من شكاوى تنم عن معاناة شخصية يعاني منها ربما لا تكون حقيقية .

ويعبر أبو الحسن الأستراباذي عن الفكرة نفسها في هجو تلك المدينة لكنه يدعو عليها بعدم الطهارة وينعت أهلها بأنهم منافقون وبخلاء ، وقد يلقى زائرهم فيها حتفه من شدة بخلهم رغم ما عندهم من أرزاق ، فيقول : " البسيط "

لا قَدس اللهُ نَيسابور مِن بلدٍ سوقُ النفاق بمغناها على ساق
يموتُ فيها الفتى جوعاً وبِرهم والفضلُ ما شئتَ مِن خَيرٍ وأرزاق
والحبر في معدن الغرثى[1] وإن برقَتْ أنواره في المعالِي غَير براق[2]

فأهل نيسابور كأداة الحبر خالية من لمعانه وهم رغم كثرة أرزاقهم خلت أياديهم من الكرم .

ولعل بعض الشعراء ذم مدينته لأسباب شخصية " لأنها لم تبلغه آماله وحملته الهوان ، وإن الحر لا يقبل أن يعيش بين الأذلة "[3] وهذا ما فعله الزمخشري في هجاء " زمخشر "[4] .

---

1 - الغرثى : الجياع. ينظر:ابن منظور،**لسان العرب** مادة (غرث).
2 - ياقوت الحموي ، **معجم البلدان** 332/3.
3 - عمرو ، علي عبد الله ، **تحقيق ديوان الزمخشري ودراسة شعره** 39.
4 - نفسه : 199.

وقد يظهـر لنـا جليـاً مـن خـلال مطالعاتنـا لتلـك المقطوعـات الهجائيـة الـسابقة ، أن غالبيــة الــشعراء ركّــزوا نقــدهم فــي ذم تلــك المــدن والبلــدان وأهلهــا علــى فكــرة واحــدة ، تتمثــل فــي رمــي تلــك المــدن وأهلهــا بالــشح وحبس اليـد عـن العطـاء ، وربمـا لا يخـرج الـدافع فيهـا عـن ضـيق الحـال ، وأمـل الـشعراء فـي جـود أهلهـا ، وبالتـالي فهـي مـشكلة شخـصية بالدرجـة الأولــى ، لكنهــا لا تخلــو مــن تــشخيص لواقــع الحيــاة فــي المجتمعــات المصرية والشامية ، ونظرة تنتقد ما يدور حولها .

***2* . هجاء المرافق العامة ودور السكن :**

لـم يقتـصر ذم الـشعراء وانتقاصـهم للمـدن والبلـدان بـل تعـداها ليطـال مرافـق المـدن العامـة وبخاصـة الحمامـات ، فقـد تميـزت مـدن الـشام بكثـرة حماماتهـا ، وقــد أحــصى ابــن شــداد ببــاطن مدينــة حلــب واحــداً وســبعين حماماً[1] وعد ابـن عـساكر فـي دمـشق سـبعة و خمـسين حمامـاً سـوى حمامـات القرى[2] ، وقـد أيـد ذلـك وأكّـده ابـن جبيـر وذكـر أن تلـك الحمامـات انتـشرت خـلال هـذه الفتـرة انتـشاراً واسـعاً وعـد منهـا مائـة حمـام[3] واهـتم الـشّاميون بـالتفنن فـي عمارتهـا والقيـام علـى خـدمتها وقـد تناولهـا ووصـفها فتيـان الــشاغوري فــي صــورتين متقــابلتين ، مــدح بعــضها وذم الآخــر ، وفــي الجانــب الــذي ذم فيــه تلــك الحمامــات قــال يهجــو أهــل الزبــداني ويــذم

---

1 - ينظر: **الدر المنتخب** : 133.

2 - ينظر: **تاريخ ابن عساكر** : 389/2.

3 - ينظر: **رحلة ابن جبير**202.

حمامهم ، ويذكر بأسلوب ساخر ما يعانيه الزائر من عناء وبؤس وما يلاقيه فيه من أذى ، فيقول : " المتقارب "

أرى ماء حمامكم كالحميم نُكابِد منْه عناء وبؤسا
وعهدي بكم تَسمطُون[1] الجِدِي فما بالُكم تَسمِطُون التُيوسا[2]

ويبدو أن ذم الحمامات والإزراء بها من قبل الشعراء ؛ كان نتيجة افتقارها للنظافة وخلوها من أبسط المواصفات الصحية ، فاستغل الشعراء هذا الجانب وجعلوه مجالاً للنقد ، فها هو الشواء يرسم صورة ساخرة لحمام تَوقعَ نزيله أن يجد فيه أبسط أنواع السعادة والراحة ، فبددت برودته كل توقعاته حتى جعل الشاعر صورته وهو يجمع أعضاءه من برودة مائه كالقنفذ ، فيقول : " المديد "

زادني حمامُكم طَبعاً[3] ضرني برداً وما نَفَعا
فكأني قُنفُذ حَذِر مقْشَعِراً فيه مجتَمِعا
من رآني فيه مرتعداً خالَ بي من بَردِهِ رفعا[4]

وهذا ظافر الحداد ينظم أبياته سالكاً الاتجاه نفسه لكنه يضع لنفسه خطة يصف فيها ما حدث له ، فحين عزم أن يدخل أحد الحمامات ، أملاً في الراحة بعد طول عناء وكلل ، أدهشت قلبه المفاجأة التي لم يكن توقعها ، فداخل الحمام جلب له السوء من حره ، وعافته

---

[1] - تسمطون : يسمط الجدي : ينتف شعره . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** مادة (سمط) .
[2] - **الديوان** : 238 .
[3] - طبعاً : طبع طبعاً : دنس واتسخ . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** مادة (طبع) .
[4] - ابن الشعار ، **عقود الجمان** 178/8.

نفـسه مـن قذارتـه ، ولا تطيـق نفـسه أن يستنـشق روائحـه العفنـة النتنـة ، ونـراه بـسط ذلـك بالدعابـة والنكتـة فجعـل أنفـه يطالبـه بـالتعويض مـن شـدة وقـوة رائحتـه النتنـة ، ومـا ألحقتـه بـه مـن أذى ، فيقول : " السريع "

دخَلْـتُ حمامـاً علـى غِـرة | لمـا دعـاني سـوء حـظ وحـين
تـوفراً منّـي علـى راحـةٍ | أحظـى بهـا إثـر كـلالٍ وأَيـن
فنِلْـتُ مِنْهـا كـل مـا سـاءني | مِـن هـم نَفْـس ثـم إسـخان عـين
حـر أذاب القلـب غمـاً كمـا | يفْعـلُ بالعـشاق هجـر وبـين
وقَـرطُ نَـتْنٍ كـامنٍ خِلتُـه | يطالِـب الأنْـفَ بِثَـأرٍ وديـن[1]

وهـذا شـاعر مـصري آخـر يـدعى النـاجي المـصري يرسـم صـورة مزرية لحمـام ، ويـذكر مـا حـدث لـه ، فبعـد دخولـه غيـرت سـحنته ، وقلـب لونه فغدا كأنه من سلالة أخرى غير الساميين ، فيقول: " الكامل "

حمامنَـا هـذا أشَـد ضـرورةً | مِمـن يحـل بـهِ إلـى حمـامِ
تَبـيض ألـوان الـورى فـي غيـرهِ | ويعيرهـا هـذا ثيـاب سـخامِ
قد كُنـتُ مـن سـامٍ فحـين دخَلْتـه | لِـشقاءِ جـدي ردنـي مـن حـامِ[2]

لا شـك أن هـذا النمـوذج ومـا سـبقه ، يـدلل علـى سـوء العنايـة الـصحية لتلـك الحمامـات ، لـذا فـإن تلـك الحالـة تجيـز للـدارس أن يحكـم بـضعف الرقابـة الإداريـة علـى مثـل تلـك المرافـق العامـة ، ويمكـن أن يضاف إليه فساد إداري للقائمين عليها .

---

[1] - **الديوان** : 301 – 302 ، وللاستزادة ينظر:نفسه في الصفحات : 2 ، 169 ، 202.
[2] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 103/2.

ويدخل – إلى جانب ذم المدن والحمامات – بيوت السكن سواء كانت ملكاً خاصاً لأشخاص معينين أم غرفاً وحجرات ، شُيدت بغرض الإجارة يكتريها الزائرون لليالٍ معدودة ، يأوون إليها للراحة والتخفيف من عناء السفر – أي بمثابة الفنادق حالياً – وها هو الشواء يرسم صورة مزرية لغرفة آوى إليها طلباً للنوم والراحة ، ويبرز فيها صورة لبيئة واقعية جربها ، فأظهر في تصويره صدق التجربة التي عاشها بنفسه ، فبدأ الدعاء عليها وشبهها بالغربال فهي لا تقي ساكنها حراً ولا قراً ، وليزيد من انتقاص حالها ، جعلها في صورة ساخرة فقد غدت مرتعاً للبراغيث تنفر من وقع قطرات الماء وكأن هروبها بمثابة رقص على إيقاع صوت قطرات الماء ، فيقول : " الخفيف "

لعن اللهُ غرفةً بِت فيها … تحتَ سقفٍ كأنه غِربالُ
كل قطرٍ مِنها وقد أقلع القطْـ … ـر إلى الفجر عارض هطالُ
فالبراغيثُ راقصاتٌ على إيـ … ـقاع وكْفٍ[1] أخف فيه الجبالُ[2]

ولم يبتعد ظافر الحداد عن الشاعر الشواء في إعطاء تلك الصورة عن حال تلك الغرف ، التي قصدها بنفسه للراحة في ليلة ، فقد جعلها في عداد القبور لظلمتها ، شديدة الحرارة تطبخ الجسم كأنه في تنور ، مطبقة ومليئة بالبعوض ومن قوته ، وشراسته في اللدغ كالنسور على فرائسها أو الصقور وصور خراطيمها حين تغرزها في جسمه كالرماح في الأعناق ، وأصواتها توحي بالتهديد والوعيد حماه الله منها

---

1 - الوكف :وكف البيت وكفاً هطل وقطر وكذلك السطح . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (وكف) .

2 - ابن الشعار ، **عقود الجمان** : 182/8.

بإشـراق الـصباح وخروجـه كيـوم النـشور ونـراه يقـول في ذلك : " مشطور السريع "

وحجـرةٍ هـن عـدِ القبـور
يـت يهـا للقَـدر الـضروري
فـي ليلـةٍ مـسرَقةُ الحـرور
كـأرؤس الخِرفـان فـي التّنـور
مطبـقٌ مطـين مـسجور
بعوضـها يكـر كالنّـسور
أو كـالبزاةِ الـشهبِ والـصقور
تَفعـلُ فـي الأوجـهِ والظهـور
فِعـلَ رمـاحِ الخَـط فـي النحـور
أصـواتُها فـي الحالِـكِ الـديجور
تُـشبه مـا صـاح مـن النـاعور
فلـم تـزل فـي الويـل والثبـور
وكـلّ أمـرٍ خطـرٍ محـذور
حتـى أتانـا صـبحها بـالنور
فـذقتُ طَعـم المـوتِ والنّـشور[1]

أمـا النـوع الثـاني الـذي ذمـه الـشعراء وأبـرزوا عيوبـه ونواقـصه فيتعلق بالدور التـي يـسكنها أهلهـا فقـط ، ورسـموا لهـا صـوراً تظهـر معانـاة أهلهـا وفقـرهم ، وتبـين حالـة الفقـر المدقعـة التـي كابـدتها تلـك الطبقـات الفقيرة خـلال تلـك الفتـرة ، لكـن الـشعراء رغـم تلـك القـسوة أظهـروا الـروح الفكهـة الـساخرة التـي تميـزت بهـا الشخـصية المـصرية خاصـة حتـى فـي

---

[1] - **الديوان** : 136 – 137.

أحلك الظروف فجاء شعرهم تعبيراً عن واقعهم وممثلاً لشخصياتهم ، وهو ما عبر عنه شوقي ضيف في قوله : " ولعلّ في هذا كله ما يدل على أن الشعر المصري مثّل في هذا العصر مزاج المصريين وميلهم إلى الدعابة والنكتة "[1] وممن يميل إلى تلك السخرية والدعابة ابن مكنسة الذي يعبر عن عدم حاله ، وقبح داره ، وشدة معاناته بأسلوب مؤثر ، يثير الشفقة ، ويعبر عن واقع مرير ، لكنّه يظهر ببساطة وعفوية ظاهرة ، فيقول : " الخفيف "

لي بيتٌ كأنه بيتُ شَعرٍ   لابن حجاج منه قَصد سخيفِ

ضايَقَتْني بنات وردان حتّى   أنا فيه كفأرةٍ في كنيفِ

أين للعنكبوتِ بيتٌ ضعيفٌ   مثلُه وهو مثْلُ عقْل الضعيفِ

بقعةٌ صد مطالع الشمس عنها   فأنَا من سكنْتُها في الكسوفِ[2]

ويبدو لي أن الشعراء لم يكتفوا بالتعبير عن فقرهم وسوء أحوال مساكنهم ودورهم فقط ، بل أظهروا نزعة إنسانية تدل على مشاركتهم لآلام غيرهم وإحساسهم بمعاناتهم ، كما فعل ظافر الحداد الذي عبر بشعره عن ضيق بيت لإنسان شكا له حاله ، فالشاعر رسم صورة تظهر حالة البيت وصاحبه ، فالبيت ضيق كصدر صاحبه كناية عن جسمه الهزيل ، ومن شدة ضيقه يكاد يقتل صاحبه ، ويتابع الشاعر تصويره بتشبيهات متتالية تدال على حاله ، فيقول : " المجتث "

بيتٌ كصدري ورزقي   ضيقٌ كخَلْقي وخُلْقي

---

[1] - **الفن ومذاهبه في الشعر العربي** 489.

[2] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 211/2.

ملأتُــــــه مــــــع هــــــزالٍ	معـــــــي وســــــفمي ودقـــــــي
قَلَتَـــــز عــــــضو بعـــــضوٍ	منّـــــــي وعِـــــــرقٌ بعِــــــرق
حتــــــى لقَـــــد كـــــاد فيـــــهِ	كَعيـــــــــي يـــــــصافِح فَرقـــــــي
فمـــــــا يطيـــــــقُ لِـــــــساني	يــــــدور فــــــي وســــــطِ شِـــــدقي
ولــــــو تَجــــــشأتُ فِيـــــــه	لمـــــــا تَجـــــــاوز حلقـــــــي
أمنـــــتُ فِيــــــهِ مــــــن المــــــو	ت وهـــــــو يـــــــدون خَنْقـــــــي
لأن روحـــــــي لـــــــم تلْـــــــ	ـــــــقَ فُـــــــسحةً للتّرقّـــــــي[1]

فالـصورة تظهــر مــدى الفقــر المــدقع الــذي يعانيــه صـاحب ذلـك البيــت ، والحالة المزرية له .

[1] - **الديوان** : 224 – 225.



الفصل الثالث

الهجاء السياسي والإداري

أ . المبحث الأول : الهجاء الداخلي :

1. هجاء كبار رجال الدولة .
2. هجاء سياسة الحكام وإدارتهم الداخلية .
3. هجاء المتقاعسين عن الجهاد .
4. هجاء أمراء النزعات الانفصالية .
5. هجاء التنازع على " الوزارة " في نهاية العهد الفاطمي .

ب. المبحث الثاني : الهجاء الخارجي :

هجاء الصليبيين ويشتمل على :

1. عقائدهم وشعائرهم الدينية .
2. قادتهم وملوكهم .
3. ألقابهم وأوصافهم ومسمياتهم .
4. صفاتهم الخلقية .

الهجاء السياسي والإداري :

قبل الحديث عن مظاهر الهجاء السياسي ، وصوره المختلفة التي تبدت للدارس في مجموعة الأشعار المنتقاة لهذا الغرض ، لا بد من التنويه إلى أن الهدف من عرضها ، لا يقصد به دراسة ملامح الحياة السياسية ، خلال فترة حكم الزنكيين والأيوبيين ، ولا يراد منها إبراز النزاعات والصراعات السياسية حول تلك المراكز الإدارية المختلفة ، وإنما الهدف من دراسة تلك النصوص الشعرية ، هو الوقوف عند تلك النصوص الرافضة ، والناقدة لبعض المواقف السياسية ، وهي مواقف لم يرض عنها الشعراء ، وليست لديهم قدرة على تغييرها ؛ لأنهم لا يمتلكون قوة التغيير ، وكل ما يمتلكونه في رفض تلك المواقف أشعار ينظمونها ، فهي وسيلة الرفض الأولى .

ولعلّ سوء النظام السياسي والإداري ، وتردي أوضاع الناس المعيشية ، وما صاحبها من فساد في بعض الفترات الزمنية ، في ظل حكم الزنكيين والأيوبيين ، بسبب تقصير بعض الحكام ، ومن دونهم في مناصب الإدارة كل ذلك جعلهم عرضة لهجو الشعراء ، ونقد مواقفهم السياسية سواء كان ذلك تصريحاً في مواقف أم تلميحاً في مواقف أخرى ، وفق مقتضيات الحال وظروف الشاعر الخاصة ، يضاف إلى ذلك ما تعرضت له مصر والشام من عدوان صليبي ، وما نتج عنه من تدمير وخراب ، وما أفرزته تلك الحملة الصليبية من مواقف مختلفة اتجاهه ، تراوحت بين التصدي له ودحره وهو الأغلب ، وبين حكام

متخـاذلين ومتقاعـسين عـن مواجهتـه ؛ لمـصالح شخـصية ضـيقة إلـى وجـود مجموعــة مــن الخونــة والمتعــاونين مــع الاحــتلال ، وهــي ليــست ديــدنهم وسنتهم وحدهم فـي هـذه المرحلـة ، بـل سـبيلُ أمثـالهم مـع كـل احـتلالٍ عبـر التاريخ

وقــد حركــت تلــك المواقــف المتخاذلــة ، والتــصرفات المــشينة مــن تلــك الفئــات قــرائح الــشعراء ، وأوغلــت صــدورهم بالحقــد والكراهيــة ، والغضب ، على تلـك الأوضـاع الـسياسية التـي تعرضـت لهـا الأمـة فـي تلـك المرحلــة ، فوجهــوا ألــسنتهم ، وحولــوا كلمــاتهم إلــى شــظايا مــن اللهــب ، تُــصب علــى رؤوس هــؤلاء ، وعلــى رؤوس أســيادهم مــن الفــرنج الغــادرين ، مــستخدمين بحقهــم أقــذع الكلمــات ، وأبــشع النعــوت لفــضحهم وإظهار حقيقتهم أمام الناس .

وبنــاء علــى تلــك الأوضــاع الــسياسية الداخليــة ، وذلــك العــدوان الــصليبي الخــارجي ، والطــارئ علــى ديــار المــسلمين فــي مــصر والــشام ، جعلـت شـعر الهجـاء الـسياسي فـي مبحثـين : هجـاء داخلـي ينتقـد سياسـة الحكـام فـي تلـك الفتـرة الزمنيـة ، ويـذم بعـض أمـراء الـشام ، ومحـاولاتهم نحــو الاســتقلال ، والانفــصال عــن إدارة الدولــة الزنكيــة والأيوبيــة ، إلــى جانــب التعــريض بالــصراعات ، والنزاعــات حــول منــصب الــوزارة فــي أواخــر عهــد الدولــة الفاطميــة ، وهجــاء خــارجي يهجــو الــصليبين و عملاءهـم ، ومـن دار فـي فلكهـم ، ونَـصب العـداوة للمـسلمين مـن أمثـالهم ،

وما نتج عن تلك الهجمة من آثار خطيرة في بلاد المسلمين .

وسنعرضها على النحو الآتي :

أ. المبحث الأول : الهجاء الداخلي :

1. هجاء كبار رجال الدولة :

لعلّ أبرز مظاهر الهجاء السياسي في عصر الزنكيين والأيوبيين، تلك الأشعار التي تناولت بالنقد أولئك الذين تولوا مناصب هامة كالحكام والأمراء والوزراء ، فلم يسلموا من ألسنة الشعراء ونقدهم ويمكن تتبع هؤلاء على النحو التالي :

❖ هجاء الحكّام :

لم يقتصر هجاء الشعراء في أشعارهم على الجانب الشخصي لهؤلاء الحكام ، بل حملت أشعارهم رسائل اجتماعية ، لذا حرصوا أن تبرز أهاجيهم جوانب التقصير والانحراف من قبل هؤلاء المسؤولين في حق رعيتهم ،وأبرز هؤلاء الشعراء ابن عنين الذي اتخذ شعره سلاحاً لمحاربة الفساد ، ونقد الأوضاع الاجتماعية السائدة في ذلك العصر فحمل هجاؤه رسالة سامية كما يقول عمر موسى باشا فيه " لم يكن ابن عنين في هجائه يبغي الشر دائماً ، وإنما كان يتخذه في بعض الأحيان طريقاً لإصلاح فساد مجتمعه ،

أو للتعبيـر عـن شـعور إنـساني نبيـل "[1] وخيـر مثـال علـى ذلـك حـين أمـر الملـك المعظـم بنـزح مـاء خنـدق القلعـة بدمـشق ، فأعيـا النـاس نزحه لكثرة ما فيه من مـاء وقـد نـال النـاس مـن ذلـك جهـد عظـيم[2] قـال ابن عنين مخاطباً الملك : " الوافر "

أَرِح مـن نَـزح مـاءِ البـرج يومـاً فَقَـد أَفْـضى إلـى تَعَـبٍ وعِـي
مـر القاضـي بِوضـع يديـهِ فيـهِ وقَـد أَضـحى كَـرأس الـدولعي[3]

فقـد مـزج الـشاعر بـين شـعوره الإنـساني النبيـل ، كمـا يبـدو مـن هجائـه وبـين روح الدعابـة والـسخرية كمـا هـو الحـال فـي البيـت الثاني وربما قصد من ذلك تخفيف هجائه للملك حتى يتجنّب شره .

ولم يكتـف ابـن عنـين فـي هجائـه للحكـام عنـد النقـد المقبـول ، بل تعدى ذلك إلـى الهجـاء الجـارح والقـدح المقـذع فلـم يـسلم مـن لـسانه صـلاح الـدين الأيـوبي ، فقـد صـور دولتـه وأولـي الأمـر فيهـا بـأنهم أصحاب مفاسد وعاهات يقول : " المنسرح "

سـلطانُنَا أَعـرجٌ وكاتبـه ذو عمـش والـوزير منحـدِب
وصـاحِب الأمـر خُلُقـه شَـرسٌ وعـارض الجـيش داؤه عجـب

---

1 - **الأدب في بلاد الشام في عصور الزنكيين والأيوبيين** 359 .

2 - ينظر : ابن واصل ، **مفرج الكروب** 45/5.

3 - **الديوان** : 235 . **والدولعي** : هو جمال الدين محمد بـن أبـي الفـضل بـن ياسـين الـدولعي ، تولى خطابة دمشق بعد عمه وهو منسوب إلى الدولعية قـرب الموصـل تـوفي سـنة 635 هـ ودفن في جيرون بمدرسته. ينظـر: أبـو شـامة المقدسـي ، **ذيـل الروضـتين** 253/5-254 ، وابن العماد لحنبلـي ، **شـذرات الـذهب** 175/5، النعيمـي ، **الـدارس فـي تـاريخ المـدارس** 415/1.

عيــوب قــومٍ لــو أَنهــا جمعــتْ   فــي فلْــكٍ مــا ســرتْ بهــا شُــهب[1]

مثل هذا الهجـاء وغيـره كلّـف ابـن عنـين كثيـراً فقـد نفـاه الأيوبيـون خارج دمشق فدار في بلدان كثيرة .

ولجـأ الـشعراء فـي تـصوير الحكـام ومفاسـدهم إلـى اسـتعمال لغـة العامة وفكرها فـي شـعرهم ، فهـا هـو أسـامة بـن منقـذ يـصور فـساد أجهـزة الحكـم ، وعـدم جـدارة الحكـام لتـولي مناصـبهم بأسـلوب يميـل إلـى الـسخرية والـتهكم ، ويـشير مبينـاً متـى يحكـم للمظلـوم بالعـدل إذا كـان الحـاكم هـو خصمه كما يقول :   " مجزوء الرمل "

ظُلمتْنِـــي دولـــةُ العـــــد   ل فمـــن يكْـــشِفُ ظُلمـــي

ومتَـــى يحكـــم لـــي بالـــــ   ــــعدل والحـــاكم خَـــصمي[2]

تعبيـر صـريح للحـاكم واتهامـه بـالظلم فـي الحكـم ، ونقـد يبـين فـساد القـضاء وميلـه إلـى المحـسوبية ، وهـي أمـراض اجتماعيـة يـصرح بهـا الشاعر نيابة عن العامة وتلك رسالة اجتماعية .

وعمـد بعـض الـشعراء إلـى سـلب الحكـام فـضائلهم النفـسية ، فراحوا يحطـون مـن قـدرهم ويرسـمون لهـم صـوراً قبيحـة إلـى الحـد الـذي دفـع البـديع الدمـشقي لتـصوير أحـد الحكـام بالبهيمـة فيقول :   " مجزوء الرجز "

حـــاكمنا بهيمـــةٌ   ليـــستْ تَـــساوي العلفـــا

---

1 - **الديوان** : 210 – 211 .

2 - **الديوان** : 261.

ولـيس فِيـهِ مـضغَةٌ طيبـةٌ إلا القَـا[1]

وقـد اسـتغل الـشعراء ظـاهرة الفوضـى والفـساد الإداري والمـالي فـي مؤسـسات الدولـة الأيوبيـة – خاصـة بعـد وفـاة صـلاح الـدين الأيـوبي – وتنازع أولاده فيمـا بيـنهم . وفـي خـضم هـذا الفـساد اسـتغل فتيـان الـشاغوري حادثـةً وقعـت فـي عهـد الملـك الأمجـد فحـين تـسلم الـسامري وزارة الملـك الأمجـد " نـال مـن جهتـه الأمـوال والـنعم شـيئاً كثيـراً حتـى صـار المـدير لجميع الدولـة والأحـوال ، حتـى كثـرت الـشكاوى مـن أهلـه وأقاربـه ، وكثـر مـنهم العـسف وأكـل الأمـوال والفـساد "[2] أثـارت هـذه الحادثـة حفيظـة الشاغوري فجعـل يحـرض الملـك للـتخاص مـن الـسامريين كمـا فعـل هـارون الرشـيد بالبرامكـة ، وتوجـه إليـه بنقـد ولـوم يحمـل فـي طياتـه رسـالة اجتماعيـة يـراد منهـا تنبيـه الملـك لمـا وقـع فيـه مـن خطـأ ، إذ يقول : " المنسرح "

الملِـكُ الأمجـدُ الـذي شَـهِدتْ ... لـه ملـوكُ الزمـانِ بالفَـضلِ

أصـبحَ فـي الـسامِري[3] معتقِـداً ... مـا اعتقَـدَ الـسامِري فـي العِجـلِ

والـسامِريون كالبرامِـكِ مِـن ... قبـلُ فَـأين الرشِـيدُ للقَتْـلِ[4]

---

[1] - ابن شاكر الكتبي ، **فوات الوفيات** 133/2.

[2] - ابن أبي أصيبعة ، **عيون الأنباء** 721.

[3] - السامري :هو الذي سمع له خـوار، قـال الزجـاج وهـم إلـى هـذه الغايـة بالـشام يعرفـون بالسامريين ، وقيل السامري علج مـن أهـل كرمـان . ينظـر:ابـن منظـور ، **لـسان العـرب** مادة (سمر).

[4] - **الديوان** : 359.

واستغل بعض الشعراء جرأته وقوة شخصيته بإيصال ما كان من تجاوزات في إهدار مال عامة الشعب من قبل القائمين عليها إلى الحكام ، وتبصيرهم بحقيقة ما يقوم به بعض المتنفذين من تبديد للمال العام من الزكاة ، ولا شك أن استغلال مثل هذه المقدرات والعبث بها من قبل فئة قليلة من الناس وبخاصة من مسؤولي مؤسسة الدولة ، ومستخدميها قد أثار غضب الشعراء ورفع أصواتهم في وجوههم وهذا ما فعله ابن عنين حين خاطب الملك المعظم عيسى في شأن القائم على خزانة الدولة قائلاً : " الخفيف "

يا مليك الدنيا الذي أعظم اللـ	**ـه بتأييده عِزه سلطانه**
أنا أشكو إليك جور رفيع	**لقبوه الصفعان تاج الخِزانه**
عَدِم العقْلَ والمروءةَ والإحـ	**ـسان والدين والحيا والأمانه**
وحوى اللؤم والرقاعةَ[1] والخِسْـ	**ـة والجهل والخنا[2] والخيانه**
زعموا أنه حفيظٌ على الما	**ل أمينٌ قلتُ اسكُتي يا فلانة[3]**

وعلى الرغم من أن الأبيات تدل على موقف شخصي للشاعر إلا أن تناولها بهذه الجرأة ، لا يمكن أن يأتي من قبيل الصدفة ، لولا وجود ما يشير إلى فساد إداري في أجهزة الحكم ، وصمتِ المسؤولين عنهم أو تقصير منهم بعدم متابعة القائمين على

---

[1] - الرقاعة: الرقيع الأحمق الذي يتمزق عليه عقله ،وقيل جاء برقاعة وحمق.ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** مادة (رقع).

[2] - الخنا : الفحش في القول.ينظر: ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة(خنا).

[3] - **الديوان** : 220 – 221.

هذه الأجهزة التي هي ملك لعامة الشعب فجعلت من ابن عنين ممثلاً للمجتمع الذي يدافع فيه عن المال ويكشف فيه العابثين أمام الناس .

وقد لا تكون هذه الجرأة في رفع الصوت ، وتوجيه النقد للحاكم موجودة عند معظم الشعراء ، فقد دفع ظلم الحكام وقسوتهم عدداً من الشعراء إلى المداهنة والمجاملة خوفاً من بطش الحكام لهم ونهب أموالهم ، والتنكيل بأقاربهم وأبنائهم ، حتى وصل الأمر عند هؤلاء الشعراء إلى نزع ثقتهم ويأسهم من أبناء جيلهم في مساعدتهم على دفع ظلم عنهم ، وقد عبر المسجف العسقلاني عن هذه المعاني بقوله : " مجزوء الرمل "

أنا في جيل خسيس وقبيل وزمان
أمدح السلطان كي يصبح مالي في أمان[1]

فالشاعر لا يخفي نفاقاً ولا رياء في مجاملة الحكام على حساب مصلحة الناس العامة ، ولا غرابة في ذلك فأشباهه يتواجدون في كل عصر عبر التاريخ .

❖ هجاء الأمراء والولاة :

ومن كبار الدولة ومسؤوليها الذين طالتهم ألسنة الشعراء الأمراء والولاة ، فقد دفع سوء استخدامهم لمناصبهم ، وتضييقهم

[1] - ابن شاكر الكتبي ، **فوات الوفيات**284/2.

علـى النـاس ، وتبديـدهم الأمـوال العامـة فـي مـصالحهم الشخـصية وفـي مجـالس اللهـو والمجـون ، وحبـسها عـن مـستحقيها إلـى نقـد الـشعراء وهجوهم ، كمـا فعـل أبـو إسـحق الغـزي حـين هجـا أميـر بنـي أسـد ، فيقول : " الوافر "

بنــي أسـدٍ إنــي رأيــتُ أميــركم   نَمــا بــالأذى والمــن مــستطِل يــسمى

إذا ســاورته الكــأس جــاد ولــم يــزلْ   على الصحو مِنْـه بـاخلاً ضـجِراً جهمـى[1]

وليس يكـون المـرء فـي الـسكر سَـمحةً   إذا لم يكُن في الصحو مِـن لؤْمِـه عِظمـى[2]

فــالغزي يــزري بمهجــوه ويــصفه بــاللؤم ، ويتهمــه بــالمجون ويرميــه بالبخــل ، ولا تنــدى يــداه إلا فــي مجــالس الــسكر والفــسق ، وهــذه رسالة اجتماعية يعبر فيها الشاعر عن سوء استخدام المال العام .

ونــزع بعــض الــشعراء فــي هجــوهم إلــى الــسخرية والــتهكم المبنيــة على ذكـر نقـيض الـصفة إمعانـاً فـي إزراء الأمـراء ، وإظهـاراً لـشدة قـسوتهم وتجبـرهم وظلمهـم لـرعيتهم ووصـمهم بـالأمراض المعديـة كمـا فعـل عرقلـة الكلبــــي فــــي هجــــاء مبــــارك بــــن منقــــذ[3] وفيــــه يقول : " المنسرح "

ضِــد اســمِهِ المنْقِــذي عــن ثِقَــةٍ   فَـــــلا تَلُومنّــــه علــــى اللــــؤمِ

---

[1] - جهمى : الجهم من يستقبل الناس بوجه كريه.ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة(جهم).

[2] - **الديوان** : 107 ،وللاستزادة فيمن رمي بالبخل وتبديد المـال العـام ينظـر : القاضـي الفاضـل ، **ديوانه** 427/2-428.

[3] - مبارك بن منقذ : هو المبارك أبو الميمون أحد أمـراء صـلاح الـدين الأيـوبي ومـن آل منقـذ المعروفين في شيزر تـوفي سـنة 589 هــ ينظـر : العمـاد الأصـفهاني، **الخريـدة (قـسم شعراء الشام)** 203/1.

كالجـــدري الـــذي يقـــالُ لـــه مبـــاركٌ وهـــو ألـــفُ مـــشئومِ[1]

فاسـم الأميـر نقـيض أفعالـه مهلـك لمـن تـولى رعيـتهم ، والرسـالة التي حملها الـشاعر تعبيـر بلـسانه عـن العامـة عـن سـوء حظهـم فـي تعيـين أمراء لؤمـاء قلـوبهم قاسـية ، ومـن سـخريات القـدر أن يجعـل الـشاعر التهنئـة في الأمر المشؤوم فيشبه خبر تعيينه بالجدري ويهنئه به .

ولعلّ ما يلفـت انتبـاه الـدارس لـشعر هـذا الفتـرة ظهـور مجموعـة مـن الـشعراء يمكـن تـسميتهم بالـشعراء الـشعبيين مـن أصـحاب الحاجـات والمعـوزين ، وأظـن أنّهـم يمثلـون شـريحة كبيـرة مـن المجتمـع أخـذوا علـى عاتقهم رفـع شـكاوى النـاس مـن اسـتبداد أمـرائهم ، فمـا يكـاد أميـر يمـضي حتى يحل أسـوأ منـه ، وتكـون النتيجـة تعاسـة حظهـم وزيـادة فقـرهم ، ومـن ذلك قول ابن مقدام المحلي في هجاء أحدهم: " الخفيف "

أيها المخلـص المكـين ومـن كفّـاه فـــي كـــل أزمـــةٍ يكفّـــان
بـان عنّـا أهـلُ المحبـةِ واعتـضـ ـــنا بأهـــل البغـــضاءِ والـــشنَآن
نحـن أشـقى بختـاً وأتعـس حظّـاً إذْ قـــضانا بـــصفقةِ الخُـــسران
وأخـــس الـــورى وأهـــونُهم بيـــ ـــن الرعايـــا قَـــدراً علـــى الـــسلطان
إذْ رعانـا بـأبغض الخلـق مـذْ كـا ن وكـــانوا لكـــل قـــاصٍ ودان
مـا ظننّـا مِـن قبلِـهِ أننَـا نلـ ـقى جميـــع الـــسوءاتِ فـــي إنـــسان
يتلقـاك كالحـاً عـابس الوجـ ـهِ بقلـبٍ خـالٍ مـن الإيمـان
ولـه إخْـوةٌ وأفعـالُهم فـي الـ ـمال فِعـلَ الـذئابِ بـالحِملان
أيهـا الألمعِـي أعـوزك الرعـ ـيـان حتـى اسـتَرعيتَ بالـذؤبان

---

[1] - **الديوان** : 95.

أي شيءٍ غـال الكفـاةِ[1] مِـن الكتْـ ـ ـ ـ ـتَاب لـ ـولا عوائِـ ـقُ الحِرمـ ـان[2]

فالـشاعر فـي أبياتـه راوح بأسـلوب نقـده بـين النبـرة الهادئـة المهادنـة الدالـة علـى الـولاء للـسلطان ، واللائمـة لـه علـى الأميـر المعـين ، وبـين ارتفـاع الـصوت بعاطفـة غاضـبة ثـائرةٍ تقـذف حممـاً ملتهبـة صـبها علـى مهجـوه فـسلبه فـضائله النفـسية ، فاتهمـه وأخـوة لـه بالجـشع ، واغتـصاب المـال العـام وسـوء المعاملـة للمعـوزين ، ومقـابلتهم بوجـوه كالحـة ، وقلـوب قاسـية تخلـو مـن الـشفقة والرحمـة علـى مـن وقفـوا ببابـه ، دفعـتهم الحاجـة لهذا الموقف المهين ، لكن حالهم معه كحال الحِملان مع الذئبان .

أما ابـن عنـين فرسـم لأميـر البيـرة[3] صـورة تثيـر الـسخرية والـضحك فحول الأمير وصـوره بحيـوان لـه قـرن يعقـر بـه مـن يقابلـه ، وهـو تـشبيه قـائم علـى القـسوة لقلـب لا يحمـل فـي داخلـه إلا شـراً ، والمهجـو لا يحمـل فضيلة حسنة ، فـلا يبـدو منـه عطـاء ولا وظيفـة لـه سـوى إصـدار الأوامـر، فهـو فـي قلعتـه كـصياد الـسمك يعلـق بـسنّارته مـن تعـس حظـه فيقول : " مجزوء الرجز "

لنَـ ـا أميـ ـرٌ قَرنُـ ـه يـ ـنْطَح فِـ ـي الأفُـ ـق القَلْـ ـك

عطـ ـاؤُه وطَعنُـ ـه مـ ـا غيـ ـر دق الحنَـ ـك

فَهـ ـو الـ ـذنابى[4] أبـ ـداً فـ ـي أيمـ ـا جـ ـيش سـ ـلَك

---

1 - الكفاة :جمع كافٍ وهم الخدم الذين يقومون بالخدمة.ينظر:ابن منظور،**لسان العرب**، مادة(كفي).

2 - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** : 49/2 – 50.

3 - البيرة : بلد قرب سمياط بين حلب والثغور الرومية،وهي قلعـة حـصينة ولهـا رسـتاق واسـع . ينظر:ياقوت الحموي، **معجم البلدان** 526/1.

4 - الـذّنابى : الأتبـاع جمـع ذنـب وأذنـاب النـاس تبعـتهم وسـفلتهم دون الرؤسـاء . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (ذنب) .

كأنّـه فـي قلعـةِ الـ ـــيرةِ صيـاد سمـك[1]

ولـم يـسلم الـولاة مـن نقمـة الـشعراء وغـضبهم ، وإبـراز مـساوئهم والتـشهير بـسيرتهم ، وكـادت تلـك النقمـة أن تطـال مـن ولاهـم ذلـك المنصب، وهذا مـا عبـر عنـه ابـن النقـاش الرحبـي حـين صـور تبـرم النـاس وغـضبهم مـن والـي الرحبـة[2] الـذي عينـه أسـد الـدين شـيركوه إذ يقول : " السريع "

كـم لـك فـي الرحبـةِ مِـن لائـمٍ يـا أسـد الـدين ومِـن لاحِ
دمرتَهـا مِـن حيـثُ دبرتَهـا بـرأيِ فَـلاحٍ ومـلاحِ[3]

وقد دعاه إلـى تخلـيص النـاس فـي الرحبـة مـن جـوره ، إلـى أن جعـل عمله غزواً في تنحيته يقول : " السريع "

يـا أسـد الـدين اغْتَـنِم أجرنـا وخَلِّـص الرحبـةَ مِـن يوسـفِ[4]
تَغْزو إلى الكُفـر، وتَغْـزو بـه الـ إسـلام ، مـا ذاك بهـذا يفِـي[5]

أما مبـارز الـدين[6] والـي دمـشق فقـد عـرض بـه ابـن عنـين بـصورة فكاهيـة سـاخرة واتهمـه بالبخـل ، فقـد نـزل عنـده يومـاً ضـيفاً وقـضى ليلتـه

---

1 - **الديوان** : 203.

2 - الرحبة : قرية من قرى دمشق خَربت وهي قرية بينها وبين دمشق مسيرة يوم كما قال أبو أسماء الرحبي وهو منها . ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان** 33/3- 34.

3 - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** 246/2.

4 - يوسف بن الملاح : والي الرحبة على ما يبدو ، لم أعثر لـه علـى ترجمـة ممـا تـوافر لـدي من مصادر و مراجع .

5 - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** 246/2.

6 - مبارز الدين : هو المعتمد الوالي شـحنة دمـشق مبـارز الـدين إبـراهيم بـن موسـى . سـبق ترجمته.

عنـــده ولـــم يقْـــره بـــل جعلـــه ومـــن معـــه قـــرى للبراغيـــث

إذ يقول :   " المتقارب "

حـــدِيثَ المبـــارزِ مِنّـــي اســـألوا   أُنَبِّـــــــــــئْكُمْ بأحاديثِـــــــــــهِ

نَزلنَـــا عليـــه فلَـــم يقْرِنَـــا   وبِتْنَـــــا قِـــــرًى لِبراغيثِـــــهِ[1]

فـــالأمير بخيـــل ، وداره مرتـــع للبراغيـــث ، وفـــي ذلـــك إشـــارة مـــن الشاعر إلى قذارته .

❖ هجاء الوزراء :

يحتـــل الـــوزير مرتبـــة مرموقـــةً فـــي جهـــاز الدولـــة الإداري ، غيـــر أن بعـــض الـــوزراء اســـتغل منـــصبه فـــي تحقيـــق مـــصالحه الشخـــصية ، مخالفـــاً بذلك المهمـــة التـــي أوكلـــت إليـــه ، وانحـــرف عـــن الهـــدف الـــذي اســـتُوزر مـــن أجلـــه ممـــا جعلـــه عرضـــة للـــشعراء ، وموضـــع نقـــد لاذع ، فـــصبوا ســـياط ألـــسنتهم علـــى رؤوســـهم ملـــصقين بهـــم الفـــساد الـــذي استـــشرى إلـــى أجهـــزة الحكـــم ، وكـــان الـــوزير ابـــن العجمـــي[2] واحـــداً مـــن ضـــحايا الـــشاعر علـــم الشاتاني الـــذي وصـــفه بالجهـــل ، وعـــدم الكفايـــة ووضـــعه فـــي صـــورة حيوانيـــة بشعة حين شبهه بالتيس ، وفي ذلك يقول :   " السريع "

وزارةُ التـــــيسِ أبـــــي قاسِـــــمٍ   قَـــد عـــمَّ أهـــلَ الأرض منهـــا الفَـــساد

---

[1] - **الديوان** : 222.

[2] - ابن العجمي : سليمان بن عبد المجيد بن حسن بن عبـد ا بـن الـسن ، الأديـب البـارع ولـي الأوقاف بحلب وكان متأهلاً للوزارة تـوفي سـنة 650 هـ ـ بدمـشق. ينظـر:الكتبـي، **فـوات الوفيات** 2/ 66 – 67 .

عائـد علمـي جهلـه مثلمـا   هـد قـوى الفضل بقـصد العمـاد[1]

ولعلّ المدقق في شعر الهجاء خلال هذه الفترة يلمح في هجائهم لفئة الوزراء نظرة ناقدة لأحوال المجتمع تناولها في لهجة ساخرة ، فالشاعر يرى أن الوزارة أصبحت لا تنال إلا بالتمويه ، مع أن صاحبها غير جدير بها ، وها هو ابن دنينير يسلك هذا الاتجاه في هجاء أبي يعلى[2] الوزير بحلب ، إذ يصفه باللؤم والجهل والحمق وضيق الأخلاق وخفة العقل فيقول :   " الكامل "

ما إن سمعتُ ولا رأيتُ وإن أرى   لؤماً يماثل لؤم عبد الباقي

هو جاهلٌ واهي العزيمة أحمقٌ   صعب العريكة ضيقُ الأخلاق

فلو ان رجليه بخفة رأسه   لغدا يفوقُ نواظر الأحداق[3]

أما أبو اسحق الغزي فذهب إلى أن الوزير في عصره لا سلطة له ، ولا قرار بيده ، يملأ فراغاً في منصبه ليس إلا ، لأنه لا يمثل أكثر من صورة كاريكاتورية تثير التهكم والسخرية يدركها ويلمسها من يشاهده لحظة إصدار القرار كما يبدو في قوله :   " البسيط "

من آلة الدست[4] لم يعط الوزير سوى   تحريك لحيته في وقت إيماء

---

[1] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** 372/2.

[2] - أبي يعلى : شمس الدين عبد الباقي بن أبي يعلى وزير السلطان الملك الظاهر ، كان مستولياً على الأمور كلها في الأيام الظاهرية تولى الوزارة بعد وفاة نظام الدين محمد بن الحسين ، سافر إلى دمشق وتوفي فيها . ينظر: ابن العديم ، **زبدة الحلب** 2 / 632 ،ابن واصل ،**مفرج الكروب** : 3/ 251 .

[3] - **الديوان** : 516 ، وللاستزادة ينظر نفسه:594 ، 595 .

[4] - الدست : معرب دشت وهي الصحراء، والدست من الثياب. ينظر: الخفاجي ،شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل 148 ، الفيروزابادي ، **القاموس المحيط** ، مادة (دست) .

إن الــوزير بــلا أزرٍ يــشدّ بِــهِ   مِثْــلُ العــروض لــه بحــرٌ بِــلا مــاءِ[1]

وأكثــر الــوزراءِ نــال ســخريةً مــن الــشعراء وزيــر الملــك الأفــضل " ابــن الجــزري "[2] ، فقــد كــان ذا ســيرة ســيئة " كــان ينتقــد الفاضــل والعمــاد وسائر الكتــاب ويــسخر بالنــاس ، ويتوقــف فــي قــضاء الحــوائج "[3] فوجــه إليــه فتيــان الــشاغوري نقــداً لاذعــاً ، وهجــاه بــسخرية مريــرة ، فلــيس إلا أن يــراه مقلوعاً من منصبه كما يقلع الجزر ، وفي ذلك يقول : " مجزوء الرجز "

متــــــى أرى وزيــــــركم   ومــــــا لــــــه مــــــن وزر[4]
يقْلعــــــــه ا ُ فــــــــذا   أوان قلْــــــــع الجــــــــزر[5]

ولــم يــسلم حجــاب الــوزراء مــن الهجــو ، فقــد شــكلوا حــاجزاً فــي منــع النــاس مــن الوصــول إلــى الــوزراء فقــد وصــف الــشاغوري دار الــوزير بالجنــة لكنهــا مــسيجة بحاجــب فــي شــدته وحمايتــه كعوســجة[6] ،

فيقول :   " مجزوء الرجز "

دار الــــــوزير جنّـــــــةٌ   لكِنّهـــــــــا مـــــــــسيجه

---

1 - **الديوان** : 43.

2 - ابن الجزري : هو أبو الفتح نصر ا ضياء الدين بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير ، الجــزري ، الموصلي وسمي بالجزري نسبة إلى جزيرة ابن عمر بالموصل، وله مؤلفات عدة عمل في خدمــة صلاح الدين وولده نور الدين ، توفي سنة 637 هـ . ينظر:ابن خلكان، **وفيات الأعيان** 65/3، ابن قاضي شهبة ، **طبقات الشافعية** 80/2 – 81 ، ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** : 122/6 .

3 - ابن فضل ا العمري ، **مسالك الأبصار**: 2/8.

4 - وزر : ملجأ ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** مادة (وزر) .

5 - **الديوان** : 203.

6 - عوســجة : اســم حاجــب للــوزير وســمي كــذلك تــشبيهاً لــه فــي شــدة أذاه بالعوســجة ، والعوسجة : جمعهــا عواســج شــجر مــن شــجر الــشوك ولــه ثمــر أحمــر مــدور كخــرز العقيق ، ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (عوسج).

سِـــياجها إذا جِئـــلَ الـــــ ـــــــبواب فيهـــا عوســـجه[1]

2. هجاء سياسة الحكام وإدارتهم الداخلية :

سـلك الـشعراء فـي نقـدهم للحكـام ، وإداريـيهم ، ورؤسـاء الأقـاليم فـي تلك الفترة الزمنيـة طـريقين : أحـدهما يقـوم علـى التلمـيح ، والآخـر يلجـأ إلـى التصريح ، سـواء بـذكر الواقعـة نفـسها أم بـذكر صـاحبها ونقـده نقـداً لاذعـاً لا لبس فيـه . وقـد سـلك فتيـان الـشاغوري فـي سـخريته مـن رؤسـاء مـصر الطريــق الأول ، فــأزرى بهــم دون أن يــسمهم ، وعــرض بجــورهم وظلمهــم لـرعيتهم ، معتمـداً علـى الرمـز ، فـشبههم بفرعـون ، رمـز الظلـم والطغيـان والاســتعلاء ، وســلبهم فــضائلهم النفــسية وألحــق بهــم الخبــث ، واللــؤم ، والنفاق ، وفي ذلك يقول : " الطويل "

لـئِن كـان وافـى مِـصر فِرعـون وحـده ... مِن الـشامِ فاسـتَعلى وأظهـر نَاموسـا

فقــد قَــذَفَتْنَا مِــصر مِنهــا بِواحِــدٍ ... يرى ألفَ فِرعـون ولـيس لنـا موسـى

فَعِثْنُونُـــه[2] لِلـــؤْمِ والخُبــثِ معـــدنٌ ... فَـصب عليـهِ عـاجلاً ربنـا موسـى[3]

حـوى كِبـر نَمـرود بـن كَنْعـان[4]أنفُــه ... فليـتَ بِـهِ مِـن نَقْمـةِ ا نَاموسـا [5]

---

[1] - **الديوان** : 80.

[2] - العثنون : طرف اللحية ومقدمها ، ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**،مادة (عثن) .

[3] - موسى: الأولى النبي موسى عليه السلام ، وموسى الثانية : آلة الحلاقة المعروفة .

[4] - نمرود :اسم ملك معروف عاصر إبراهيم عليه السلام .ينظـر:ابـن منظـور ، **لـسان العـرب** ، مادة (نمرد).

[5] - الناموس في البيتين : الأولى : القوة ، أما الثانية فهـي الحـشرة المعروفـة التـي دخلـت أنـف النمرود فمات منها ، أما الناموس الثالثـة : شـرك ، أو قطعـة اللحـم التـي يـضعها الـصياد للصيد أو قترة الصياد . ينظر: ابن منظور، **لسان العـرب،** مـادة (نمـس) ،الخفـاجي، **شـفاء الغليل** 294 .

تَطَأْطَأَ حتى الطيلسان مرائياً ... فكان لما يبغيه فخاً وناموسا[1]

فالشاعر ينتقد ظلم الرؤساء لمرؤوسيهم بأسلوب غير مباشر ، ويحذرهم من ظلمهم ، ويؤكد لهم أن ظلم الظالم لا يدوم مهما علا وتجبر ، وساق لهم مثلاً من التاريخ أن يأخذوا منه العبرة والعظة لما حدث للنمرود بن كنعان تخويفاً لهم .

وانتقد الشعراء الأوضاع السياسية ، في الشام عقب مقتل نور الدين زنكي سنة 541 هـ[2] ، وما آلت إليه أوضاعها الداخلية ، من الأمن والاستقرار ، إلى الخوف والاضطراب ، التي أعادوا أسبابها إلى سوء الإدارة الجديدة ، ومن الشعراء الذين عرضوا بتلك الأحداث ، وانتقدها ابن القلانسي ، الذي صور بأبياته ما تعرضت له مؤسسات الدولة العامة والخاصة إلى السلب والنهب المالي ، لضعف البلاد وتفككها ، وتفرق كلمة أمرائها ، وفي ذلك يقول : " الطويل "

وأضحتْ بيوتُ المال نَهبى لِغيرِهِ ... يمزقُها أبناؤُه ومظالمه

فلما تولّى قام كل مخالفٍ ... وشَامَ[3] حساماً لم يجد وهو شائمه

وأُطلِقَ من في أسرِهِ وحبوسِهِ ... وفُكّت عن الأقْدامِ منه أداهِمُه[4]

وعاد إلى أوطانِهِ بعد خوفِهِ ... وطابتْ له بعد السغوب[5] مطاعمه[6]

---

1 - **الديوان** : 237.

2 - ينظر : أبو شامة ، **كتاب الروضتين** : 188/1.

3 - شام الحسام : شام السيف شيماً : سلّه . ينظر:ابن منظور،**لسان العرب**، مادة (شيم) .

4 - أداهمه : مفرده أدهم ، ومعناه القيد لسواده ، وأصل الأداهم صفة فكسرت لغلبة الاسم عليها . ينظر:ابن منظور،**لسان العرب**، مادة (دهم) .

5 - السغوب : الجوع ومنه السغبة وقيل : هي الجوع مع العطش . ينظر:ابن منظور،**لسان العرب**، مادة (سغب) .

6 - ابن القلانسي ، **ذيل تاريخ دمشق** : 287 .

فالشاعر ينتقد أحوال البلاد وتغيرها من عهد كان يرتكز على العدل والحزم والجهاد ورد العدوان في ظل المغدور بأبيات سبقتها ، إلى وضع جديد سادته الفوضى وتسلّلت إليه " أيدي التركمان والحرامية في فساد الأطراف ، والعبث في سائر النواحي والأكناف "[1] لاختلاف آراء الأمراء وتباين مآربهم وأهدافهم .

أما في مصر فقد هجا الشعراء المتمكنين في حكمها ، ووصفوهم بأنهم غير جديرين بإدارتها ، فقد أساؤوا وجاروا ، ولم تر الرعية منهم إلا الأخلاق الشائنة ، والأفعال السيئة ، التي تقود البلاد إلى الانحلال ، والانهيار ، ويعرض فتيان الشاغوري بطريقة ساخرة مورياً بأحدهم دون أن يذكره ، فيجعل أخلاقه تشبه لفظ نهر (بردى) بحروفه ، أما خِلقته فجعلها ، تحاكي خلقة الثور ، فلا يغتر برأيه ، ولا ينخدع بمن يحيط به ، فهو كالدفْلى ظاهرها جميل زاهٍ ، وطعمها مر المذاق ، وفيه يقول :   " مجزوء الوافر "

حكَتْ ألفاظُه بَردى ... وأشْبه خَلْقُه ثَورا

كَسر النقص وهو يزيـ ... ـد في أفعالِه جورا

فلا تَعجب لدولتِه ... سيرجع كورها حورا[2]

---

[1] - أبو شامة ، **كتاب الروضتين** : 1 / 188 .

[2] - الكور : الزيادة والحور : النقصان وقيل إن الرسول عليه السلام كان يتعوذ من الحور بعد الكور أي النقصان بعد الزيادة . ينظر :ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (كور) ومادة (حور)

وإن راقتْـــــــــك بزتـــــــــه فكالـــدفلى[1] اكتَـــسى نُـــورا[2]

فالـشاعر يـدعو الحـاكم إلـى التوقـف عـن ظلـم الرعيـة ؛ لأن مـآل الظـالمين إلـى النقـصان عقـب الزيـادة ، ويبـدون للنـاس بحـسن المظهـر ، ولكنهم كالدفلى في سوء المخبر ، وهذا هو حال المتغطرسين الظالمين .

وأبـدى الـشعراء فـي نقـدهم الـسياسي ، لأوضـاع الـشام الداخليـة قلقـاً ، وامتعاضـاً ممـا يـدور حـولهم ؛ لـسيطرة بعـض العناصـر ، وتحكمهـم بحياة الناس ، وممن عبـر عـن الواقـع الـسياسي المتـردي فـي بـلاد الـشام فـي تلك الفترة ، الشاعر أبو المجد المعري ، في قوله : " الوافر "

زمـانٌ غـاض أهـلُ الفـضل فيـه فَـسقيا لِلْحِمـام بـه ورعيـا
أُسـارى بـين أتـراكٍ وروم وفَقْـدِ أحبـةٍ ورفـاق شَـعيا[3]

فالشاعر يظهر شـكواه ممـا آلـت إليـه أوضـاع النـاس الـسياسية فقـل أهـل الإحـسان ، وأصـبح مـصيرهم بأيـد متـسلطةٍ ظالمـة لا تهـتم بـأمر رعيتهـا ، فغدا واقعهم مريـراً ، يتـأرجح بـين نـارين يكتـوون بهمـا ، ظلـم تُـركٍ وغَـدر روم متـسلطين ، أو نقـد وشـكوى ممـا يجـري ، والـثمن غـالٍ فَقْـد للأحبـة والرفقـاء كالمـصير الـذي ذهـب ضـحيته غـلام الـشاعر بفعـل تلـك الأوضاع .

---

[1] - الدفلى : شجر أخضر حسن المنظر يكون في الأدويـة وهـو مـن الـسموم . ينظـر ، **اللـسان** مادة (دفل)

[2] - **الديوان** : 202 .

[3] - العماد الأصفهاني : **الخريدة (قسم شـعراء الـشام)** : 11/2. و شـعياً : هـو غـلام للـشاعر أبي المجد . ينظر: العماد الأصفهاني،**الخريدة (قسم شعراء الشام)** 11/2 الحاشية .

ولعـل الخـوف والرهبـة مـن بطـش الحكـام ، وسياسـتهم الظالمـة ، دفعـت أسـامة بـن منقـذ ، إلـى التحـذير مـن الحكـام ، وعـدم المجازفـة إلـى الاقتراب مـنهم ، فالـسلامة تتـأتى مـن البعـد عـنهم ، لأنهـم لا يـؤمن جـانبهم ، وفي ذلك يقول : " الكامل "

إيـاك والـسلطان لا يـدنيك مـن أبوابـه متكـسبٌ ومعـاشُ

واعلـم بـأنهم علـى مـا كـان مـن أحـوالهم نـارٌ ونحـن فَـراشُ[1]

وينتقـد الـشعراء سياسـة بعـض حكـام الـشام ، بـسبب تقليـدهم أشخاصاً في مناصـب ليـسوا أهـلاً لهـا ، وخـروجهم عـن المعهـود فـي سياسـة الدولـة الإسـلامية ، التـي تعتمـد العـدل أساسـاً ، لمـن يتربـع علـى إدارات الدولـة الحـساسة ، ويـستهجن فتيـان الـشاغوري هـذه الـسياسة الـشائنة للحكام ، ويسخر متمنياً أن يراه مشنوقاً ، حيث يقول : "السريع "

بالعـدل تـزدان الملـوك ومـا شَـان[2] ابـن أيـوبٍ سِـوى العـدل

هـو دلـو دولتـه بـلا سـببٍ متـى يـرى ذا الـدلو فـي حبـل

صِفـرٌ خَـلا مـن كـل مكْرمـةٍ مـع صِيـته فـي النّـاس كالطبـل[3]

فالـشاعر يـصف مـن عـين بـلا أحقيـة بأنـه خـالٍ مـن المكـارم ، وأزرى بـسمعته بـين النّـاس ، فهـو كالطبـل شـكله جميـل لكنّـه خـال مـن المضمون .

---

[1] - **الديوان** : 238.

[2] - شان : الشّين خلاف الزين ، وشانه عابه، والشين العيـب، ينظـر:ابن منظـور ، **لـسان العـرب**، مادة (شَين) .

[3] - **الديوان** : 359.

وقـد حملـت بعـض المقطوعـات الـشعرية بعـداً سياسـياً ، واجتماعيـاً في آن واحـد ، ولـيس هنـاك مـا يفـصل الـسياسة عـن المجتمـع ، فقـد قيـل : " إن الاجتمـاع كـل والـسياسة فـرع ، ومـا أكثـر مـا يتـداخل الاثنـان ، ويختلطـان اخـتلاط الخمـر بالمـاء "[1] وقـد أظهـر الـشعراء مـن خلالهـا فـساد أمـور الحكـم ؛ لتـولي مناصـبه عناصـر قـضائية لا تـستحقه ، ويعبـر ابـن المهنـا المعـري ، علـى أن مثـل هـذه الـسياسة ، هـي الـسبب فـي خـراب الشام ، وتقويض أركان استقرارها ، حيث يقول : "السريع"

لا عجـبٌ أن خَـربَ الـشام أَو أَقْـوتَ مغانيـه ولا غَـرو...

قَـد أصـبح المجـد بـه حاكِمـاً وأصـبح المنـشى[2] لَـه ضـوْ...[3]

مـولاي محيـي الـدين[4] غيرهمـا عنّـا فتحـوى شُـكْرنا أَو...[5]

فالـشاعر يـصور حـال الـشام ، ومـا آل إليـه أمرهـا مـن خـراب فـي ظـل حكامهـا ، وسـوء سياسـتهم الإداريـة ، كمـا أن الأبيـات تحمـل فـي مـضمونها دعـوة صـريحة ، مـن الـشاعر إلـى الحكـام نحـو الإصـلاح ، وتغييـر عناصـر الفـساد ، ومـنهم هـذا القاضـي الـذي يمثـل سياسـة الحـاكم الـذي عينـه ، فـأطلق لنفـسه العنـان لتعيـين الفاسـدين علـى إدارة شـؤون الناس.

---

[1] - الأيوبي ، ياسين ، **آفاق الشعر في العصر المملوكي** : 251 .

[2] - المجد والمنشى يبـدو لـي – كمـا فـي البيـت الثـاني - أن الأول حـاكم والآخـر مـساعد له ،غير أني لم أهتد لترجمتهما .

[3] - ضو : ضويت إلى فلان أي ملت . أي انضم إليه وسـار فـي طريقـه ، ينظـر: ابـن منظـور، **لسان العرب** ، مادة (ضوي) .

[4] - محيي الدين : هو محيي الدين ابن القاضي كمـال الـدين محمـد الـشهرزوري قاضـي حلـب ، ينظر: العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** : 329/2 .

[5] - نفسه : 98/2 .

وانتقـل نقـد الـشعراء ؛ لأوضـاع الـشام ومـصر ، وسياسـة الحكـام فيهـا ، مـن التلمـيح إلـى التـصريح ، فأخـذوا يـذكرون أحـداثاً بعينهـا ، ويعرضـون بشخـصيات سياسـية معروفـة ، ومـا بـدر منهـا مـن تـصرفات خاطئـة اتجـاه الرعيـة ، ويـشهرون بهـم مـن خـلال مواقـف أسـاءت لهـم ، ولكيـان الدولـة الإسـلامية ، ودلّـت علـى تـضييعهم للأمانـة ، وتلـك التـصرفات أثـارت غـضب الـشعراء ، إلـى درجـة اتهـامهم بالخيانـة ، ومـن تلـك الأحـداث ، مـا حـدث سـنة 594 هـ ، حـين قـصد الـصليبيون مدينـة بيـروت فـي جمـع كبيـر مـن جنـودهم[1] ، وكـان عـز الـدين أسـامة[2] عـاملاً عليهـا ، فحـين أحـس بخطـرهم تركهـا ، وولـى هاربـاً ، فأصـبح هـذا الأميـر رمزاً لكل خـائن يـذكره الـشعراء تهكمـاً بـه ، وسـخرية منـه ، كمـا قـال أحـد الشعراء المجهولين : " الخفيف "

سـلمِ الحِـصن مـا عليـك ملامـه   مـا يـلام الـذي يـروم الـسلامه
فَعطَـاء الحـصون مِـن غَيـر حـربٍ   سـنةٌ سـنها ببيـروتَ سـامه[3]

فالـشاعر قـصد مـن هـذا التنـدر الـساخر ، أن يجعـل كـل مـن يـسمع بهما يجود بنفسه ، دفاعـاً عـن الـديار خـشيةً مـن ألـسنة الـشعراء ، ممـا يـدال على أثر الشعر الهجائي في الناس .

---

[1] - ينظر : ابن واصل ، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب** : 74/3.

[2] - عز الدين أسامة : من أمراء الدولة الأيوبيـة ، كـان بيـده قلعـة عجلـون وكوكـب ، اعتقلـه الملك المعظم ومات في المعتقل سنة 608 هـ . وقيـل سـنة 609 هـ . ينظـر: ابـن تغـري بردي ، **النجوم الزاهرة** 6/ 205 – 206 ، الصفدي ، **الوافي بالوفيات** : 97/15 .

[3] - ابن واصل ، **مفرج الكروب** : 74/3.

وحين خرب الملك المعظم بيت المقدس وهدم سوره سنة 616 هـ[1] ، معللاً سبب فعلته لمنع الفرنج من الاستيلاء عليه ، ثارت ثائرة الناس على هذا العمل المشين ، الذي أدى إلى ضياع أهل القدس وتشريدهم ، وتعرض لذمهم ، كما في هذين البيتين لشاعر مجهول ، يقول فيهما : " مخلع البسيط "

في رجبٍ حلَّ الحميا وأخْرب القُدس في المحرم
واستَخْدم القبطَ والنصارى وبعد ذا وزر المكرم[2]

فالشاعر يعرض بالملك ويتهمه بالتواطؤ مع القبط والنصارى ، ويظهر غضبه الشديد لما حل ببيت المقدس وأهله .

أما قاضي الطور ، مجد الدين محمد عبد ا الحنفي ، فقد ذم الملك المعظم عيسى ، ونعته باللئيم ورماه بالخسة واتهمه بالكفر ، ودعا عليه أن تُصاب يمينه بالشلل ، جزاء ما اقترفه ، حيث يقول : " الطويل "

مررتُ على القدس الشّريفِ مسلماً على ما تبقى مِن ربوعٍ كأنْجمِ
ففاضتْ دموع العين مني صبابةً على ما مضى مِن عصرِنا المتقَدمِ
وقد رام عِلْجٌ أن يعفي رسومه وشمر عن كفي لئيمٍ مذممِ
فقلتُ له شُلّتْ يمينُك خَلها لمعتبِرٍ أو سائلٍ أو مسلمِ

---

[1] - ينظر : أبو شامة ، **ذيل الروضتين** : 5/ 174 – 175 .

[2] - البيت الأول ، ينظر: ابن كثير ، **البداية والنهاية** :591/8 والبيتان معاً في شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي 119/7 ، **والبيت الأول في نهاية الأرب للنويري** 94/29 .

فلـــو كـــان يفْـــدى بـــالنفُوس فَديتُـــه   بِنَفْـسِي وهـذا الظـن فـي كـل مـسلمِ[1]

فالـشاعر يعـرض بـه ، ويظهـر غـضبه مـن فعلتـه ، ومـا أظهـره الـشاعر وغيـره مـن النـاس ردة فعـل طبيعيـة ، نظـراً لتلـك المكانـة العظيمـة لبيت المقدس فـي نفوسـهم ، لدرجـة أن تلـك الفعلـة أحـدثت " ضـجةً مثـل يـوم القيامة ، وإن كانـت الأبيـات الـشعرية التـي عبـرت عـن الحادثـة قليلـة "[2] لكـن الناس من ردة فعلهم لا يجدون للملك عذراً في فعلته .

وهنـاك حادثـة أخـرى وجـدت صـداها عنـد كثيـر مـن الـشعراء ، فـسلّوا ألـسنتهم وصـبوا جـام غـضبهم علـى مـن فعلهـا ، تلـك الحادثـة هـي تنازل الملـك الكامـل سـنة 616 هـ ـ عـن بيـت المقـدس ، وتـسليمه للفـرنج[3] ، ومعظم المقطوعات الـشعرية التـي عبـرت عـن تلـك الحادثـة ، تـأتي فـي بـاب " البكـاء والتّحـسر والألـم "[4] . ومـن الأشـعار التـي عرضـت بأولئـك الحكـام ، الـذين تنـازلوا عـن بيـت المقـدس ونـددت بهـم ، ووصـمتهم بالعـار ، قـول شاعر مجهول :   " الخفيف "

إن يكُـــن بالـــشامِ قـــل نـــصيري   وتَهـــــدمتُ ثـــــم دام هلُـــــوكي

فلقَـــد أصـــبح الغَـــداةَ خرابـــي   سِـــمةَ العـــار فـــي حيـــاةِ الملُـــوكِ[5]

---

[1] - أبو شامة المقدسـي ، **ذيـل الروضـتين** :175/5 ، ابـن العمـاد الحنبلـي ، **شـذرات الـذهب** 119/7 .

[2] - عبد المهدي ، عبد الجليل حسن ، **بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية** : 177.

[3] - ينظر: أبـو شـامة المقدسـي ، **ذيـل الروضـتين** : 233/5 – 234 ، المقريـزي ، **الـسلوك** : 321/1 ، الذهبي ، **تاريخ الإسلام من سنة 611-620** .

[4] - ينظر: عبد المهدي ، عبـد الجليـل حـسن ، **بيـت المقـدس فـي أدب الحـروب الـصليبية** : 240 – 246 .

[5] - الحنبلي ، أحمد بن إبراهيم ، **شفاء القلوب في مناقب بني أيوب** : 312 – 313.

فالـشاعر يـضع خـراب بيـت المقـدس ، وتـسليمه للفرنجـة مـن جانـب الحكـام ، فـي إطـار الـسمات الـشائنة ، التـي حولـت هـذا الموقـف البشع - فيما بعـد - إلـى وصـمة عـار ، ولعنـة تطـارد الحكـام فـي حيـاتهم ، ولم تعد مستساغة من قبل المسلمين لا طبعاً ولا عقلاً لبشاعتها .

3. هجاء المتقاعسين عن الجهاد :

اعتمـد الـشعراء فـي مـصر والـشام فـي تعريـضهم ، ونقـدهم الـسياسي لأولئك الحكـام المتخـاذلين عـن واجـبهم ، فـي صـد الهجمـات الـصليبية علـى الشام خاصـة ، علـى أسـلوب المقابلـة والمقارنـة بـين نمـوذجين مـن الحكـام ، أحـدهما : نـاهض لا يتـوانى عـن أداء واجبـه فـي صـد المهـاجمين ، وبـين عاجز متخـاذل انكفـأ عـن أداء واجبـه خوفـاً وجبنـاً، مـؤثراً ملذاتـه وشـهواته ، وحيـاة اللهـو علـى أداء الواجـب ، ويمكـن أن تُلمـح تلـك الـصورتان المتناقـضتان – الناهـضة والمتقاعـسة لهـذين النمـوذجين – فـي الـشواهد الـشعرية الخاصـة بأشـعار الجهـاد ، ولا شـك أن إجـادة الـشعراء ، وتمكـنهم فـي إبـراز محاسـن الحـاكم النـاهض ، وإنجازاتـه هـي التـي تكـشف مـساوئ المتقاعس والمتخاذل ، وتزري بسياسته ، وتفضح أفعاله أمام الناس .

ويعـد ذم الـشعراء غيـر المباشـر لهـؤلاء المتقاعـسين دون ذكـرهم ، كما يقـول أحـد الدارسـين أسـلوباً حاذقـاً مـن أسـاليب العربيـة ، ولعلّـه أبلـغ أثراً في نفس السامع من الذم المباشر [1] .

---

[1] - ينظر : أبو الخير ، محمود عبد ا ، **الشعر الشامي في مواجهة الصليبيين** : 433/1.

وكان الشاعر ابن منير الطرابلسي أبرز الشعراء الذين استخدموا هذا الأسلوب بأبيات يهنئ فيها عماد الدين زنكي ، بالعافية من مرضٍ ألم به ، ويعرض بأولئك المتقاعسين من الملوك ، فيقول : "الرجز "

ملوك أطرافٍ حمى أطْرافَها ... عزمك هذا اللاحقُ السباقُ

لو لم ترقْ ماء كرى العين لما ... ساغتْ بأفواههم الأرياقُ[1]

شققْتَ من دونهم موج الردى ... وشق أكبادهم الشقاقُ

أقسم لو كلفتَهم أن يسمعوا ... حديثَ أيامك ما أطاقوا

لما اشتكيتَ دب في أهوائهم ... تجسسٌ للسمع واستراقُ

تطاولوا ، لا عدمتْ آمالهم ... قصراً ولا جانبها الإخْفَاقُ

توهموها غسقاً ثم انجلتْ ... والصفْو من شرْبهم غساقُ[2]

فالشاعر في الأبيات السابقة ، يظهر مدى التمايز بين عماد الدين زنكي ، وما يظهره من قوة وشجاعة اتجاه الفرنجة – وقد عبر عنها في أبيات سابقة لهذه الأبيات – وبين أولئك المتخاذلين المرجفين ، الذين أمضوا وقتهم في نزاعاتهم وخلافاتهم الشخصية ، ويشن عليهم هجوماً لاذعاً ، بما أظهروه من أطماع دنيئة ، وأمنيات حقيرة تتمثل في حبهم الضر له ، وتناسوا همته وجرأته التي وفرت لهم الحماية من الصليبيين .

---

[1] - الأرياق : جمع ريق ، وهو اللعاب . ينظر:ابن منظور ،**لسان العرب**، مادة (ريقَ) .

[2] - **الديوان** : 230-231 ، والغساق : ما يسيل من صديد أهل النار وغسالتهم ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (غَسقَ) .

ولابن منير الطرابلسي قصيدة في السياق نفسه ، تظهر المفارقة بين نموذجي الحاكم ، فبينما الأول انفرد في التصدي والدفاع ، ظهر الثاني منهزماً متوارياً ، ومنها هذان البيتان ، يقول فيهما : " البسيط "

أصبحتَ دون ملوكِ الأرض منفرداً بلا شبيهٍ إذِ الأملاك أشباه

مشمراً وبنو الإسلامِ في شُغُلٍ عن بدء غَرسٍ لهم أثمار عقباه[1]

فالشاعر ينعت المتخاذلين بالجبن والانهزامية حين احتدمت المعركة ، وهم انتهازيون فما أن ينجلي غبار المعركة يظهروا فجأة بعد اختفائهم ، فكانوا أول المستفيدين من ثمار هذا النصر .

أما ابن القيسراني ، فيذم أولئك المتخاذلين ، ويندد بهم بكلام قاسٍ يميل إلى التجريح ، ويشكك في تأخرهم ، إذ ليس الهدف منه سوى الحصول على مكاسب دنيوية وهمية ، ويمكن أن يلحظ ذلك من خلال المقارنة الشعرية بين الانتصارات العسكرية ، التي حققها نور الدين زنكي ، والخلال الحميدة التي كان يتحلى بها[2] ، وهي مقارنة عبر عنها الشاعر في قصيدة منها ، قوله : " البسيط "

يا ساهد الطّرفِ والأجفان هاجعةٌ وثابتَ القلبِ والأحشاء تَضطرب

من كان يغزو بلاد الشركِ مكْتَسباً مِن الملوكِ فنور الدين محتَسِب

هذا ، وهلْ كان في الإسلامِ مأثُرةٌ إلا شَهدتَ وعباد الهوى غُيَب[3]

---

[1] - **الديوان** : 226.

[2] - ينظر : السرطاوي ، محمود فايز إبراهيم ، **نور الدين زنكي في الأدب العربي (صفاته)** : 60- 74 .

[3] - محمد ، عادل جابر صالح ، **شعر ابن القيسراني** : 70 – 75 .

فالـشاعر يغمـز بأولئـك المتخـاذلين الـذين لا مـأثرةً حـسنة لهـم ، فهـم عبيد أهوائهم ونزواتهم ولا يستجيبون إلا لدواعي الفسق والفجور .

ويعـاود ابـن منيـر الطرابلـسي نعـت المتقاعـسين " بالثعالـب " ، لأن هـؤلاء المتخـاذلين ، انـزووا فـي قـصورهم العاجيـة ، حـين سـمعوا زئيـر الأسـد (نـور الـدين زنكـي) وكـأن الأمـر لا يعنـيهم ، فيقول : " الكامل "

خَنَس[1] الثعالـب حـين زمجـر مـصحرٌ ... مـلأ الـبلاد هماهمـاً وزئيـرا
تركـوا مـشاجرةَ الرمـاح لحـاذقٍ ... جعلَـتْ مخافَتُـه القُـصور قُبـورا[2]

فالـشاعر يـشبههم بالثعالـب فـي جبـنهم ، فحـين احتـدمت المعركـة ، اختفوا في قصورهم هرباً من بطشه وقوة بأسه .

وفـي سـياق وصـف المتخـاذلين مـن الحكـام ، تتوالـت النعـوت الـسيئة لهـم مـن قبـل الـشعراء ، وكـان أكثـر الـشعراء تعريـضاً بالمتقاعـسين عـن الجهاد أسامة بن منقـذ الـذي رسـم لهـم صـورة مزريـة ، لا تليـق بهـم كحكـام فقـد فرغـوا أنفـسهم ، وجعلـوا أوقـاتهم محـصورة علـى سـماع الأغـاني ، ومعـاقرة الخمـور ، ومجالـسة الجـواري الحـسان ، بينمـا نقيـضهم نـور الـدين صـرف جـل وقتـه فـي مقارعـة الـصليبيين ، والنيـل مـنهم وفـي ذلـك يقول : " الطويل "

جعلنـا الجهـاد همنـا واشـتِغَالَنَا ... ولـم يلْهنـا عنْـه الـسماع ولا الخَمـر
دماء العِـدا أشْـهى مِـن الـراح[3] عنـدنَا ... ووقع المواضـي فـيهم النـاي والـوتْر

---

[1] - خنس : تأخر . ينظر:ابن منظور ، **لسان العرب**، مادة (خَنَس) .

[2] - **الديوان** : 241.

[3] - الراح : هي الخمر اسم لها . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (روح) .

وثير[1] حشايانا السروج وقُمصنا الدروع، ومنْصوب الخيامِ لنا قصر
وهم الملوكِ البيض والسمر كالدمى[2] وهمتُنا البيض الصوارم والسمر[3]

فالشاعر يقارن بين مناقبهم ، ومناقب نور الدين زنكي ، وهي مقارنة تُظهر التباين الكبير بين العاملين الجادين وبين المتقاعسين المتخاذلين ، الذين مالوا إلى الراحة ، وفضلوها على المواجهة ، وأداء الواجب ، والجري وراء الغواني البيض والسمر ، يقابلهم هم نور الدين في إعداد السيوف الحادة ، والرماح الطاعنة ، وشتان ما بين تلك الصورتين المتناقضتين ، إحداهما لحاكم عامل جاد ، والأخرى إلى خسيس متخاذل .

وكثُر هجو المتقاعسين عن الجهاد زمن صلاح الدين ، فقد عمد الشّعراء إلى فضح نواياهم الخبيثة ، وأطماعهم الشخصية ، ونددوا بادعاءاتهم الكاذبة ، وجهودهم الحثيثة لعرقلة جهود صلاح الدين مع الصليبيين ، وكان " سعادة الحِمصِي الضرير " أبرز الشعراء الذين تَصدواْ لهؤلاء المتخاذلين ،و نعتهم بالذئاب ، ويقول فيها : " البسيط "

لا يقعدنك ما حاوا وما عقَدوا هم الذئاب وأَنْتَ الضيغم الأسد
كم يخطِفُون بروقاً ما بها مطَر ويقصِفُون رعوداً ما بها برد

---

[1] - وثير : الفراش الوطيء . ينظر: ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (وثَر) .

[2] - الدمى : جمع دمية وهي الصورة المنقّشة من الرخام والتمثال . ينظر:ابن منظور،**لسان العرب**، مادة (دمي) .

[3] - **الديوان** : 201 – 203. والبيض والسمر في الشطر الأول : الغواني ، أما البيض والسمر في البيت الثاني فهي السيوف الحادة والرماح .

والقـوم قـد قعـدوا عمـا نهـضتَ بِـهِ ... مِـن الـسدادِ فـلا قـاموا ولا قعـدوا

فـــلا ثِيـــاب المعـــالي فَـــوقَهم جــددٌ ... ولا طريـقُ الأمـانِي نَحـوهم جـدد[1]

إيـاك تَغفَـلُ عـنْهم مِثْـل مـا غفِلـوا ... إياك ترقُـد عـنهم مِثْـلَ مـا رقَـدوا[2]

فالـشاعر هجـا المتقاعـسين معتمـداً فـي ذلـك علـى أسـلوب المفارقـة ، فـشبههم بالـذئاب وشـبه نقيـضهم بالأسـد ، وشـتان مـا بـين النقيـضين ، وهـم كـسالى لا طمـوح لـديهم نحـو المعـالي ، غفلـوا فتقاعـسوا عـن دورهـم ، ولا يـسمع لهـم سـوى أصـوات تُرعـد بـلا مطـر ، فهـم ممـن ينطبـق علـيهم مثَـلُ العربـي " أسـمع جعجعـةً ، ولا أرى طحنـا "[3]، وكـل مـا يملكونه أماني لا يعملون شيئاً لتحقيقها .

ولا يكـاد فتيـان الـشاغوري يخـرج فـي ذمـه للمتقاعـسين ، عـن المعاني التي عبـر عنهـا الـشعراء الـسابقون ، حـين يقـارن بـين صـلاح الـدين الأيـوبي الـذي تميـز بالعفـة ، وأشـغل وقتـه فـي مقارعـة الـصليبيين ، وبـين ملـوك أمـضوا أوقـاتهم فـي رشـف ثغـور الحـسان مـن الجـواري ، وأهـدروا حيـاتهم فـي اللهـو وتـشييد القـصور ، وبنـاء الخيـام ، فيمـا انـصرف هـم نقيـضهم فـي هـدم ثغـور الفـرنج ، وتقـويض ملكهـم ، وفـي ذلـك يقول : " الطويل "

أبـى لـك لـثْم الـسمر إعمالَـك الـسمرا ... ورشْفُ ثغور البيض أن تملِـك الثغْـرا

وضم الحصان البكْـر ركْـضك فـي الـوغى ... حِـصاناً عليـهِ تَفتِـك الفَتْكَـةَ البِكْـرا

---

[1] - جد : الجدد : الأرض المستوية. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (جدد) .

[2] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** : 412/1 .

[3] - الميداني ، **مجمع الأمثال** 491/1 ، القالي ، **الأمالي** 431/1 .

وحبـــك تطنيـــب الخيـــامِ مقوضـــاً خِيام العِدا بالقَـسرِ أن تَـألف القَـصرا[1]

وفـي إطـار التعـريض بالمتخـاذلين زمـن نـور الـدين ، قـارن ابـن منير الطرابلـسي بـين حيـاة هـؤلاء المتقاعـسين ، وبـين حياتـه ، فنعـتهم بـأنهم ملـوك فـسق ، يتلـذذون بـسماع مقارعـة كـؤوس الخمـر ، ولا يـشفي غلـة قلـوبهم إلا شـربها ، ولا يطفـئ ظمـأهم إلا رؤيتهـا ، بينمـا نقيـضهم تطربـه قعقعـة الـسيوف المدميـة ، ويـروي ظمـأه رؤيـة الغبـار ، يعلـو سـماء المعركـة ، وشـتان مـا بـين الحـاكمين فهـم غيـر مـؤتمنين ، ولا يرجـى مـنهم خيراً ، وفي ذلك يقول : " الوافر "

وخيـــر سَـــماعِهِ ضَـــربٌ مُـــدامٌ إذا طَـربَ الملـوكُ إلـى المُـدامِ

تطيـر بـه إلـى العليـاءِ نفـسٌ عُـروبٌ عـن ملاعمـةِ المـلامِ

سَـقى ا ُ العوامـلَ مـن جبـالٍ سَـعِقْن النقْـعَ عـن نقـعِ الأُدامِ[2]

فالأبيـات تظهـر تمـايزاً واضـحاً بـين مـن يحمـل هـم رعيتـه ، والـدفاع عـن أرضـه وهـذا شـغله الـشاغل ، وبـين مـن لا هـم لـه سـوى ملذاتـه وشهواته ، فماذا تنتظر الرعية من هؤلاء المتقاعسين ؟ .

أمـا ابـن جبيـر فيرسـم لنـا فـي أبياتـه صـورة ، تظهـر التمـايز بـين صلاح الدين الأيـوبي فـي عيـشه ، وبـين أولئـك المتخـاذلين مـن الملـوك الـذين يحيـون حيـاة هانئـة ، منعمـين بكـل مـا تـشتهيه الـنفس مـن طيـب الفـراش ، ورغـد المعـاش ، فـي فتـرة كـان المـسلمون فيهـا ، بـأمس الحاجـة للتقـشف ،

---

[1] - **الديوان** : 151 .

[2] - **الديوان** : 277.

لتحريـر الـبلاد والعبـاد ، وفـي هـاتين الـصورتين المتناقـضتين ، يقول : " المتقارب "

تَبيـتُ المُلـوك علـى فُرشِـهم وتَرفُـلُ فـي الـزرد[1] الـسابِري[2]

وتـؤْثِر جاهِـد عـيش الجِهـادِ علـى طِيـبِ عيـشِهم الناضـر

وتَـسهر ليلُـك فـي حـق مـن سيرضـيك فـي جفْنِـك الـساهِرِ[3]

فحيـاتهم يتخللهـا دعـةٌ ، وعـيشٌ نـضر ، فكيـف لمثـل هـؤلاء الـذين تعودوا علـى رغـادة العـيش ، أن يقـاوموا المحتلـين ؟ فلـيس لهـا إلا مـن حمـل هم البلاد والعباد .

ووصـل الـشعراء فـي ذمهـم للمتقاعـسين عـن الجهـاد إلـى إنكـار وجـودهم ، واعتبـار مراكـزهم شـاغرة ، فمـن يـدير شـؤون الـبلاد لا رأي له ، فهم بين حـاكم بعقـل خـصي ، وآخـر بعقـل صـبي ، وتلـك الـصفات لـيس فيهـا مـن الرجولـة شـيئاً ، فالقيـادة تحتـاج إلـى رجـل فطـن ، قـادر علـى إصلاح الفساد ، وهـي تتـوافر فـي قائـد كـصلاح الـدين الأيـوبي ، وقـد صـور ابـن سـناء الملـك هـؤلاء الحكـام المنغمـسين فـي غـيهم ، وضـلالهم ، حيـث يقول : " البسيط "

وأصـبحوا مِنْـه فـي هـم وصـبحهم وهم سـكارى بِكَـأْسِ اللهـو والطـربِ

تفرغـوا لِنَعـيمِ العـيش واشـتَغَلوا عـن الثغـور بِلَـثْمِ الثغْـر والـشنَبِ

---

[1] - الزرد : الدرع المزرودة . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (زرد) .

[2] - السابري : فارسية تعني: الرقاق مـن الثيـاب .ينظـر : ضـنّاوي، سـعدي ، **المعجـم المفـصل** . 256 .

[3] - أبو شامة المقدسي ، **الروضتين** : 241/3 .

أرض الجزيرةِ لم تَظْفَر ممالكُها	**بمالكٍ فَطِنٍ أو سائسٍ دربِ**
ممالكٌ لم يدبرها مدبرها	**إلا برأي خَصِيٍ أو بعقْل صبي**
حتى أتاها صلاح الدين فانصلحتْ	**من الفَسادِ كما صحتْ من الوصبِ**[1]
وقد حواها وأعطى بعضها هبةً	**فهو الّذي تَهب الدنيا ولا يهبِ**[2]

فالشاعر يصور أولئك الحكام المتقاعسين المشغولين بالبحث عن ملذاتهم ، وقد تناسوا ما كان يجب عليهم القيام به ، في تلك الأوقات العصيبة ، معتمداً على أسلوب المقارنة بينهم ، وبين صلاح الدين ، وظهر ذلك التمايز من خلال التضاد ، بين كلمة " الثغور " التي تعني الحدود ، وتوحي بضرورة الدفاع عنها ، وبذل النفس في سبيلها ، وبين كلمة " الثغر " التي تحمل دلالات عاطفية ، وجنسية ، وشتان ما بين " ثغور صلاح الدين ، وثَغْر بعض الحكام المتخاذلين ، ولعل ذكر الشاعر لكلمة " عقل خصي " أراد منه الإزراء بهم وإظهار عجزهم ، أما قوله " عقل صبي " فهي تحمل حقيقة تاريخية ، تشير، كما يقول أحد الدارسين " إلى الملك الطفل الصالح إسماعيل بن نور الدين ، الذي لم يبلغ إحدى عشرة سنة عندما اعتلى عرش الإمارة بعد وفاة والده نور الدين محمود ، فكفله أمراء الدولة النورية ، الذين ساسوا البلاد سياسات خاطئة "[3] ويبدو أن مثل تلك السياسات ، دفعت الحكام المتخاذلين ، إلى الصلح مع الفرنجة ومهادنتهم .

---

1 - الوصب : التعب والمرض . ينظر: ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (وصب) .

2 - **الديوان** : 3/2.

3 - موسى ، إبراهيم نمر ، **شعر الحرب في العصر الأيوبي** : 63 .

أما ابن الساعاتي ، فقد جرد المتقاعسين من الحكام زمن صلاح الدين الأيوبي من فضائلهم النفسية ، فاتهمهم بالكذب ، والنّفاق ، وفضح خباياهم دون أن يصرح بأحدهم ، وإنما دلّل عليهم من خلال أسلوب المقارنة المتبع في هجاء المتقاعسين ، وذهب في هجوه إلى تنبيه الناس بالقول : إن رفعهم لراية الجهاد ، لا ينم عن حقيقة دخائلهم فما رفعهم لها إلا رياء للرعية ، ورغبة في خطف الأضواء أملاً في إطفاء نجم نقيضهم – صلاح الدين – الذي حجب نورهم ،وحارب نصرةً للدين ،وغيره حارب لأجل الدنيا ، وفي ذلك يقول : " الوافر "

يقاتِلُ كُلُّ ذي ملْكٍ رياءً وأنتَ تُقاتِلُ الأعداء دِينَا

قضيت فَريضةَ الإسلامِ مِنْها وصدقتَ الأماني والظّنُونا[1]

فالتمايز بين الطرفين جلي واضح ، فَشتان ما بين من يجاهد لأداء فريضة ا ، وبين مراءٍ رفعها لغرض الشّهرة ، والسمعة ، ونيل مكاسب دنيوية زائلة .

ولعل تلك النماذج الشعرية السابقة ، تعطي صورة واضحة لموقف الشعراء في ظل الدولتين الزنكية والأيوبية ، من الحكام والأمراء المتقاعسين عن مواجهة الصليبيين ، ملمحين إليهم من خلال مقارنتهم مع نقيضهم ، غير أن تلك النماذج المطروحة ، لم تكن مستقلة بذاتها ، وإنما جاءت في سياق شعر المواجهة ، تَمكن الشّعراء من إظهار تلك الصورة السلبية لأولئك الحكام ،بعد تمكنهم من إبراز صفات وإنجازات نقيضهم ،

---

[1] - **الديوان** : 406/2 .

لكن يظل الفضل لأولئك الشعراء في إثارة الناس ، على أولئك الحكام المتخاذلين ، وفضح سياساتهم المشينة .

وهذا أسامة بن منقذ يتحدث في المعنى نفسه ، حين يمايز بين عمل صلاح الدين في الجهاد ، وبين الحكام المتخاذلين ، فيقول : " الكامل "

يا ناصرَ الإسلامِ حين تَخَاذَلَتْ عنْه الملُوك ومظهر الإيمان
لما رأيتَ الناس قد أغْواهم الشْـ ـشَيطان بالإلْحادِ والعصيان
جردتَ سيفَك في العِدا ، لا رغْبةً في الملْكِ بلْ في طاعةِ الرحمن[1]

4. هجاء أمراء النزعات الانفصالية :

وقف بعض أمراء الشام – وخاصة حكام دمشق – مواقف خيانية ذات نزعات انفصالية ، وباتت تلك المواقف تشكل عقبة كأداء في وجه سياسة نور الدين زنكي ، ونزعته الوحدوية لتلك الإمارات ، وقد سعى أولئك الأمراء من منطلق مصالحهم الشخصية ، وأهدافهم الرخيصة إلى منع تلك الوحدة ، ولتحقيق غايتهم ، اتصلوا بالصليبيين ، وعقدوا معهم المعاهدات " يدفعهم إلى ذلك رغبة جامحة في الحكم ، والاحتفاظ بها مهما كان الثمن المدفوع في سبيل ذلك "[2] وسرعت تلك المواقف نور الدين إلى حصار دمشق أكثر من مرة ، وضمها إليه " وبالتالي توحيد

[1] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** : 531/1 .
[2] - الهرفي ، محمد علي ، **شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام** : 175 .

الإمارات الـشامية فـي ظـل دولـة زنكيـة موحـدة ، تقـف متماسـكة فـي وجـه الصليبيين "[1] .

وضـرب نـور الـدين زنكـي سـنة 546 هـ ـ حـصاراً محكمـاً علـى دمـشق " لمعاضـدة أهلهـا الفـرنج ، واستنـصارهم بهـم "[2] ، وقـد أثـار هـذا الموقـف غـضب الـشعراء وحـرك مـشاعرهم الغاضـبة ، اتجـاه تلـك الأفعـال الـشائنة ، فراحـوا يعبـرون عـن اسـتهجانهم لهـم ، وينعتـونهم بأبـشع الـصفات ، ويتهمـونهم لـيس بتقـويض الوحـدة فحـسب ، بـل بالخيانـة للمـسلمين ، ومـن أبـرز هـؤلاء " مجيـر الـدين أبـق "[3] الـذي تحـالف مـع الفـرنج ، ووقّـع معهـم معاهـدة صـلح ، وقـد تـصدى لـه ابـن منيـر الطرابلـسي ، ونعتـه بـأقبح النعـوت ، التـي تحـطّ مـن قـدره ، فيـصفه بأنـه مبيـر للـدين ، ومـارق وكـافر ، ويـذهب فـي تهكمـه ، وسـخريته منـه إلـى وصـفه بـالأدرد ، ويخرجـه مـن الإسـلام ، ويجعلـه تـارة مـع النـصارى ، وتـارة أخـرى مـع اليهـود ، ويـشَهر بأعمالـه المـشينة ، فهـو محـارب للمـسلمين ومـوالٍ للـصليبيين ، ومجـرم ظـالم لرعيتـه ، وفيـه يقول : " الطويل "

وقُـلْ لِمبيـر الـدين وهـو مجيـره يـزعمُ لـه وجـه الحقيقـةِ أزيـد

- [1] إبراهيم ، محمود ، **صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني** : 118 .
- [2] أبو شامة المقدسي ، **الروضتين** : 254/1 .
- [3] مجير الدين : هو مجير الدين أبق بن محمد بن بوري بن طغتكين ، ولي دمشق بعد أبيه وأخذ هامته نور الدين سنة 549 هـ أو 565 هـ . ينظر:ابن العماد الحنبلي ، **شذرات الذهب** 351/6،ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** : 381/5،وقيل بقي إلى سنة 572 هـ ينظر : ابن يعلـى ، **ذيـل تـاريخ دمشق** : 328 الحاشية .

حملْـــتَ الـــصليب باغِيـــاً ونَبذْتَـــه   ونَغْـــرك مطْـــووس النّبـــاتِ وأدرد[1]

وحاربـــتَ حِـــزب ا ِ ، وا ُ ناصـــرٌ   لناصـــرِهِ ، وديـــن أحمـــد أحمـــد[2]

تنـــصرتَ حينـــاً ، والـــبلاء موكـــلٌ   ولا بـــد مـــن يـــومٍ بـــهِ تَتَهـــود[3]

ويحـط الـشاعر مـن قـدر مجيـر الـدين ، ويـصفه بأنـه ُألعوبـة ، وأحمـق وإمعانـاً فـي تحقيـره ، جعلـه أنثـى ، فنفـى عنـه صـفة الرجولـة ، ورمـاه بـالعجز بحيـث لا يـستطيع أن يـأتي بأعمـالٍ جليلـة ذات قيمة .   " الطويل "

رمـاك بـباقلاً دِمـشقَ ، فلـم تكُـن   سوى بقْلـةَ حمقـاء بـالحمق تَحـصد

وجالـدتَ جـلاّداً ، وأنْـتَ مؤَنّـثُ   تَـذكّرتَ ، والجـلاد أدهـى وأجلـد

تطاولْـتَ لا نفـسٌ تُـسمى ولا أبٌ   وراءك زحفـاً ، إنمـا أنْـتَ مقْعـد

وزاد الـشاعر فـي امتهـان كرامتـه ، فألـصق بـه صـفة الكفـر ، ولا غرابة في ذلك كمـا يقـول ؛ لأنـه مـن بيـت حاضـنٍ للكفـر ، فأمـه نـصرانية ، وأبـوه وعمـه مجوسـيان ، فهـي سـلالة عـشّش الكفـر فـي ديـارهم ، ويـضيف الـشاعر قولـه : إن سـوء أحوالـه سـببتها تلـك البطانـة الـسيئة المنحرفـة التـي استعان بها في أموره ، لـذا لـم يكـن مـصير تلـك الحاشـية ، أقـل نقـداً وزرايـة منه فعرض به ، وبوزيره ابن الصوفي ، وفي ذلك يقول :   " الطويل "

تنـصرتَ ُأمـاً ، بـل تمجـستَ والـداً   وعمـاً ، فَعِـرقُ الكُفْـر فيـك مـردد

---

[1] - الأدرد : الرجل الذي ليس في فمه سن ، بين الدرد . ينظر:ابـن منظـور، **لـسان العـرب**، مـادة (درد).

[2] - أحمد الأولى : هو محمد عليه السلام وأحمد الثانية : أشكر وأثني .

[3] - **الديوان** : 251 – 252.

تَخـذْتَ بنـي الـصوفي[1] أسـراً[2] وأُسـرةً لِكي يصلِحوا مـا فـي يـديك فَأفْـسدوا
لعمـري لـنِعم العبـد أنـتَ ، تُجيعـه لِـوالٍ وتُولِيـهِ هوانـاً فَيحمـد[3]

وقال مـن شـأنه مقارنـة بنـور الـدين ، فخـرج بنتيجـة مؤداهـا أن الفارق بينهما كبير : " الطويل "

أمساعةَ نـور الـدين تبغِـي ودونَهـا الـ ـأسـنةُ بتْـرٌ والعواهِـلُ تُعـضد
وهـلْ يـستوي سـارٍ تَأسـد طاويـاً ونَـشوان يعلـى معـصماً ويؤيـد[4]

وفـي سـياق ذم الـشعراء لأمـراء الـشام الـذين سـعوا لعرقلـة جهـود نور الدين ، وأعلنـوا العـداوة علـى بنـي جلـدتهم ، بـل تعـدت عـداوتهم وأذاهـم الـصليبيين ، شـن ابـن منيـر الطرابلـسي هجومـاً علـى أولئـك الأمـراء الـذين عرقلـوا جهـوده ، ووصـفهم بـأنهم منـافقون ، ومـن دعـاة الفـتن فـلا عهـد لهم ، وذهـب إلـى حـد إلـصاقهم بتهمـة الـردة عـن الإسـلام ، فـراح يحـرض نـور الـدين علـى قتـالهم ، واستئـصال جـذورهم ، وكـسر شـوكتهم وتفريـق شملهم ، حيث يقول : " الكامل "

صـفر بحـد الـسيفِ دار أشَـائبٍ[5] عقلـوا جيـادك عـن بنَـاتِ الأصـفر
هـم شـيدوا صـرح النفَـاق وأوقَـدوا ناراً تُحش[6] بِهـم غَـداً فـي المحـشَرِ

---

[1] - بني الصوفي : من الأسر التي كان له دور فـي واقـع دمـشق الـسياسي ومـنهم الـوزير مؤيـد الدين بن المسيب بن علي . ينظر: أبو شامة المقدسي ، **الروضتين** : 227/1 .

[2] - أسراً : الأسر : القوة . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (أسر) .

[3] - **الديوان** : 252 .

[4] - **الديوان** : 252 .

[5] - أشائب : أخلاط الناس والشوب :الخلط . ينظر: ابن منظور، **لسان العرب** ،مادة (شوب) .

[6] - تحشّ : تُوقد ينظر:ابن منظور،**لسان العرب** ، مادة (حشَشَ) .

أذكـوا بجلّـقَ حربهـا واستَـشْعرت لفحاتُهـا بـين الـصفا و المـشْعر

شـرديهم[1] مـن خَلْفَهـم مـستَنْجِداً مـا ظـاهر الكُفـار مـن لـم يكْفُـر

لا تَعفُ ، بل شَـق الهـدى نَفـس الّـذي اد درع الـضلالَ علـى أغَـر مـشَهر

قلـده مـا أهـدى علـي لِمرحـبٍ[2] فَلَقـد تَهكـم فـي الخِـداع الخيبـري

مـا الغِـش مِمـن أمـه نَـصرانَةٌ لـم تَخْتَـتِن كـالغِش مـن متَنَـصر[3]

فالـشاعر يـضخم مـن خطـرهم ، لحـث نـور الـدين علـى قتـالهم ، ويذكّره بأن خطـرهم أشـد مـن النـصارى ، فالعـدو ظـاهر معـروف ، أمـا هـم فمنـافقون يعملـون فـي الخفـاء ، لـذا فـإن عقـاب أمـراء دمـشق ، وحكامهـا يجب أن يكون أقوى وأشد قسوة .

ومـن أمـراء الـشام الـذين تعرضـوا لنقـد الـشعراء ، بـسبب سياسـتهم أمير دمـشق " معـين الـدين أُنـر "[4] ، فقـد جعـل أسـامة بـن منقـذ يعـرض بـه ويقَرعه ، إذ لم يكتـف بالتقـاعس عـن حمايـة ملكـه ، بـل عمـد إلـى الاتـصال بالصليبيين ، ومـسالمتهم ؛ ليحـول بـين نـور الـدين وبـين طموحـه فـي تحقيـق الوحـدة الـشامية ، فأخـذ الـشاعر يـذم سياسـته الجـائرة ، ويحقـره ، ويعلـن اسـتهجانه فعلتـه الـشائنة ، لاسـتعانته بالـصليبيين ، والاسـتقواء بهـم علـى بنـي

---

[1] - في الديوان : شردتهم ، وهذا تصحيف ، إذ أنني أرى شرديهم أقرب مـن شـرد تهـم مـن حيـث المعنى ، لأن شرديهم اقتباس من قوله تعالى (فإما تثقفنهم فـي الحـرب فـشرديهم مـن خلفهـم لعلهم يذكرون) : الأنفال 57 .

[2] - مرحب : هو اليهودي الذي قتله علي بن أبي طالب في خيبر سـنة 7 هــ وقيـل إن الـذي قتلـه محمد بن مسلمة . ينظر:ابن الأثير ، **الكامل في التاريخ** : 218/2 – 219 .

[3] - **الديوان** : 249 – 250.

[4] - معين الدين أُنر: هو معين الدين أنر الطغتكي وهو مقـدم جـيش دمـشق ، ومـدبر الدولـة كـان عاملاً سائساً ، حسن الديانة توفي سـنة 543 هــ . ينظـر:ابـن العمـاد الحنبلـي ، **شـذرات الذهب** 138/4 .

جادتـه ، وعـد تـصرفه منكـراً ينبغـي علـى فاعلـه أن يخجـل مـن نفـسه ، إن كان في وجهه بقية من ذرة حياء ، وفي ذلك يقول : " البسيط "

أسـلمتَنَا وسـيوفُ الهنْـدِ مغمـدةٌ ولـم يـرو سِنَان الـسمهري دم[1]
وكنْـتُ أحـسب مـن والاك فـي حـرمٍ لا يعتريـهِ بـهِ شَـيبٌ ولا هـرم
هبنَـا جنَينَـا ذُنُوبـاً لا يكفّرهـا عـذْرٌ فمـاذا جنَـى الأطفـالُ والحـرم
ألْقيـتَهم فـي رِضـى الإفـرنج متبعـاً رضى عِـداً يـسخِطُ الـرحمن فِعلُهـم
هـلا أَنِفْـتَ حيـاءً أو محافظـةً مِن فِعل مـا أنكرتـه العـرب والعجـم[2]

فالـشاعر أزرى بمهجـوه ، وعـراه مـن الحيـاء ، أخـص فـضائل المـرء النفـسية ، لِـشَين فعلتـه لمـا أسـلم مدينتـه إلـى الفـرنج ؛ سـعياً لإرضـائهم ، وينكـر الـشّاعر عليـه إرضـاءه لأهـل الكفـر والعـدوان ، غيـر مبالٍ بسخط وغضب الرحمن .

وواصـل الـشّاعر ذمـه للانفـصاليين ، ومـنهم بعـض الأسـر فـي دمـشق كبنـي صـوفي[3] وكـشف أسـامة بـن منقـذ خطـرهم علـى سياسـة الحكام ، وحـذّر مـن سـوء سـريرتهم ، فهـم أعـداء وأشـرار ، ينبغـي ألا يتّخَـذَ مـنهم الأعـوان والمـساعدون ؛ لأنهـم بطانـةٌ فاسـدة ، وفـيهم يقول : " البسيط "

هـم الأعـادي ، وقـاك ا شَـرهم وهـم يـزعمهم الأعـوان والخَـدم
إذا نَهـضتَ إلـى مجـدٍ تُؤثّلـه[4] تقاعـدوا ، فـإذا شـيدتَه هـدموا

---

[1] - السمهري : الرمح الصلب القوي .ينظر :ابن منظور ، **لسان العرب** ،مادة(سمهر).
[2] - **الديوان** : 147 .
[3] - بنو صوفي : سبقت ترجمتهم .
[4] - تؤثله : أثله يعني أصله. ينظر: ابن منظور،**لسان العرب** ، مادة (أثل) .

وإن عرتْــــك مــــن الأيــــامِ نائِبــــةٌ   فكُلهــم للــذي يبكِيــك مبتَــسِم[1]

فالــشّاعر ينعــتهم بــأنهم متقاعــسون عــن أداء الواجــب ، وعوامــل هــدم وتخريــب يظهــرون خــلاف مــا يبطنــون ، يبنــون ســعادتهم علــى مــصائب الناس بل ويتمنّونَها لهم .

وقــد تــابع الــشعراء دورهــم فــي نقــد أمــراء الــشام ذوي التوجهــات الانفصالية ، بعــد استــشهاد نــور الــدين زنكــي ، وشــجعوا صــلاح الــدين علــى مواصــلة الجهــود الوحدويــة بــين مــصر والــشام ، لكــن الهجــائين ســلكوا فــي هجــوهم للأمــراء اتجاهــاً تعميميــاً ، فلــم يتنــاولوا شخــصاً بعينــه ، بــل طــال – ربما – أهــل الإمــارة جميعهــا ، وكــان لموقــف أهــل حلــب المنــاوئ لجهــود صــلاح الــدين الوحدويــة ، صــدى واضــحاً فــي ســير شــعر الهجــاء الــسياسي في هذا الاتجــاه التعميمــي ، فقــد وجــد الــشعراء فــي مــوقفهم المنــاوئ فرصــة ، لهجو الحلبيين ، والنيل منهم جميعاً .

ومن الــشواهد الــشعرية التــي تمثــل هــذا الاتجــاه ، مــا عبــر عنــه ابــن الفــراش الدمــشقي ، فقــد ســجل بــشعره ســيرة الحلبيــين الــسيئة ، وموقــف حكامها المشين ، حــين اســتغلوا صــغر ســن ابــن نــور الــدين زنكــي ، لإعاقــة الجهــود الوحدويــة لحكــام مــصر ، وقتــالهم لأغــراض شخــصية ، وفيــه يقول :   " الوافر "

عــصتْ حلَــبٌ وقاتَــلَ ســاكنُوها   ولَــيس قِتــالُهم لَــك بالعجيــبِ
لأنّــك ناصــر الإســلامِ حقَــاً   وهــم رهــطُ المغيــرةِ أو شَــبيبِ

---

[1] - **الديوان** : 147 .

جهادك إن طلبتَ الغَزو فيهم | أهمّ إليك من غَزو الصليبِ
أناسٌ دبّت الأغلالُ فيهم | وليس لهم كسيفِك من طبيبِ
ولم يُذْخَرك نور الدين إلا | لتَدفَع عنْه نائبة الخُطوبِ
فخَلِّص ابنه بالسيفِ منْهم | فقد حبسوه في بلدٍ جديبِ
يبيتُ وقلبه المحزون أشْهى | إلى لُقْياك من ضم الحبيبِ
صغيرٌ بينهم ، لا بلْ أسيرٌ | غضيض الطّرفِ مبخوس النّصيبِ[1]
تَذكّر عهده واحنُن عليهِ | ونَفّس عنْه تَضييقَ الكُروبِ
ولا يغررك من يوليك وداً | ويلْوي عنْك أجفان المريبِ[2]

فالشاعر يصفهم بأنهم انتهازيون ، يستغلّون الظروف في تحقيق مصالحهم الشخصية ، ويشير إلى التمايز بين صلاح الدين ،وأهل حلب ، وشبه موقفهم منه بموقف كفار مكة على رأسهم المغيرة بن شعبة من دعوة الرسول عليه السلام ، ملصقاً بهم صفة الكفر ، وهل هناك صورة أبشع من تلك الصورة التي نعتهم بها وزاد عليها، حين جعلَ عصيانهم ، ومعارضتهم داء ليس له علاج إلا السيف .

وإمعاناً في ذم أهل حلب ، والانتقاص من شأنهم ، والإزراء بهم وفضح نواياهم ، فقد نعتهم الشاعر ابن الفراش ، بأنهم عصاة مارقون لا يدينون بالطاعة لولاة الأمر ، لكن خروجهم عن طاعة صلاح الدين الأيوبي يعد حماقة ، فهم في فعلتهم المتخاذلة ، وصورتهم السيئة

---

[1] - مبخوس النصيب : منقوص الحقّ مشتقة من بخِس . ينظر: ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (بخَس) .

[2] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** : 1/302-303 .

كـالفراش المتهالـك يتجمعـون حـول شـعلة النـار بـصورة عفويـة ، لكـنهم لا يـدرون أنهـا تحـرقهم ، لجهلهـم بعواقـب تـصرفاتهم ، وفـي ذلـك يقول : " الوافر "

رأيـتُ المـارقين ومـن يليهم جميعـاً مـن عـصي أو مجيـبِ
إذا غنـتْ صـواهلهم وأبـدى لهـا الخَطـي أخـلاقَ الطّـروبِ
فَراشـاً عاينَـتْ نَـاراً فأبـدتْ تهالُكهـا علـى جمـر اللهيـبِ[1]

وحـين اسـتولى صـلاح الـدين علـى مدينـة دمـشق سـنة 570 هـ[2] هنأه الشعراء بتلـك المناسـبة ، معبـرين عـن الحالـة الـسيئة لتلـك المدينـة ، فـي ظـل حكامهـا المتقاعـسين ، ومـا أصـابها مـن خـراب ، ومـن الـشعراء الـذين سـجلت أشـعارهم تلـك الفرحـة الـشاعر وحـيش الأسـدي ، إذ يقول : " البسيط "

أَنْـتَ صـلاح الـدين مـن أَسـدٍ أَدنـى فَريـستَه الأيـام إن وثبـا
رأيـتُ جلـقَ ثُغْـراً لا نظيـر لـه فجئْتَهـا عـاشِراً مِنْهـا الـذي خَربـا
نادتْـك بالـذل لمـا قـل ناصِـرها وأزمـع الخُلُـقُ مِـن أوطانِهـا هربـا
أحييتَهـا مِثْـلَ مـا أحييـتَ مـصر فقـد أعدت من عدلها مـا كـان قـد ذَهبـا[3]

فالـشاعر يهنـئُ صـلاح الـدين بتلـك المناسـبة ، ويـصور الـضر والتخريـب الـذي حـل بهـا ، بـسبب سياسـة حكامهـا المنحـرفين ، وحاجتهـا

---

[1] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** : 304/1 .

[2] - ينظـر : أبـو شـامة المقدسـي ، **الروضـتين** : 2/ 222 ومـا بعـدها،ابن شـداد ، **النـوادر السلطانية** : 50 .

[3] - العماد الأصفهاني، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** 242/1 ، أبو شامة المقدسي ، **الروضتين** 225/2 .

إلى أيادٍ كأيدي صـلاح الـدين لتعميرهـا ، وكـل ذلـك يـدلل علـى الـدور الـذي أداه الـشعر للوحـدة ، وهجـو سياسـة الأمـراء المتقاعـسين ، المفـسدين لديارهم بغرض مصالحهم الشخصية .

وانتقـد الـشعراء المنازعـات الـسياسية التـي وقعـت بـين أبنـاء البيـت الأيـوبي عقـب وفـاة صـلاح الـدين ، ووصـلت تلـك النزاعـات إلـى درجـة اسـتعانة أحـدهما علـى الآخـر بالـصليبيين ، وربمـا كـان القاضـي الفاضـل مـصيباً حـين صـور واقعهـم فـي قولـه : " أمـا هـذا البيـت فـإن الآبـاء فيـه اتفقوا ، فملكـوا ، والأبنـاء اختلفـوا فهلكـوا ، وإذا غـرب نجـم فمـا هـي الحيلـة إلى تشريقه ، وإذا بدا خرق ثوب فما يليه إلا تمزيقه "[1] .

وينبغـي أن يـشار إلـى أن النمـاذج الـشعرية التـي قيلـت فـي تلـك النزاعـات ، هـي أقـرب إلـى الـشكوى وإسـداء النـصح ، لكـن بعـض تلـك النمـاذج تـشير إلـى مواقـف رافـضة ، لمـا كـان يحـدث بيـنهم ، وإن خفـت حـدتها اتجـاه المنتقـدين ، لأن أمثـال هـؤلاء المتخاصـمين مـن الحكـام يجـب أن يكون الـشاعر معهـم لطيفـاً ، حتـى لا يتعـرض لـلأذى ، فبـدا الـشاعر فـي نقده وسـيطاً ومـصلحاً ، ومـن أبـرز تلـك الـشواهد ، أبيـاتٌ لفتيـان الـشاغوري يعرض فيهـا بـالنزاع الـذي حـدث بـين الملـك الأفـضل[2] مـن جهـة ، وأخيـه الملك عثمان ، وعمهمـا العـادل مـن جهـة أخـرى ، وكـان لـذلك الخـلاف آثـار

---

[1] - ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** : 420/3 .

[2] - الملك الأفضل : علي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ملـك الـشام فـي حيـاة أبيـه ، ثم من بعده كان فاضلاً وشاعراً حسن الخط . ينظـر : أبـو شـامة ، **ذيـل الروضـتين** : 219/5 – 220 .

الخلاف آثـار سـيئة علـى دمـشق ، إذ عانـت مـن الجـدب والغـلاء ،والحـصار الذي فرضه جند الملك العزيز[1] ، وفيها يقول : " الكامل "

وعـساكِر المِـصري محدِقـةٌ بِنَـا ... أطْلابهـا كـأجيج نـار الموقِـدِ[2]
نـارٌ أتَـتْ مـن مِـصر أذكَتْهـا لنـا ... إحـنٌ أُثيـر كمينهـا مِـن صرخَدِ[3]
هـم أطلقـوا طِـرف الغـلاءِ فجاءنـا ... عـن طِـرفِ رخـصٍ بـالفلاةِ مقيـدِ
مـا بـين جـدبٍ نحـن فيـه ورخـصهم ... إلا كغلـوةِ سـهمٍ رام جيـدِ
لمـا رأيـتُ النـاس هـروا فِتنـة ... ضبثَتْ براثِنُهـا بِكـل موحـدِ[4]
وتفَرقـوا صِـنفين : سـنِّياً وشِيـ ... ـعياً وكـل قائـلٌ : أنـا مهتَـدِ
هـذا يميـلُ إلـى أبـي بكْـرٍ وذَا ... يبغـي علِيـاً مخْلِـصاً بِتَـودِدِ
وسـقَتْهم الأهـواء كأسـاً لـم تَـدع ... ذا مسكةٍ[5] فـي النـاس غيـر معربِـدِ[6]

فالـشاعر لا يخفـي رفـضه لـذلك الواقـع ، الـذي خلـف آثـاراً سـيئة علـى أهـل دمـشق ، بـسبب ذلـك النـزاع الـذي قـسم النـاس إلـى شـيع ، وأتبـاع فتعـددت المعانـاة ، مـا بـين حـصار ، وجـدب وغـلاء ، وهـذا مـا دفـع الشاعر إلى ذم ذلك الصراع .

---

1 - هو الملك العزيز عماد الـدين أبـو الفـتح ، ابـن الـسلطان صـلاح الـدين ، سـلطان الـديار المصرية وليها في عهد والده ثم استقل بهـا ـ تـوفي سـنة 595 هـ . ينظـر: ابـن تغـرى بردى : **النجوم الزاهرة** 120/6 .

2 - أطلابها : جمع طلب ، وهو الخاطب .ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة(طلب).

3 - صرخد : بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق وهي قلعـة حـصينة ينـسب إليهـا الخمـر . ينظر : الحموي ، **معجم البلدان** : 401/3 .

4 - ضبثت : قبضت . هر : هرهراً : ساء خلقه وهر في وجهـه : صـوت . ينظـر ابـن منظـور، **لسان العرب**، مادة (قبض) ومادة(هرر) .

5 - مسكة : حصة من عقل . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (مسك) .

6 - **الديوان** : 131– 133 .

ومن المواقـف التـي عـرض بهـا الـشعراء ، وعبـروا مـن خلالهـا عـن رفضهم لسياسة حكـام بنـي أيـوب مـا فعلـه الملـك الأفـضل ، والملـك الظـاهر من حصار لمدينـة دمـشق عقـب وفـاة الملـك العزيـز سـنة 597 هـ ـ[1] وأبـرز الشعراء في أبيـاتهم موقـف الـوزير ابـن شـكر[2] فـي إنهـاء ذلـك النـزاع ، دون صدام دموي ، وفي ذلك يقول ابن عنين : " البسيط "

حتـى إذا أَشْـرقَتْ مِـنْهم دِمـشقُ علـى حربٍ لها الويلُ مِـن عقبـاه والحـرب[3]

فكـان رأيـك فيهـا رايـةً طَلعـتْ بالنّـصرِ فانجابـتِ الـلأواء[4] والكُـرب

وبـاتَ أثْبـتُهم جأشـاً وأحـزمهم رأياً وأمـضى سِـلاحاً عزمـه الهـرب

وكـان ظَـنهم أَن تَلْتَقـي بهـم مصر البـوار وتَغْـشى النوبـةَ النّـوب

فـأَجفَلوا وزعـيم القـوم غايـةُ مـا يرجـو مـن ا ـ أن تَبقَـى لـه حلَـب

عـزمٌ بـه أخْمـد ا ُ الـشقاقَ ولا هـزتْ رمـاحٌ ولا سـلتْ لـه قُـضب[5]

فالـشاعر يعـرض بالمحاصِـرين للمدينـة ويـسخر مـنهم ، لأنهم لم يتمكنوا من بلـوغ أهـدافهم فقـد كـان لابـن شـكر عزيمـة أطفـأت نـار ذلـك الـشقاق ، وحقنـت دمـاء الطـرفين ، وعبـر الـشاعر عـن رفـضه لـذلك الموقف .

---

[1] - ينظر : ابن واصل ، **مفرج الكروب** : 123/3 – 125 .

[2] - ابن شكر : هو صفي الدين أبو محمد عبد ا بن علي بن الحسين بـن عبـد الخـالق بـن شـكر من وزراء الدولة الأيوبية بمصر ولـد بالـدميرة سـنة 548 هـ ـ وتـوفي بالقـاهرة سـنة 622 هـ ، صنف كتاباً في فروع المالكية . ينظـر: أبـو شـامة ، **ذيـل الروضـتين** 221/5 – 222، ابن العماد الحنبلي ، **شذرات الذهب** : 177/7 .

[3] - الحرب : الهلال . ينظر ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (حرب) .

[4] - اللأواء : المشقة والشدة . ينظر ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (لأي) .

[5] - **الديوان** : 48 – 49 .

4. هجاء التنازع على " الوزارة " في نهاية العهد الفاطمي :

استشرى الفساد والاضطراب في شؤون الحكم في مصر نهاية عهد الفاطميين ، ولم يعد للحكام دور سياسي في إدارة شؤون البلاد ، وحل محلّ الخلفاء الوزراء في حكمها وإدارتها ، ووصف أحد الدارسين حالة البلاد وحكامها في تلك الفترة قائلاً : " لم يكن لهم من الخلافة سوى الاسم ، لاستيلاء وزرائهم على الأمور ، وحجرهم عليهم ، وقد تلقّب هؤلاء الوزراء بألقاب الملوك ، فكانوا معهم لخلفاء بغداد مع بني بويه "[1] ولتعاظم سلطة الوزارة ، زاد عدد الطامعين فيها ، مما أدى إلى حدوث اضطرابات مدمرة في مصر ، كان من آثارها الغزو الصليبي لمصر والشام .

وقد عبر الشعراء عن آرائهم ، اتجاه ذلك التنازع السياسي حول الوزارة خاصة ، وأحداث السياسة بصورة عامة ، فحين غدر عباس الصنهاجي[2] وابنه بالخليفة الظافر[3] وعملا على قتله سنة 549 هـ[4] ، راح طلائع بن رزيك يعرب عن تنديده بتلك الفعلة الشائنة ، ويهجو ذلك

---

[1] - مصطفى ، محمود ، **الأدب العربي في مصر من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الأيوبي** : 199 .

[2] - عباس الصنهاجي : هو أبو الفضل عباس بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس ، قدم إلى مصر مع أمه وأبيه فلما مات والده تزوج أمه العادل بن السلار والي الاسكندرية ، وقد قتل عباس سنة 549 هـ. ينظر: ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** : 418/3 ، ابن الأثير ، **الكامل في التاريخ** : 389/9 ، ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** : 310/5 .

[3] - الظافر : هو أبو منصور إسماعيل بن الحافظ ، تاسع الخلفاء الفاطميين ، قتل سنة 549 هـ . ينظر: ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** : 288/5 ، ابن الأثير ، **الكامل في التاريخ** 394/9 – 395 .

[4] - ينظر : أبو شامة ، **الروضتين** : 289/2 – 290 ، أسامة بن منقذ ، **الاعتبار** : 43 .

ويهجو ذلك الوزير ، وينعته باللؤم والغدر ، ويشبهه بالكلب المسعور ، وذهب إلى أبعد من ذلك في تحقيره ، والإزراء به ، حين جعل الكلب أرفع شأناً منه ، فالكلب وفي لصاحبه بينما عباس ليس لديه وفاء ، حين قتل خليفته طمعاً في منصبه ، وفي ذلك يقول : " الطويل "

ولو أننا كنّا ظننّاه لم نكن ... نظاهر دون الناس عباس بالحرب
على أنّه قد نال بالغدر من بني ... نبي الهدى ما لم تنله بنو حرب
وهل نال منهم آل حربٍ وغيرهم ... من الناس فوقَ القتل والسبي والنهب
غدا والغاً[1] كالكلب ظلماً وحزبه ... دماءهم لا حاطه الله من حزب
ويا ليته لو كان فيه من الوفا ... لمالكه بعض الذي هو في الكلب
وحاشاكم ما خنْتم العهد مثله ... ولا لكم فيما جرى منه من ذنْب
ومن مثلُ ما قد نالكم من دنُوه ... يحاذر أن تدنو الصحاح من الجرب[2]

فالشاعر يدعو على عباس بعد تلك النعوت السيئة التي نعته إياها، ويشير من خلال تلك الأبيات ، إلى الفساد السياسي الذي يظهر فساد الحكم ، وأن الحكم للقوة ، وإلا لما تطاول الوزير على خليفته ، وينصح ألا يقترب أحد منه ، فهو كالأجرب يعدي من حوله .

ومن الشعراء الذين نددوا بتلك الفعلة ، ووصفوا صاحبها بالغدر ، وعد ما قام به ظلما ،الشاعر" ثقة الملك بن جرادة "، وفيه يقول : " الرمل "

---

[1] - والغاً : ولغ الكلب في الإناء : شرب ما فيه بأطراف لسانه . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (ولَغَ) .

[2] - **الديوان** :60 .

مـن عصابةٍ أضمروا الغدر فهم ... أهلُ نُصبٍ ونفاقٍ وعنادِ

قتلوا الظافر ظلماً وانتحوا ... لبني الحافظ[1] بالبيض الحدادِ

واعتدى عباس فيهم وابنه ... فوق عدوان يزيدٍ وزيادِ

مثلَ سفْرٍ[2] قتلوا هاديهم ... ثم ضلّوا ما لهم من بعد هادِ[3]

فالشاعر يظهر في هجوه تشيعاً ، وانحيازاً للفاطميين ، والألفاظ الدالة على ذلك واضحة وبينة ، وبقتله له فقدوا من يرشدهم إلى الطريق الصحيح .

واستغلّ الشعراء تلك الحادثة في تحريض ابن رزيك ، للثأر من قتلة الظافر ، وهجاء الصنهاجي ، كما فعل الجليس بن الحباب ، في قوله : " الطويل "

أُصادِقُهم قولاً وغيباً ومشْهداً ... نَحوهم على عمدٍ بفعل أعادي

تدارك من الإيمان قبل دثورة ... حشاشةَ نَفسٍ آذنت بنفادِ

فلو عاينَتْ عيناك بالقصر يومهم ... ومصرعهم لم تكتحل برقادِ

فمزقْ جموع المارقين فإنّها ... بقايا زروعٍ آذنَتْ بحصادِ[4]

فالشاعر يحرض طلائع بن رزيك على الأخذ بثأر الظافر من جهة،ويهجو الصنهاجي ويصفه وجنوده بالمارقين ، ويشبههم بالزروع ، التي حان وقت حصادها وليس لها إلا هو من جهة ثانية .

---

1 - الحافظ هو أبو الميمون عبد المجيد ، وقد سبق الظافر في الخلافة وتوفي سنة 544 هـ . ينظر : ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** : 335/3 ، ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** : 287/5 .

2 - سفر : جمع سافر ، وهو المسافر ، والسفر والمسافرون بمعنى واحد . ينظر ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (سفر) .

3 - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** : 190/1 .

4 - أبو شامة المقدسي ، **الروضتين** : 5/2 .

واستمر الصراع على الوزارة ، فلم يكد ابن رزيك يستقر في وزارته ، حتى ثار عليه طرخان من الإسكندرية يطلبها[1] ، لكن ثورته خمدت ، وقُضي عليها ، وانتقد الشعراء تلك الثورة ، ووصفوا صاحبها بالخائن ، ولتحقيره صوروه بالحمار ، وفي ذلك يقول القاضي الجليس ابن حباب : " الوافر "

لقد طمحت بِطُرخانٍ أمانٍ لـه ولمثلِهِ فيها بوار
وحاولَ خُطةً فيها شِماسٌ على أمثالِهِ وبها نِفار
أتَتْكَ بخائنٍ قَدماه سعياً كما يسعى إلى الأسدِ الحِمار[2]

فالشاعر يشير إلى تبدد طموح طرخان وزواله ، ويرسم له صورة قبيحة ويشيد بطلائع وشجاعته .

ولم تتوقف الاضطرابات داخل مصر ، فثار بهرام الغُزي[3] محاولاً الاستقلال بالصعيد ، وانتهت ثورته بالفشل أيضاً ، وصور عمارة اليمني عاقبة بهرام معرضاً به ، وبمصيره ، في قوله : " البسيط "

لما تمرد بهرامٌ وأُسرتُه جهلاً ورامـوا فِراع النَبع بالغَرَبِ
صدعتُ بالنّاصِرِ المحيي زجاجتَهم وللزجاجةِ صدعٌ غَيرُ منْشَعِبِ
ظنّوا الشّجاعةَ تُنْجِيهم فَقارعِهم أبو شجاعٍ فريعِ المجدِ والحسبِ
سُقُوا بِأسكر سكراً لا انقضاء له من قهوةِ الموتِ لا من قهوةِ العنبِ[4]

---

[1] - ينظر :اليمني ، عمارة ، **النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية** : 113 .
[2] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** : 192/1 .
[3] - ينظر : اليمني ، عمارة ، **النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية** : 46 .
[4] - اليمني ، عمارة ، المختار من ديوانه (ضمن كتاب النكت العصرية) : 165 .

وظلت لعنة الوزارة تطارد طلائع بن رزيـك ، حتـى تمكنـت عمـة العاضـد من قتله سنة 556 هـ .[1] وأنشد عمـارة اليمنـي أبياتـاً يعـرض فيهـا بقتلـه، يقـول فيها : " الكامل "

غَـضِب الإلــه علــى رجــالٍ أَقْــدموا جهــلاً عليــهِ وآخَــرين أشَــاروا
لا تَعجـــبن لِقَـــدار نَاقِـــةِ صـــالح فلكـــل عـــصرٍ صـــالحٌ وقُـــدار
أحللـــــتَ دار كرامـــــةٍ لا تنقـــضي أبـــداً وحـــل بِقاتِليـــك بـــوار
وقـــع القَـــصاص بِهـــم وليـــسوا مقْنعـــاً يرضـــى وأيـــن مـــن الـــسماءِ غُبـــار
ضـــاقتْ بِهـــم ســـعةُ الفِجـــاج وربمـــا نـــام الـــولي ولا ينـــام الثـــار[2]

فالــشاعر يعــرض بقتلتــه ، مــستمداً بــشاعة جــريمتهم ، وعــاقبتهم الـسيئة مـن قـصة عقْـر " ناقـة صـالح " وجعـل مـآلهم كمـآل عقّـار الناقـة ؛ لغضب الإله عليهم .

ولعــل شــاور الــسعدي[3] أبــرز وزراء الدولــة الفاطميــة ، وأكثــرهم عرضة لألسنة الشعراء ، فقـد نالـه مـن هجـوهم مـا لـم ينلـه أحـد ، فـي تلـك الفترة الزمنيـة بـسبب تنكـره لعـسكر نـور الـدين الـذين أعـادوه إلـى منـصب الـوزارة[4] بعـد هزيمتـه مـن ضـرغام اللخمـي[5] مـن جهـة ، وبـسبب تخاذلـه ،

---

1 - أبو شامة المقدسي ، **الروضتين** : 345/1 .

2 - ينظر : اليمني ، عمارة ، **النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية** : 64 .

3 - شاور السعدي : هو شاور بن مجير الـسعدي الهـوازني ، الملـك أبـو شـجاع وزيـر الـديار المصرية فرج عليه ضرغام ففـر إلـى نـور الـدين فأعانـه علـى العـودة إلـى وزارتـه ، استعان بالفرنج. ينظر: ابـن خلـدون ، **تاريخـه** : 246/5 ، الـذهبي ، **سـير أعـلام النـبلاء** : 514/20 ، ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** : 339/2 – 348 .

4 - ينظر : أبو شامة المقدسي ، **الروضتين** : 356/1 – 357 .

5 - ضرغام اللخمي : هو الملك المنصور أبو الأشـبال ضـرغام بـن سـوار اللخمـي تنـازع مـع شاور على وزارة مـصر قُتـل سـنة 559 هــ عنـد مـشهد الـسيدة نفيـسة فـي القـاهرة . ينظر: ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** : 442/2 .

، واستعانته بالـصليبيين لـدخول مـصر ، حـين عـاد أسـد الـدين شـيركوه إليهـا سـنة 562 هــ[1] مـن جهـة ثانيـة ، يـضاف إليهـا ظلـم شـاور ، واسـتبداده بالرعيـة ، وقـد نـدد الـشعراء بـسياساته المنحرفـة ، ومواقفـه الخيانيـة مـع أعـداء الأمـة والـدين ، فراحـوا يذمونـه ، ويقذفونـه بأبـشع النعـوت ، ومـن الـشواهد الـشعرية علـى نعتـه بالغـدر ، ووصـفه بالكلـب العقـور ، قـول العرقلة الكلبي : " الطويل "

لقَـد فَـاز بالملـكِ العقـيمِ خَليفَـةٌ ... لَـه شِـيركُوه العاضِـدي وزيـر
كـأَن ابـن شـاذي والـصلاح وسـيفَه ... علـي لديـه شَـبرٌ وشَـبِير[2]
هـو الأسـد الـضاري الـذي جـل خَطبـه ... وشـاور كلـبٌ للرجـال عقـور
بغَـى وطَغَـى حتَّـى لقَـد قَـالَ قائِـلٌ ... علـى مِثْلهـا كـان اللّعـين يـدور
فـلا رحِـم الـرحمن تُربـة قبـرِه ... ولا زال فِيهـا منكـرٌ ونَكيـر[3]

فالشاعر يدعو له بسوء الخاتمة لظلمه وطغيانه .

وقـد واصـل عرقلـة هجـوه لـشاور ، فـشبهه فـي ظلمـه وطغيانـه بفرعون، بينما شبه شيركوه بموسى ، في قوله : " السريع "

إن أميـر المـؤمنين الّـذي ... مِـصر حِمـاه ، وعلـي أبـوه
نـص علـى شَـاور فِرعونُهـا ... ونَـص موسـاها علـى شِـيركوه[4]

أمـا أسـامة بـن منقـذ فقـد هجـاه بـالمعنى نفـسه ، إذ قـال مخاطبـاً صلاح الدين الأيوبي: " الطويل "

---

1 - ينظر : أبو شامة المقدسي ، **الروضتين** : 7/2 – 8 .
2 - شبر وشبير : هما أولاد هارون عليه السلام ومعناهما حـسن وحـسين ومحـسن وبهمـا سـمى علي أولاده تشبر وشبيراً ومشبراً. ينظر:ابن منظور ،**لسان العرب** ، مادة (شَبر) .
3 - **الديوان** : 53 .
4 - **الديوان** : 108 ، وللاستزادة ينظر: الكتبي ، **فوات الوفيـات** ، أبيـات لـصفي الـدين بـن شـكر 195/2 .

أقمتَ عمود الدين حين أمالَه ... لِطاغي الفِرنْج الغُتْم طاغي بني سعدٍ[1]

وجاهدتَ حِزب الكُفْر حتَّى رددتَهم ... خزايا عليهم خيبةُ الذل والرد[2]

ويبدو أن الدولة الفاطمية لقيت معارضة شديدة من الشعراء ، حتى تم إسقاطها على يد صلاح الدين الأيوبي سنة 567 هـ ، بأمر من نور الدين[3] ، ويلحظ من الأشعار التي قيلت في هجائها ، أنه هجاء مذهبي ، فقد وصف أتباعها بأنهم مجوس ، وزنادقة ، وكفار كما قال شاعر مجهول[4] ، ويلاحظ كذلك تقلّب الشعراء في هجوهم ، فقد بدا عليهم النفاق في هجوهم السياسي ، فهم مع القوي ضد الضعيف ، ويمكن معرفة ذلك من تتبع أقوال الشعراء في وزراء الدولة الفاطمية ، ثم مقارنتها بأقوالهم بعد انهيارها ، ومنهم عمارة اليمني ، وعرقلة الكلبي .

---

1 - الغتمة : عجمة في المنطق مفردها أغتم وجمعها غتم . ينظر: ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (غتم) .

2 - أبو شامة المقدسي ، **الروضتين** : 37/2 ولم ترد الأبيات في ديوانه .

3 - ينظر : نفسه : 132/2 .

4 - ينظر : أبو شامة المقدسي ، **الروضتين** 145/2 ، ابن إياس ، **بدائع الزهور** : 135/1 .

ب. المبحث الثاني : الهجاء الخارجي :

**** هجاء الصليبيين :**

كان للهجمة الصليبية على المشرق العربي ، وخاصة بلاد الشام ، وما ارتكبه الفرنج من جرائم بحقّ البلاد والعباد ، وما خلّفوه من مآس للمدن الشامية وأهلها ، أثر بارز على الحركة الشعرية في تلك الحقبة الزمنية ، من حكم الزنكيين والأيوبيين ، فقد أذكت تلك الأحداث مشاعر الشعراء العدائية ، وولدت في نفوسهم خاصة ، والمسلمين عامة الأحقاد والضغائن ، اتجاه أولئك الغزاة المعتدين ، وشاركوا بألسنتهم في التصدي لتلك الهجمة ، فأكثروا من ذم الصليبيين في أشعارهم ، بهدف تحريك مشاعر المسلمين " إما إلى تحذيرهم من أخطاء معاملتهم للصليبيين ، وإما إلى التقليل من شأنهم ، وتهوينهم في أعينهم ، وإظهارهم بمظهر الضعف والذلة والهوان ؛ بتحميس المسلمين ، وإذكاء روح الجهاد في نفوسهم "[1] .

ورغم كثرة الدراسات التي تحدثت عن الغزو الصليبي لبلاد الشام ، إلا أنّها تناولت في حديثها عن الصليبيين موضوعات مختلفة ، ولم تكن تقصد الهجاء لذاته ، وإنما جاء في ثنايا تلك الدراسات ، وفي إطار أغراض عدة تتعلق بالغزو ، وما دار حوله ومن شارك فيه ، - عكس الدراسة التي نتحدث عنها في تركيزها على الهجاء خاصة – كما ينبغي للدارس أن يشير إلى أن الأشعار المنتقاة لهذه الغاية ، لم تكن

---

[1] - الهرفي ، محمد علي ، **شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام** : 171 .

مـستقلة بـذاتها ، وإنمـا وردت فـي إطـار قـصائد تحمـل فـي مـضامينها أغراضـاً عـدة ، كالمـديح والرثـاء وغيرهـا ، ومـن خـلال أشـعار اصـطُلح عليهـا " شـعر الجهـاد "[1] ، وقـد رسـم الـشعراء فيهـا صـوراً للمغيـرين وللمقاومين لهم على حد سواء .

ولعلّ ما يهـم فـي هـذه الدراسـة إبـراز الجوانـب الـسلبية التـي ظهـرت فـي تلـك النمـاذج ، كـالنعوت والألقـاب والمـسميات التـي أطلقهـا الـشعراء علـيهم مـن بـاب الازدراء والتحقيـر ، وصـفاتهم الخلقيـة كالغـدر والخـداع والخيانـة ، وغيرهـا مـن الفـضائل النفـسية ، والـسخرية مـن عقائـدهم الباطلـة وشـعاراتهم ، وصـولاً إلـى النيـل مـن قـادتهم وملـوكهم وأمـرائهم ، وسنعرضها على النحو الآتي :

1. عقائدهم وشعائرهم الدينية :

وقـد بلـغ الـشعراء فـي هجـوهم للـصليبيين حـداً ، طالـت بـه ألـسنتهم ديـانتهم ، ووصـموا عقائـدهم بأنهـا باطلـة ، ومنحرفـة فهـم عبـاد صـليب ، كمـا يبـدو فـي قـول فتيـان الـشاغوري ، مـن قـصيدة فـي مـدح الملـك الأفضل : " الطويل "

وسـلْ عنْـه عبـاد الـصليبِ وخَيلُـه سِواهم ومِن تَحـتِ العجـاجِ لهـا نَحـطُ[2]

---

[1] - ينظر: على سبيل المثال حول الموضوع ، الرقب ، شفيق ، **الـشعر العربـي فـي بـلاد الـشام** : 54 - 108 .

[2] - **الديوان** : 257 ، و نَحطُ : زَحَر وصات مـن الإعيـاء ينظـر :ابـن منظـور، **لـسان العـرب**، مادة (نَحط) .

أمـا ابـن القيـسراني فـشن حملـة شـديدة علـى عقائـد الـصليبيين ، وسـخر مـنهم ، وطـالتهم حِـراب لـسانه بالتـشهير ، والتجـريح وبأسـلوب ساخر ، كما في قوله : " الطويل "

لقَـد كـان فـي فَـتْح الرهـاءِ دِلالَـةٌ على غَيـر مـا عنَـد العلـوج اعتِقـاده

يرجـون مِـيلاد ابـن مـريم نُـصرةً ولـم يغْـن عِنْـد القَـومِ عنْـه ولاده[1]

فالـشاعر يـسخر مـن اعتقـادهم الـساذج ، بـأن عيـسى المـسيح عليـه الـسلام سـيعود لنـصرتهم ، ويؤكـد الـشاعر دعـواه ، بأنـه لـو صـح زعـم الصليبيين ، لما حلت بهم الهزيمة في فتح الرها .

ويـتهكم ابـن سـناء الملـك مـن ادعـاءات الـصليبيين ومـزاعمهم واعتقـاداتهم الباطلـة ، فـي صـلب الـسيد المـسيح مخـالفين بـذلك ، قـول ا تعالى **وقـولهم إنّـا قتلنـا المـسيح عيـسى بـن مـريم رسـول ا ومـا قتلـوه وما صـلبوه ولكـن شـبه لهـم** [2] ، ويتخـذ مـن هـذا الاعتقـاد مـادة لتكـذيبهم والسخرية من أوهامهم ، في قوله : " الخفيف "

ظـل معبـودهم لـديك أسـيراً مستـضاماً فاجعـلْ لـه النـار سِـجناً

صـلبوا ربهـم فلَـم يغـن عـنهم مـن رأى بعـد صـلبِه قـط أغنَـى[3]

ولم يتوقـف الـشعراء فـي هجـوهم للغـزاة عنـد عقائـدهم ، بـل هـاجموا الصليب شـعارهم ورمـز قـوتهم ، وعـدوا تمـسكهم بـه ، وتقديـسهم لـه عبـادة وثنية ، وسخروا مـن مقـولتهم " بالتثليـث " فـشتّان مـا بـين مقـولتهم ومـا بـين

---

[1] - محمد ، عادل جابر صالح ، **شعر ابن القيسراني** : 148 .
[2] - **النساء** : 157 .
[3] - **الديوان** : 342/2 .

الإسلام الداعي إلى التوحيد ، وإمعاناً في ذمهم جردهم فتيان الشاغوري وأفراد جندهم من معاني الرجولة حين تمنوا أن يخلُقُوا إناثاً هرباً بأرواحهم ، وفي ذلك يقول : " الكامل "

يوسفَ كَم أغَاثَ وغَاثَا وأَباد من عبد الصليب وعاثَا
لما سبيتَ نِساءهم وقَتَلْتَهم ود الذُّكور بأن تكون إناثاً
أهداهم التَثلِيثُ لِلتوحيدِ يو م لَقِيتهم فَقَسمتَهم أثْلاثا[1]

وعد ابن الساعاتي الهزائم التي لحقت بالصليبيين بأنها هزيمةٌ لصلبانهم وبيعهم ، ونصرة للمسلمين وقرآنهم ، وفي ذلك يقول : " الطويل "

كبا من أعاليه صليبٌ وبيعةٌ وساد بهِ دينٌ حنيفٌ ومصحفُ
صليبه عبادِ الصليبِ ومنزلُ الثْـ ـنِزال لقد غادرتُه وهو صفصفُ[2]

فالشاعر يزري بهم ، ويرى أن إذلال شعائر الصليبيين هو إذلال لهم ولعقائدهم .

ورغم الهجوم العنيف الذي شنّه الشعراء على عقائد الصليبيين وشعائرهم ، لكنّهم فرقوا بين قوانين الديانة المسيحية المتمثلة في رسالة المسيح عليه السلام ، وبين ما ألصقوه لتلك الرسالة السامية من تحريف وتغيير ، كما عبر عن ذلك طلائع بن رزيك في قوله : " الخفيف "

لو رآه المسيح لم يرض فِعلاً زعموا أنه له منْسوب

---

[1] - **الديوان** : 69 .

[2] - **الديوان** : 409/2 ، وصفصف : أرض صفصف : ملساء مستوية وجمعه صفاصف ، ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (صفف)

أبعـد النـاس عـن عبـادةِ رب النـْ ـــ ـــنَاس قـومٌ إلههـم مصلوب[1]

وتنـاول الـشعراء فـي هجـوهم للـصليبيين رمـوزهم الدينيـة ، فـسخروا مـن قـساوستهم ورهبـانهم وأسـاقفتهم وغيـرهم مـن زعمـاء الكنيـسة وعرضـوا بـاليهود معهـم ؛ لوقـوفهم فـي صـفهم ضـد المـسلمين ، ومـن الشواهد الـشعرية الدالـة علـى تلـك المعـاني ، مـا قالـه فتيـان الـشاغوري مـن قـصيدة لـه هجـا فيهـا جـرجيس القُنَيـاط النـصراني وولـده الحكـيم يوحنـا وأفحـش فـي هجـوه لهمـا حـين رمـى أم جـرجيس بالزنـا ، ثـم طـال بهجـوه الرهبان واليهود ، حيث قال : " الخفيف "

يـا يوحنّـا يـا ابـن التـي .... جـذْ عٌ ويحكـي قوامهـا مخباطـا[2]
..... لحيـةٌ كلحيـةِ قِـس وقفَاهـا ثـط يبـين سِنَاطا[3]
فهـي أبغـى مـن قطـةٍ وتَـرى كُـل زمـان يـأتي عليهـا شُباطا
يـا .... اليهـودِ فـي يـومِ سـبتٍ خاَلطـوا فـيهم فيـأهم و المخاطـا
بـلْ ..... الرهبـان لمـا تَعـشّوا عدسـاً كـان قتّـه[4] **بقْـسماطا**[5]

فالـشاعر أفحـش فـي هجـوه لرمـوز النـصارى إلـى حـد الـسباب ، وذكر ألفاظـاً يتقـزز الطبـع مـن سـماعها ، وفـرغ الـدارس بعـضها لفحـشها ،

---

1 - **الديوان** : 63 .

2 - المخباط : خشبة تخبط بها الثياب حـين الغـسل . ينظـر:ابـن منظـور،**لـسان العـرب**، مـادة (خبط) .

3 - ثطّ : قليل الشّعر.ينظر : ابن منظـور، **لـسان العـرب**، مـادة (ثطـط) ، والـسناط : الكوسـج والرجل الذي لا لحية له ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (سنَطَ) .

4 - بقسماط : أصله فارسي : " بكشماط " وهو نوع مـن الخبـز اليـابس. ينظـر: الخفـاجي ،**شـهاب الدين ،شفاء الغليل** 88 ، ضنّاوي ، سعدي ، **المعجم المفصل** 93.

5 - **الديوان** : 259 - 260 .

وكان الهدف من إيرادها إبراز حجم المعاناة وشدة الفاجعة التي حركت مشاعر الشعراء اتجاه أولئك المجرمين ، فسلّوا ألسنتهم ينعتونهم فيها بأقذع الصفات تعبيراً عن العداوة الشديدة بين المسلمين والصليبيين في تلك الحقبة .

وينبغي أن يشير الدارس إلى أن هذه القصيدة لها أهميتها دون غيرها من النماذج المنتقاة لهذا الغرض ، إذ مثّلت النموذج الوحيد والخالص لغرض هجاء الصليبيين ، عكس ما سبقها من نماذج تخللها أغراض عدة وجاءت في ثنايا قصائد المدح وغيرها .

2. قادتهم وملوكهم :

وقد صور الشعراء في هجوهم ملوك الصليبيين وقادتهم المنهزمين في المعارك صوراً تعكس مدى السخرية والازدراء بهم ، وتحمل في طياتها معاني الحقد والتّشفي لنهاية بعض قادتهم المؤلمة ، ولعل الشعراء أرادوا من تلك الصور الساخرة الغض من قدر الفرنجة ، وتقليل شأنهم من خلال تحقير قادتهم ورموزهم ، لمواقفهم العدائية التي برزت لهم إبان تلك الحروب الصليبية ، ونوع الهجاؤون في أساليب سخريتهم ، فعمدوا في تحقيرهم لقادتهم " إلى رسم أوضاع طبيعية في صور معكوسة "[1] ، وهذا ما عبر عنه الشاعر ابن القيسراني في تشفّيه بمقتل الإبرنس صاحب أنطاكية سنة 544 هـ ، فرسم له صورة تعكس

---

[1] - اللبدي ، نزار وصفي ، **الصورة الساخرة في شعر الحرب عند شعراء الدولتين الزنكية والأيوبية** ، **مجلة جامعة النجاح للأبحاث** ، مجلد (17) عدد (1) 2003 م : 124 .

شـعور المـسلمين بـالمرارة والانتقـام مـن مقتلـه ، وفـي ذلـك يقول : " الوافر "

وللإبرنْـزِ[1] فَـوقَ الـرمح رأسٌ   تَوسَّـد والـسنان لـه وسـاد
تَرجَّـلَ للـسلام فقَرسـوه   ولـيس سِـوى القنـاةِ لـه جـواد
غَـضيض المقْلتـين ولا نُعـاسٌ   وغَائِرهـا ولـيس بِـهِ سـهاد[2]

فالـسخرية منـه تتبـدى حـين جعـل الـسنان وسـاد رأسـه ، وعـصا الرمح جواداً يمتطيه ، أما مقلتاه فغائرتان لا سهاد بهما .

وجمـع الـشعراء فـي سـخريتهم وشـماتتهم بقـادة الفـرنج وملـوكهم بـين القتـل والأسـر ، فهـم يـرون أن فـي قـتلهم شـفاء لـصدورهم وتـشفياً لمـآلهم المأسـور مـن كبـار قـادتهم كجوسـلين[3] الـذي كـان بـالأمس ظالمـاً غـادراً ، وأصبح اليـوم أسـيراً ذلـيلاً ، وقـد صـور ابـن القيـسراني تلـك الـواقعتين فـي لوحة بدت فيها روح الشماتة والانتقام ، حيث يقول : " الطويل "

أتـى رأسـه ركْـضاً وغُـودِر شِـلْوه   وليس سـوى عـافي النّـسور لـه قبـر
وقـد كـان فـي اسـتِبقائِه لـك منـةٌ   هي القَتْلُ لو لم تَغْضبِ البـيض والـسمر
كمـا أهـدتِ الأقـدار لِلقُمـص[4] أسـره   وأسـعد قِـرنٍ مـن حـواه لـك الأسـر

---

[1] - الإبرنز : هو صاحب أنطاكية كان عاتية من عتاة الفـرنج ، وعظيمـاً مـن عظمـائهم. ينظـر : ابن الأثير ، **الكامل في التاريخ** : 144/11 .

[2] - محمد ، عادل جابر ، **شعر ابن القيسراني** : 158 .

[3] - ينظر :أبو شامة المقدسي ، الروضـتين : 244/1 ومـا بعـدها فـي صـفة أسـر جوسـلين،ابن واصل ، **مفرج الكروب** : 123/1 .

[4] - القُمص : تعريف اللفظة اللاتينية (**comes**) وتعنـي الأميـر . ينظـر:ابـن شـداد ، **النـوادر السلطانية** : 77 (حاشية رقم 1) .

طَغَـى وبَغَـى عـدواً علـى غُلَوائِـهِ[1] فأوبقَـهُ[2] الكُفْـران عـدواه والكُفْـرُ[3]

فالـشاعر يهـزأ بـرأس القتيـل الـذي تناوشـته جـوارح الطيـر وكواسـر الوحوش ، ويـسخر مـن القمـص المأسـور ، ويـرى أنّـه مـصير يـستحقه لبغيـه وطغيانه .

وعـن حادثـة الأسـر نفـسها ، سـخر ابـن منيـر الطرابلـسي مـن " القمـص " الأسـير ، وأظهـر شـماتته بـه حـين تخلّـى عنـه أصـحابه ولـم يعملـوا علـى حمايتـه ، وتركـوه يلقـى مـصيره وحـده ، وفـي ذلـك يقول : " الكامل "

لمـا بـدا مـسود رأيـك ، فوقـه مبـيض نـصرك ، نُكِـستْ راياتُـه

ورأى سـيوفَك كالـصوالجِ[4] طاوحـتْ مِثـلَ الكُـرين فقلـصتْ كراتُـه

ولّـى وقـد شَـرِبتْ ظُبـاك كُماتَـه تَحـتَ العجـاج وأسـلمتْه حماتُـه

لِلـوحش ملقًـى بـالعرا يقتَاتُـه مـا كـان قبـلُ بِـصيدهِ يقتاتُـه[5]

وقـد صـور الـشعراء خيبـة آمـال ، وتوقعـات ملـوك الفـرنج ، وقـادتهم ، فـي مغـامراتهم العـسكرية علـى بـلاد المـسلمين ، فقـد دفعهـم غـرورهم وصـلفهم الـسعي إلـى تحقيـق تطلعـات أكبـر مـن قـدراتهم ، فكانـت النتائج عكـس مـا كـانوا يحلمـون بـه ، ومـن الـشواهد الـشعرية التـي تـصور

---

[1] - الغلواء : ممدود ، وهو سرعة الشباب . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (غلا) .

[2] - أوبقه : أهلكه . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (وبق) .

[3] - محمد ، عادل جابر ، **شعر ابن القيسراني** : 196.

[4] - الصوالج : مفردها صولج ، وهي العود المعوج . ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (صلج) .

[5] - **الديوان** : 238 .

هذه المعاني ، ما عبر عنـه ابـن مطـروح فـي حادثـة أسـر لـويس التاسـع ملـك فرنـسا فـي معركـة المنـصورة بعـد هزيمتـه ، فاسـتغل الـشاعر حادثـة سـجنه في دار ابن لقمـان ؛ ليعبـر عـن سـخريته مـن خيبـة آمـال ذلـك الملـك ، لأنـه أسـاء تقـدير العواقـب المترتبـة علـى حملتـه ، فبـاء بالذلـة والخـسران ، وفيـه يقول : " السريع "

قُــــلْ للفَرنــــسيس إذا جِئتَــــه	**مقــالَ صِــدقٍ مــن قــؤولٍ فــصيح**
قَــد جُئــت مــصر تَبتَغــي أخْــذَها	**تَحسب أن الزمـر - يـا طبـلُ - ريـح**
فــساقَك الحــين إلــى أدهــمٍ	**ضــاقَ بِــه عــن نَاظريــك الفَــسيح**
أرحــتَ أصــحابكَ أودعــتَهم	**" بِقُــبح أفْعالِــك " بطْــن الــضريح**
خَمــسون ألفَــاً لا يــرى مِــنْهم	**إلا قَتيــلٌ أو أســيرٌ جــريح**
فَــردك ا إلــى مثلهــا	**لعــل عيــسى مــنكم يــستَريح**
وقُــلْ لهــم إن أضمــروا عــودةً	**لِأخــذ ثــأرٍ أو لِقَــصدٍ صــحيح**
دار ابــن لُقمــان علــى عهــدِها	**والقيــد بــاقٍ ، والطَواشــي[1] صــبيح[2]**

فالـشاعر يظهـر فـي تلـك الأبيـات سـخرية مـؤثرة ، كتهكمـه مـن الملـك فـي قولـه " أودعـتهم بقـبح أفعالـك " وتكمـن قـوة الـسخرية فـي ألفـاظ القـصيدة ؛ لاقترابهـا مـن اللغـة المحكيـة المتداولـة بـين الأشـخاص العـاديين ، فبدت للقـارئ " ذات طـابع شـعبي كـان يحفظهـا كـل مـصري لعـصره ، ومـا زال يرددهـا المـصريون إلـى اليـوم "[3] ، كمـا أن الـدعاء فـي القـصيدة لا يقـل سـخرية عـن سـابقه ؛ لخروجـه عـن مقـصده ؛ لاسـتعماله بـصورة

---

[1] - الطواشي : هو صبيح المعظمي ، أحد خدم الملك الـصالح أيـوب ، عهـد إليـه بحراسـة ملـك فرنسا لويس التاسع حين أسـر وأودع الـسجن فـي دار القاضـي ابـن لقمـان . ينظـر : ابـن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** : 366/6 .

[2] - **الديوان** : 48 .

[3] - ضيف شوقي ، **الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور** : 164 .

مقلوبة ، وختمت الأبيات سخريتها بالفرنسيس باللجوء إلى المفارقة التهكمية بين ما جاء لأجله ، وما آلت إليه نهايته المؤلمة ، وتصوير ما حل به وبجيشه .

أما نجم الدين بن المجاور، فقد هجا ملك إنجلترا أحد قادة الحملات الصليبية بأسلوب ساخر ، ومغاير لسابقه حين لجأ إلى الصورة التقريرية المباشرة في ازدرائه ، فقد توعده وشبهه بالكلاب ، ووصف نفسه بالخبث ، حيث يقول : " الكامل "

يا صاحِ قُلْ للإنكِلتْرِ الكلْبِ دع	عنْكَ الجنُون وخُذْ مقالةَ منصفِ
القدس ما فيه لِسرجِكَ مطْمعٌ	كلاّ ولا نُور الإله بِمنْطِفي
والمسجِد الأقْصى فَعنْه تَقَص من	وقْع الدبابيس الأليمة تَعرِفِ
واستفتِ نَفْسك فَهي أَخْبثُ ناصحٍ	واترك متابعةَ اللّجاج[1] المتلِف[2]

فالشاعر لجأ في هجوه لهذا الملك ، معتمداً أسلوب السب والشتم ، تعبيراً عن عاطفة ثائرة ، تحمل الحقد والكراهية لأولئك الغزاة .

ولم يقف الشعراء في هجوهم وازدرائهم بالصليبيين عند ملوكهم وقادتهم ، بل تعدوا ذلك لتطال ألسنتهم أبناءهم وزوجاتهم ، فقد اتخذ الشعراء من حادثة أسر نور الدين لابن ملك الفرنج " الفُنش "[3] ،

---

[1] - اللجاج : اللجلجة : أن يتكلم الرجل بلسان غير بين . ينظر:ابن منظور،**لسان العرب**،مادة (لجج) .

[2] - أبو شامة المقدسي ، **الروضتين** : 192/4، وللاستزادة بالمعنى نفسه، ينظر : **ديوان ابن الساعاتي** : 411/2 .

[3] - الفُنش : ملك من ملوك الفرنج ، وقد أطلقه العرب على " الفونسو جوردان كونت تولوز " وكان حصن العريمة مع ابن الفُنش ، فحاصره المسلمون واستولوا عليه سنة 543 هـ ، وأخذوا كل ما فيه ، ومنهم ابن الفُنش وأمه إلى الأسر . ينظر : ابن الأثير ، **الكامل في التاريخ** 131/11 – 132 ،أبو شامة المقدسي ، **الروضتين** : 283/1 .

وزوجته ؛ وأخذهما أسيرين إلى حلب[1] في حرب حصن " العريمة " مناسبة للتعريض بهم ، والسخرية منهم ، وإظهارهم في صور مذلة ومهينة ، كما عبر ابن منير الطرابلسي مصوراً تلك الحادثة ، وساخراً من الفرنجة ، ومستخفاً بقوتهم ، إذ يقول : " المتقارب "

وفَوقَ العريمةِ غَشّاهم عرام جيوشِك سَيلُ العرم[2]
وأُبتَ يكأْبِهم في الكُبول مباح الحريم مُذَالَ[3] الحرم[4]

فالشاعر يرسم صورة قبيحة لابن القُنش الأسير ، فيشبهه بالكلب ومقيد للحط من قدره ، ويمعن في إذلال قادة الفرنج وملوكهم عندما أصبحوا عاجزين عن حماية حرماتهم المستباحة من النساء وغيرها ، بسبب ضعفهم وقلة حيلتهم .

ويؤكد أسامة بن منقذ حادثة الأسر نَفْسها ، لكنه يزيد من تهكمه وسخريته في هجو ملوك الصليبيين وقادتهم ، حين جعل مصير القادة وأبنائهم، إما إلى القتل ،أو الأسر ، ولا شيء سواهما ، وفي ذلك يقول : " الطويل "

بِنَا أُيِّد الإسلام ، وازداد عِزةً وذَلَ لنا من بعد عِزتِه الكُفْر
قَتَلْنا البِرِنْس ، حين سار بجهله تَحِف به الفُرسان والعسكر المجر
وفي سِجننا ابن القُنُش خَير ملوكهم وإن لم يكن خَيرٌ لديهم ولا بِر

---

[1] - ينظر : ابن القلانسي ، **ذيل تاريخ دمشق** : 300 - 301 .
[2] - سيل العرم : السيل الذي لا يطاق . ينظر : المصدر نفسه مادة (عرم) .
[3] - مذال الحرم : مهان ومستخف به. ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ذَيل) .
[4] - **الديوان** : 273.

أسـرناه مـن حِـصن العريمـةِ راغمـاً وقـد قُتِلـت فِرسـانُه فَهـم جـزر[1]

ونَحـن أسـرنا الجوسـلين ، ولـم يكُـن ليخـشى مـن الأيـامِ نائبـةً تَعـرو[2]

فالـشاعر يحقـر الـصليبيين مـن خـلال الحـط مـن قـدر قـادتهم ، وقيمـة ملـوكهم ، ويـشن علـيهم حربـاً نفـسية تظهـر وهـنهم وعجـزهم ، ولا درب لهـم غيـر القتـل والأسـر ، ومـن خلالهـا يرفـع مـن معنويـات المـسلمين ويغريهم بقتالهم طالما كانت النتيجة محسومة .

ويـذهب الـشعراء فـي هجـوهم لقـادة الفـرنج وملـوكهم ، إلـى وصـمهم وجنـودهم بـالجبن والعجـز ، وضـعف قـدرتهم فـي الـدفاع عـن حـصونهم ، فهم في حصن طبرية نـساء ارتـدين حلّـة الحـرب ، وقـد عبـر عـن ذلـك ابـن الـساعاتي مزريـاً بحمـاة طبريـة ، ومحقـراً مـن شـأنهم ، وفـي ذلـك يقول : " الوافر "

جعلْـتَ صـباح آهلهـا ظلامـاً وأبـدلْتَ الزئيـر بِهـا أنينَـا

تَخَـالُ حمـاةَ حوزتِهـا نِـساءً يموضـون الحديـدِ مقنّعينـا[3]

لِبيـضك فـي جمـاجِمِهم غِنَـاءٌ لذيـذٌ علـم الطيـر الحنينَـا

تَميـلُ إلـى المثقفـةِ العـوالي فَهـلْ أمـستْ رماحـاً أم غُـصونا[4]

فالـشاعر يـصور المـدافعين فـي ضـعفهم بالنـساءِ ، والرمـاح الـصلبة فـي أيديهم أغصان أشجار لا قوة فيها .

---

[1] - جزر : مفردها جزور وهي الناقة المذبوحة أو الذبيحة ، ينظـر:ابـن منظـور ، **لـسان العـرب**، مادة(جزر) .

[2] - **الديوان** : 202 - 203 .

[3] - موضون الحديد : وضن الشيء وضناً أي ثنـى بعـضه علـى بعـض وضـاعفه . ينظـر:ابـن منظور، **لسان العرب**،مادة (وضن) .

[4] - **الديوان** : 407 .

ولـم يتـرك شـعراء العـصرين الزنكـي والأيـوبي أيـة فرصـة أو حادثـة فـي صـراع المـسلمين مـع الـصليبيين ، تمـر دون أن يـستغلوها لتحقيـرهم والازدراء بهـم ، وإظهـارهم بأبـشع صـورة ، فكـان العـداء المـستفحل بـين الطـرفين دافعـا لألـسنة الـشعراء لـذمهم ، والـسخرية مـنهم ، والزرايـة بهـم ، إلى الحد الـذي وصـلت فيـه معـاني الهجـاء إلـى الفحـش والإسـفاف . وكانـت نبـرة التـشفي بـارزةً فـي أشـعارهم ، ويمكـن أن نلحـظ صـور الإذلال ، والتشفي فيمـا رسـمه الـشعراء للأسـرى الـصليبيين وسـباياهم ، منهـا مـا عبـر عنـه ابـن رواحـة الحمـوي فـي رسـم صـورة مذلـة ومهينـة لـسبايا ثغـري دميـاط والإسـكندرية سـنة 572 هـ [1] فـي قـصيدة ، منهـا قوله : " الوافر "

لقـد جلـب الجـواري بـالجواري يهـدن بكـل قـد مـرجحن[2]
يزيـدهم اجتمـاع الـشمل بؤسـاً فمرنَـانٌ تَنُـوح علـى مـرن
زهـتْ اسـكندريةُ يـوم سِـيقُوا ودِميـاطٌ فمـا منيـا بِغَـبن[3]

فالـشاعر يرسـم صـورة مذلـة للـسبايا ، حـين حـول اللقـاء بالأحبـة والأهـل والـذي عـادة مـا يكـون رمـزاً للفرحـة والـسعادة ، إلـى موقـف فـي منتهـى الألـم والـذل والتـشفي بمـآل سـبايا الـصليبيين ، وهـي مـن الـصور المقلوبة للواقع .

---

[1] - ينظر : العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** : 491/1 - 496 .
[2] - المرجحن : المائل. ينظر :ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (رجح).
[3] - الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** : 495/1 ، أبو شامة المقدسي ،**الروضتين** : 297/2 .

أمـا فتيـان الـشاغوري فتبـرز سـخريته وتهكمـه بالـصليبيين وأسراهم ، حـين جعـل سـباياهم تبـاع بـأبخس الأثمـان ، رغـم مـا يتمـتعن بـه مـن جمـال ، وتلـك مـن المفارقـات الهجائيـة أن يـذكر الـشاعر الـصورة المعكوسة للمهجو ، وفيها يقول : " الكامل "

حتـى لقـد بِيعـتْ عقائِـلُ أُرهِقَـتْ بالـسبي بـالثمن الأخَـس الأحقَـر

مِـن كـل حـوري ضـئيل موشـح[1] كالغُـصن ميـاداً ثقيـل مـؤزر[2]

وأوانِـس مثـلَ الـشموس سـوافِراً مِـن كاعِـبٍ مِثْـل الغَـزال ومعـصِر[3]

ولـم تـسلم المـدن الإسـلامية الواقعـة تحـت الاحـتلال الـصليبي مـن ألسنة الـشعراء ، إلا أن هجـو المـدن هنـا يختلـف عـن النمـاذج التـي عرضـها الـدارس فـي هجـو المـدن سـابقاً ، فـالتعريض هنـا تطـرق إلـى المقاومـة العنيفـة التـي أظهرهـا المـدافعون الـصليبيون فـي وجـه الجيـوش المجاهـدة التي سـعت إلـى تخليـصها مـن أيـدي الغـزاة ، ومـن الـشواهد الـشعرية علـى ذلـك ، مـا عبـر عنـه ابـن القيـسراني فـي حديثـه عـن مدينـة الرهـا ، حـين وصفها بمدينة إفـك تعبيـراً عـن الغـضب اتجـاه أهلهـا فـي قـصيدة منهـا هـذه الأبيات ، حيث يقول : " الطويل "

مدِينَـةُ إفْـكٍ منْـذُ خمـسين حِجـةً يفُـل حديـد الهنـدِ عنْهـا حِـداده

وجامِحـةٍ عـز الملـوك قيادهـا إلـى أن ثناهـا مـن يعـز قِيـاده

فأضـرمها نـارين : حربـاً وخِدعـةً فمـا راع إلا سـورها وانهـداده[4]

---

[1] - الموشح : الملتف . ينظر:ابن منظور،**لسان العرب**، مادة (وشح) .

[2] - المؤزر : الشديد . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (أزر) .

[3] - **الديوان** : 144 .

[4] - محمد ، عادل جابر ، **شعر ابن القيسراني** : 148 - 149.

ولعل النماذج الشعرية التي عرضت في هجو الصليبيين والتعريض بهم ، تظهر للدارس ظاهرتين إحداهما ، عكست مقدار العداوة والكراهية الشديدتين للغزاة الصليبيين ، لما ارتكبوه من جرائم ضد المسلمين ، وجاءت تلك الأشعار معبرة عنهما ، والثانية : أظهرت الدور المساند الذي أداه الشعراء في التحريض على الغزاة والحث على الجهاد ، ويكون الهجاء بذلك قد أدى دوراً إيجابياً في تصحيح بعض الأوضاع السياسية في تلك الفترة الزمنية من حكم الزنكيين والأيوبيين .

3. ألقابهم وأوصافهم ومسمياتهم :

من المعاني التي رمى الشعراء بها أعداءهم الصليبيين وصفَهم بالكفر، وهي تهمة ترددت على ألسنة الشعراء إلى نهاية المواجهة مع الصليبيين ، وقد عبر عن ذلك ابن عنين ، في قوله : " الكامل "

أجليتَ ليلَ الكُفْرِ عنها فانْطوى وأنَرتَ في عرصاتِها فَجر الهدى
والكُفْرُ معتَصِمٌ بِسورِ مشرق الـ أبراجِ أحكِم بالصفيح وشُيدا[1]

وجمع ابن القيسراني في ذمه للصليبيين بين صفتين امتهاناً لهم وزيادة في ازدرائهم ، فوصفهم بأنهم أهل باطل وضلال ، في قصيدة يشيد فيها بفتح الرها ، منها قوله : " المتقارب "

أما آن أن يزهقَ الباطلُ وأن ينْجزَ العِدةَ الماطِلُ[2]

---

[1] - **الديوان** : 61 ، وللاستزادة ينظر : نفسه 33.

[2] - العِده : الوعد ، والمطل : الذي يسوف . ينظر :ابن منظور، **لسان العرب** ، مادتي (وعد ، ومطل) .

إلى كم يغب ملوك الضلال   سيفٌ بأعناقِها كافِلُ[1]

وقد يلجأ الشعراء في هجوهم للصليبيين ، إلى أوصاف ذميمة ، تدلل على أن الحرب التي دارت بينهم وبين المسلمين ، أفسدت العلاقة بين الطرفين ، فدفعت الشعراء إلى استعمال تلك الألفاظ القبيحة ، كما فعل ابن منير الطرابلسي ، حين وصفهم بأنهم أهل صليب ، وكفار ونجس في قصيدة يمدح فيها نور الدين ، ومنها قوله :   " الكامل "

يا هضبةَ الإسلامِ من يعصم بها   يُؤْمِن ومن يتول عنها يكفُر

كانوا على صُلْب الصليب سرادقاً   أنَبتْ بنيتَهِ بِكل مذكَر

آثارهم نَجِسٌ أذالَ المسجِد الـ   أقصى فَقصن ما دنسوه وطهر[2]

وينعتهم فتيان الشاغوري بآل الأصفر ، ويقرن صفرتهم بصفرة رايات صلاح الدين الأيوبي ، التي لا تنثني ، إلا وقد غدت حمراء لما نهلت من دمائهم ، فيقول :   " الكامل "

راياتُه صفْراً تَردن وتَنْثني   حمراً تَمج نَجيع آل الأصفَر[3]

وتفنن الشعراء بابتكار التسميات ، والألقاب للصليبيين زيادةً في تحقيرهم وإهانتهم ، وكلها ألقاب توحي بالبغض لهم ، فهذا ابن منير الطرابلسي يطلق عليهم تسمية جديدة ، فيسميهم بـ (بني القُلْف) فيقول :   " الرمل "

---

[1] - محمد ، عادل صالح ، **شعر ابن القيسراني** : 333 .

[2] - **الديوان** : 250.

[3] - **الديوان** : 141 .

يــا لهـــا همـــةُ ثغـــرٍ أضـــحكتْ   من بنـي القُلْـفِ[1] ثغـور الـشامتين[2]

فالـشاعر يـستهزئ بهـم ، ويغمـز بهـم ملمحـاً مـن خـلال لقـبهم إلـى عدم اختتانهم .

وربمـا انحـدر الـشعراء فـي هجـوهم للـصليبيين ، إلـى درجـة الـسب والشتم زيادة في تحقيـرهم ، كمـا فعـل ابـن قـسيم الحمـوي حـين وصـف ملـك الـروم بوصـف قبـيح ، فهـو كالكلـب ، حيـث يقـول فـي مـدح صـلاح الـدين العمادي صاحب حماة :   "الطويل"

ومـــا جـــاء كلْـــب الـــروم إلا ليحتـــوي   حماة ، وما يسطو على الأسـدِ الكلْـب

أراد بهـــا أن يملِـــك الـــشام عنْـــوةً   وقد غُلبـتْ عنـه الـضراغمةُ الغلْـب[3]

فالـشاعر يـصف أميـر حمـاة بالأسـد ، أمـا ملـك الـروم فيـشبهه بالكلب ، ويبين أن الكلب لا يمكن أن ينتصر على الأسد .

ويبدو أن الشعر ردةُ فِعـل علـى المجـازر التـي ارتكبهـا الـصليبيون ضـد المسلمين ، وهي التي دفعتهم إلى إطـلاق الأوصـاف القبيحـة بحقهـم ، فقـد وصـف فتيان الشاغوري قائد الفرنجة بصفات تثير السخرية ، فهـو جبـان لا يملـك الـشجاعة لمواجهة قائد المسلمين ، ونعته بالكلـب ، واللئـيم وهـي صـفات تحـط مـن قـدره ، وتجعله في موضع السخرية والتهكم ، وفيه يقول :   "الطويل"

رجـا الكلْـب ملـك الـرومِ إذْ ذاك فتْحهـا   فخـاب فـأُم الملـكِ والـرومِ هابِـلُ[4]

---

[1] - القُلف : هم الروم الصليبيون وسموا بـذلك لأنهـم لـم يختنـوا .ينظـر: ابـن منظـور ، **لـسان العرب** ، مادة (قلف).

[2] - **الديوان** : 228.

[3] - **الديوان** : 26 .

[4] - هابل : الثاكل ، وقيل هبلته أمه ثكلته . ينظر :ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (هبل) .

فعادوا على الأعقابِ منها هزيمةً كأنّهم ذُلاً نَعامٌ حوافِلُ[1]

وقد تنوعت المسميات والألقاب ، التي أطلقها الشعراء على الصليبيين بهجوهم لهم ، ويبدو أن تلك المسميات بسبب كره المسلمين الشديد لأولئك الغزاة الذين ارتكبوا مجازر كثيرة ، وسبب قدومهم ويلات لتلك المجتمعات الآمنة ، وتظهر تلك المسميات في قصيدة واحدة للشاعر الرشيد النابلسي ، حيث يقول : " البسيط "

هذا الذي كانَتْ الآمالُ تَنْتَظِرُ فَلْيُوفِ أقوامٌ بما نَذَروا
يومٌ بِهِ التأم الكفّار في عددٍ جم ولكن لِكَسرٍ ليس ينْجبِرُ
حين بِهِ حان هلْكُ المشركين بها طيب العشايا مِنْه والبُكَرُ
يا بهجةَ القُدس إذ أضحى بِهِ علم الـ إيمان من بعد طَي وهو منْتَشِر
يا نور مسجدِهِ الأقْصى وقد رفَعتْ بعد الصليبِ بِهِ الآياتُ والسور
أضحى بنو الأصفر الإنكاس موعِظةً فيها لأعدائِك الآياتُ والنُذُر
هذا الذي سلب الإفْرنْج دولتَهم وملكِهم يا ملوك الأرض فاعتَبروا[2]

فالشاعر أطلق لهم عدة مسميات فهم : بنو الأصفر ، الإفرنج ، الكفار المشركون ، وأهل الصليب ، وأهل الناقوس ، وتدل كثرة تلك الأوصاف السابقة ، على أن الشعراء كما يقول أحد الدارسين " كانوا يريدون التقليل من شأنهم ، كنوع من التحقير لهم ، كما أنهم لم يكونوا ملة واحدة "[3] .

---

[1] - **الديوان** : 319 .

[2] - الحبازي، مشهور، شعر الرشيد النابلسي : 134 ، عبد المهدي ، عبد الجليل حسن ، **بيت المقدس في شعر الحروب الصليبية** : 172 - 173 .

[3] - خضير ، جبر سليمان ، **الحروب الصليبية من خلال الشعر في مصر والشام في القرنين السادس والسابع الهجريين** : 186 .

ومن الأوصاف التي رمى بها الشعراء الغزاة الصليبيين ، تلقيبهم بالبغاة تحقيراً لهم ، وإظهاراً لبشاعة أعمالهم في مدن الشام ، كما في قول ابن منير الطرابلسي من قصيدة له ، يمدح فيها نور الدين في فتح أحد الحصون منها ، قوله : " الكامل "

أدركْتَ ثَأرك في البغاةِ وكنتَ يا مخْتَار أمةِ أحمدٍ مختارها[1]

ويبدو أن الشعراء وجدوا متنفساً لهم في تلك الألقاب والمسميات ، ليعبروا عن غضبهم ، وحقدهم نحو أولئك الغزاة الذين كثرت جرائمهم ، وتجاوزت كل الحدود .

4. صفاتهم الخُلُقية :

ومن المضامين التي ظهرت في أشعار هجو الصليبيين ، ذم الشعراء وازدرائهم بصفاتهم الأخلاقية ، وأفعالهم الشائنة ، ومما يلاحظ على تلك النماذج التي هجا بها الشعراء الصليبيين أن " هجاءهم موضوعي وليس عاطفياً ، أو ذاتياً بحيث يخرج عن الموضوع الأساسي الذي قيل فيه ، بل لم يحاول الشعراء أن يصطنعوا عيوباً بالإفرنج ليست فيهم ، أو يرموهم بنقائض لا يعانونها منهم "[2] .

ولعلّ سمة الغدر من السمات التي تأصلت في نفوس قادة الصليبيين ، فكان نقض العهود من العادات المستحبة عند قادتهم وأمرائهم ، وقد وجد الشعراء فيها فرصة للسخرية منهم ، وإظهار عدم

---

[1] - **الديوان** : 240.

[2] - الهرفي ، محمد علي ، **شعر الجهاد في الحروب الصليبية** : 174 .

احترامهم لإنجيلهم الـذي يقـسمون بـه فـي معاهـداتهم ، فهـذا أسـامة بـن منقـذ يعرض بغدر قائـدهم ، ويـصور مـا نالـه مـن جـزاء يـستحقه نتيجـة خيانتـه ، فيقول : " الطويل "

ونحــن كــسرنَا البغْــدوين[1] ومــا لِمــن كــسرناه إبــلالٌ يرجــى ولا جبــر
فَــسلْه اللّعــين الحــائن[2] الخــائِن الــذي له الغَدر ديـنٌ مـا بِـهِ صـنِع الغَـدر
وقــد ضــاقَتِ الــدنيا عليــه بِرحبِهــا فَلَـم ينْجُـهِ بـر ، ولـم يحمـه بحـر
أفــي غَــدرهِ بالحَيــل يعــد يمينُــه بإنجيلــه بــين الأنــامِ لــه عــذر
دعتْــه إلــى نَكْــثِ اليمــين وغَــدره بذمتِــهِ الــنفس الخسِيــسةُ والمكــر
تَــوهم عجــزاً حِلْمنَــا وأناتَنــا وما العجز إلا ما أتـى الجاهِـلُ الغَمـر[3]

فالــشاعر يــزري بــه ، فهــو أحمــق خــائن ، وناكــث ليمينــه ، ممــا يجعله يشكك فـي صـدق إيمانـه بعقيدتـه حـين حنـث بمـا أقـسم عليـه ، فغـدر ونال جزاء غدره .

ويجعــل فتيــان الــشاغوري هــزيمتهم فــي حطــين جــزاء لمــا جنتــه أيـديهم مـن الغـدر بالمـسلمين ، ونقـضهم لعهـودهم ، وحنـثهم بأيمـانهم ، وفـي ذلك يقول : "الكامل"

حــصدوا وكــان الغَــدر بــذْرهم فقَــد درســوا بــهِ وذُروا بِــأَوخَم بيــدر
ســقَتِ المماليــك الكــرام ملُــوكَهم كأسـاً بهـم سـقَتِ اللئـيمِ الهنْقَـري[4]

---

1 - البغدوين : أحد ملوك الفرنج الصليبيين صاحب القـدس ، هلـك مـن جـرح أصـابه فـي وقعـة طبريا ، وأراح ا المسلمين منه سنة (508 هـ ـ) . ينظـر : ابـن تغـري بـردي ، **النجـوم الزاهرة** 119/6 .

2 - الحائن : الأحمق . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (حان) .

3 - **الديوان** : 202 .

4 - **الديوان** : 145 - 146 ، والهنفري هو صاحب بانياس مـن ملـوك الـصليبيين أسـرهم صـلاح الدين الأيوبي بالقرب من طبريـة سـنة 583 هـ ـ . ينظـر : ابـن تغـري بـردي ، **النجـوم الزاهرة** 277/6 .

فالشاعر يؤكد ما جنوه من غدرهم ، فصور غدرهم ببذور سيئة أنتجت حصاداً سيئاً ، وزيادة على ذلك وصف ملكهم باللؤم .

أما ابن القلانسي فيصور غدر الفرنج ، رغم تأكيدهم للمسلمين بحسن الوفاء ، فنالوا جزاء غدرهم ، فكان الجزاء أحد اثنين إما القتل أو الأسر ، وفي ذلك يقول : "الخفيف"

نَقَضوا هدنَةَ الصلاح بجهلٍ　　بعد تأكيدِها بحسن الوفاءِ

ولقُوا بغيهم بما كان فيهِ　　من فسادٍ يحِلهم واعتِداءِ

لا حمى الله شَملهم من شَتاتٍ　　بمواضٍ تَقُوقُ حد المضاءِ

فجزاء الكفور قَتْلٌ وأَسرٌ　　وجزاء الشَّكُور خَيرُ الجزاءِ[1]

ومن الصفات التي هجاها الشعراء الإفرنج ، صفة النفاق ، فلم يتورعوا للكيد للمسلمين ، عن طريق نشر الشائعات ، وفي ذلك يقول ابن منير الطرابلسي : "الكامل"

وإذا العِدا زرعوا النفاقَ وأحصدوا　　كيداً فعزمك ناقِصٌ حصاد[2]

فالشاعر يصور الصليبيين بمزارعين يزرعون حباً ، وما يجنونه من زرعهم كثرة المكائد للمسلمين .

وقد ذهب الشعراء في هجوهم لهم إلى رميهم بالجبن ، والغَدر وألصقوا بهم الجهل ، والحمق والغباء ؛ لأنهم لا يأخذون العبرة مما يحلّ بهم من مصائب ، ومع ذلك يصرون على مواصلة ذلك الأسلوب والطريقة الغبية في فعالهم مع المسلمين ، كما حدث في عودتهم إلى

1 - **ذيل تاريخ دمشق** : 342 .

2 - **الديوان** : 275 .

مهاجمة بيت المقـدس مـرة أخـرى سـنة 587 هـ ـ ، وفـي ذلـك يقـول الـشاعر - الرشيد النابلسي - :   " البسيط "

ويـح الفِرنْجـةَ بـلْ ويـل أمهـم أومـا **فـيهم لبيـتٌ علـى الوِـلاّتِ يعتبـر**

فكَـم نَثَـرتهم ضـرباً إذا انتَظَمـوا **وكَـم نَظمـتُهم طَعنـاً إذا انتثـروا**

كـم قـد سـقيتَهم ذُلاً ولا عجـبٌ **إن عربدوا سفَهاً فـالقوم قـد سـكِروا**

إن يمـوك فـلا بِـدعٌ لجهلهـم **تَسعى إلى الأُسدِ في غاباتهـا الحمـر**[1]

فالـشاعر ينعـتهم بنعـوت سـاخرة تـدليلاً علـى غبـائهم ، وجهلهـم ، فهـم كحمـر الـوحش ، لا يتعظـون بمـا حـل بهـم ، فيتـداركون أخطـاءهم ولا يكررونها .

وأكثـر الـشعراء مـن التعـريض بأخلاقيـات الـصليبيين ، وفظاعـة تجـاوزاتهم فرمـوهم بأقـذع الـصفات ، ونـددوا بمعـاملاتهم الـسيئة ،وينقـل لنـا ابـن الخيـاط صـوراً مـن جـرائم الأعـداء ، وكثـرة تجـاوزاتهم ، وطبيعـتهم الشريرة في القتل والفساد ، وفي ذلك يقول :   " المتقارب "

بنُـو الـشركِ لا ينكِـرون الفَـساد **ولا يعرفـون مـع الجـور قَـصدا**

ولا يردعـون عـن القتـل نَفْـساً **ولا يتركـون مـن الفَتْـكِ جهـداً**

فكـم مـن فتـاةٍ بهـم أصـبحتْ **تَـدق مِـن الخـوفِ فَخْـذاً وخَـدا**

وأم عواتـقَ مـا إن عرفْـ **ـن جـراً ولا ذُقْـن فـي الليـل بـردا**

تكـاد علـيهن مـن خيفـةٍ **تَـذُوب وتَتْلَـفُ حزنـاً ووجـدا**[2]

---

[1] - الحبازي ، مشهور، **شعر الرشيد النابلسي** : 137.

[2] - **الديوان** : 184 - 185 .

وتـصل الزرايـة بالـصليبيين لمـا يتـصفون بـه مـن بغـي ، وظلـم وغدر وخيانـة ، إلـى تـصويرهم بـالأمم البائـدة ، فنـالوا جـزاءهم مـن الـذين أرسل لهم من يحاسـبهم علـى أفعـالهم ، كمـا يبـدو ذلـك فـي قـول ابـن منيـر الطرابلسي : " الكامل "

أودوا كمـــا أُودي بعـــادٍ غيهـــا ... وعقّوا[1] كما اسـتَغْوى الفـصيلُ ثمـود

إن آلمــوا عقْــراً فإنـــك صـــالحٌ ... أو آلمــوا غــدراً فإنــك هــود[2]

فالشاعر يـشبههم بقبيلتـي عـاد وثمـود فـي أفعالهمـا وسـيرهما فـي الظلـم والغدر على سيرتهما.

---

[1] - عقّوا : كرهوا ، وعقا الأمـر عقـواً : كرهـه ، ينظـر:ابـن منظـور، **لـسان العـرب** ، مـادة (عقّو) .

[2] - **الديوان** : 259 .



الفصل الرابع

الدراســـة الفنية

المبحث الأول :

بناء القصيدة الهجائية

المبحث الثاني :

الأسلوب واللغة

المبحث الثالث :

الموسيقا

المبحث الرابع :

الصورة الشعرية

المبحث الأول : بناء القصيدة الهجائية :

اتخذ شعر الهجاء زمن الزنكيين والأيوبيين – في معظمه – المقطوعة الشعرية شكلاً تعبيرياً ، فجاءت القصيدة الهجائية عند غالبية شعراء هذا العصر مقطوعات قصيرة محددة الأبيات في نتف من بيتين إلى ما دون العشرة ، وربما اكتفى الشاعر ببيت يتيم ليبرز مشاعره الغاضبة ، ويظهر أليم هجائه اتجاه مهجوه بشكل لاذع ومركز ، وكان النظم على المقطوعات الهجائية ظاهرة فنية عامة ولافتة تُلْمح عند أغلب شعراء الهجاء " لأن الهجاء كان يستلزم ذلك ضرورة ، ليبلغ الشاعر بأبياته القليلة التي يركز فيها معاني محددة ما يرجوه من سرعة إيلام المهجو ، وما يتمناه من سرعة انتشار هذه الأبيات بين جماهير الناس "[1] فالميل إلى المقطوعات القصيرة بدت رغبة لدى الشعراء في هجوهم ، لأنها أسهل حفظاً ، وأسرع شيوعاً وانتشاراً على كل لسان ، وكلما كثر تناقلها بين الناس غدت أكثر إيذاء وأشد إيلاماً على المهجو وهذا ما سعى إليه هجاؤو العصر .

وقد أيد ظاهرة المقطوعات الهجائية القصيرة ، وأكّد شدة تأثيرها في النفس روايات كثير من الشعراء والنقاد رغم انقسام الشعراء اتجاه المقطوعات إلى قسمين : " قسم كان يفضل القصيدة القصيرة في أغراض الشعر جميعها ، وآخر كان يفضلها في الهجاء فقط "[2] وأما من

---

[1] - هدارة ، محمد مصطفى ، **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري** 421 .

[2] - بكار ، يوسف حسين ، **بناء القصيدة العربية** 321 .

فضلها في الهجاء فرواية ابن رشيق والحصري لما سئل ابن الزبعْرى[1] " إنك تُقَصر أشعارك " فقال ؛ لأن القصار أولج في المسامع وأجول في المحافل "[2] وفي موضع آخر قال ابن الزبعرى : " حسبك من الشعر غرة لائحة وسبة فاضحة "[3] وقيل للحطيئة ما بال قصارك أكثر من طوالك ؟ قال : لأنها في الآذان أولج وفي الأفواه أعلق "[4] ، وقيل لعقيل بن علّفة[5] : " لم لا تطيل الهجاء فقال يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق "[6] ، وقيل لبعض المحدثين : ما لك لا تزيد على أربعة واثنين ؟ قال:" هن بالقلوب أوقع ، وإلى الحفظ أسرع ، وبالألسن أعلق ، وللمعاني أجمع ، وصاحبها أبلغ وأوجز "[7] .

وتُظهر الروايات السابقة إدراك الشعراء ، ووعيهم الذهني لأهمية الإيجاز والاقتصاد في الهجاء ، فهو أوكد للذيوع ، فضلاً عن التشهير بالمهجو ، وتشويه سمعته ، ويتحقق ذلك بالألفاظ الموجزة

---

[1] - ابن الزبعْرى : هو عبد ا بن الزبعرى بن سعد بن سهم ، من شعراء مكة الذين ناصبوا الرسول صلى ا عليه وسلم العداء ، توفي سنة 15هـ . ينظر : ابن سلام ، **طبقات فحول الشعراء** 233/1 .

[2] - **العمدة** 187/1 ، **زهر الآداب** 639/2 .

[3] - أبو هلال العسكري ، **الصناعتين** 180 ، ابن رشيق ، **العمدة** 187/1 .

[4] - أبو هلال العسكري ، **الصناعتين** 179 .

[5] - عقيل بن علفة : هو عقيل بن علفة بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن غطفان يكنّى " أبو الوليد " توفي سنة 100هـ . ينظر : المرزباني ، **معجم الشعراء** 203 ، الآمدي ، **المؤتلف والمختلف** 208 .

[6] - أبو هلال العسكري ، **الصناعتين** 179 ، الجاحظ ، **الحيوان** 99/3 ، ابن عبد ربه ، **العقد الفريد** 128/2 .

[7] - أبو هلال العسكري ، **الصناعتين** 179 .

والمعـاني المركـزة التـي يـستطيع الهجـاء مـن خلالهـا إفحـام خـصمه ، وإسكاته لما له من شدة وقْع في النفس ودوام في الذاكرة .

وهنـاك إجمـاع مـن النقـاد والـشعراء علـى أفـضلية قـصير الهجـاء علـى طويلـه " لأن " قـصره أوكـد لذيوعـه وخطورتـه ، وثقـل موقعـه علـى المهجو "[1] ،ولم يشذ عـن هـذا الإجمـاع إلا جريـر كمـا يـذكر ابـن رشـيق فقـد قـال لبنيـه : " إذا مـدحتم فـلا تطيلـوا الممادحـة ، وإذا هجـوتم فخـالفوا "[2] ، لكن دعوة جرير للإطالـة فـي الهجـاء لـم تلـق رواجـاً بـين أوسـاط الهجـائين ، بـل ظـل الاعتمـاد علـى المقطوعـات الهجائيـة ظـاهرة فنيـة بـارزة ، يلحظهـا الدارس عند غالبيـة الهجـائين خـلال هـذه الفتـرة الزمنيـة ، وعنـد غيـرهم مـن شـعراء العـصور الـسابقة ، وهـو مـا أشـار إليـه أحـد الدارسـين بقولـه : " إن الـشعراء مـالوا منـذ أوائـل القـرن الأول الهجـري إلـى المقطوعـة الهجائيـة لأنهـا أسـرع رداً وأبعـد تـأثيراً ، وأسـهل ذيوعـاً ، فكثيـر مـن المناسـبات والظروف الطارئة تستدعي قصير الهجاء "[3] .

ولا شـك أن اعتمـاد شـكل القـصيدة الهجائيـة علـى تلـك المقطوعـات القصيرة – خلال تلـك الفتـرة – أظهـر طبيعـة الهجـاء الـذي كـان يـدور حـول فكـرة واحـدة ، ويحمـل تجربـة شـعورية محـددة ، ويغلـب عليـه الإيجـاز والتركيـز ، وقـد عكـست تلـك الطبيعـة صـدق عاطفـة الـشاعر ، وتحققـت لـه معهـا الوحـدة والانـسجام ، فكانـت تلـك المقطوعـات القـصيرة سـهلة الحفـظ ،

---

[1] - حسين ، محمد محمد ، **الهجاء والهجاؤون في عصر صدر الإسلام** 102 .

[2] - **العمدة** 172/2 .

[3] - التميمي ، قحطان رشيد ، **اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري** 330 .

سـريعة الانتـشار ، قويـة الإصـابة ، شـديدة التـأثير علـى نفـسية المهجـوين إلـى حـد الإيـذاء والتـشهير بهـم ، فكلّمـا رددتْهـا الألـسن وصـدعت بهـا الحناجر ظهر مقدار تأثيرها على مهْجويهم وتصرفاتهم .

وثمـة ظـواهر فنيـة يلمحهـا الـدارس فـي تلـك المقطوعـات الهجائيـة تميـزت بهـا ، وعـدت مـن الـسمات والخـصائص التـي يـستوجب ذكرهـا بعـد هذه الدراسة ، ومنها :

1- وحدة الموضوع :

تميـزت المقطوعـة الهجائيـة بمحدوديـة أبياتهـا ، ممـا أكـسبها وحـدة الموضـوع والمـشاعر التـي عبـر عنهـا الهجـاء ، وتكـاد تلـك الظـاهرة أن تكـون عامـة فـي كثيـر مـن المقطوعـات الهجائيـة ، فعلـى الـرغم مـن قلـة أبياتها وقـصر نفـس الـشاعر فيهـا ، فهـي حافلـة بالعاطفـة الفياضـة والمـشاعر المتأججة ، لأنهـا دفقـات شـعورية قويـة الانفعـال شـديدة التـأثير . فكلمـا كانـت القـصيدة أقـرب إلـى القـصر ، أو إلـى شـكل المقطوعـة زادت حـدتها الشعورية والفنيـة معـاً "[1] ، وقـد بـرزت تلـك الوحـدة الموضـوعية مـن تحلـل الهجائين فـي هـذا العـصر مـن البـدايات التقليديـة التـي نهجهـا سـابقوهم فـي قـصائدهم ، فمنحـت الهجـاء الحريـة الكاملـة فـي التعبيـر عـن موقفـه ، دون أن يفصل بينه وبين قضيته حاجز، يكبت فيها شعوره وإحساسه نحوها .

ويبـدا للقـارئ أن هـذه الظـاهرة اقتـصرت علـى نمـاذج الهجـاء الشخـصي والاجتمـاعي ، ففـي تلـك المقطوعـات الهجائيـة غلبـت الوحـدة

[1] - القط ، عبد القادر ، **في الشعر الإسلامي والأموي** 133 .

الموضـوعية ،العاطفـة الواحـدة علـى أشـعارها ؛ لقلّتهـا ومحدوديـة قـضاياها ، وشدة انفعال شعرائها .

ومـن الـشواهد التـي تُمثـل تلـك الظـاهرة ، فمـن الهجـاء الشخـصي نـرى قـول ابـن الـساعاتي يهجـو نمامـاً لا يتوقـف عـن نقـل الأحاديـث بـين النّـاس ، رغـم ضـعف بنيتـه الجـسدية ، ويعبـر عـن تلـك الـصفة الذميمـة بموقف شعوري واحد ، إذ يقول : " الخفيف "

وضعيفِ البنـاءِ عـن حمـل ثوبيـ ـــهِ قـــوي فـــي نَقْـــل كـــل حـــديثِ
فهو لو كان مِثْـلَ أُحـدٍ لمـا قـصر ـــصرعن حمِلــه بِـــسيرٍ حثيـــثِ
هـــو كالـــذّر لا كمثـــل أبـــي ذر[1] ر وكـــم بـــين طيّـــبٍ وخبيـــثِ[2]

فالـشاعر يخـتص مهجـوه فـي أبياتـه بتلـك الـصفة الذميمـة دون غيرها ، ويظهر نقده اللاذع له بذلك الشعور القوي .

أما سليمان بن بليمـان فقـد عبـر عـن خيبـة أملـه فـي رجـل صـادقه ، فوجـده ناقـضاً للعهـود خـافراً للـذمم ، بعـد تجربـة حقيقيـة عايـشها ولمـسها واقعاً ، فتركه بعدها ، إذ يقول : " الخفيف "

قيـل لمـا تَركْـتَ دار بهـاءِ الـد دِيـن[3] ذي الجـودِ والنجـادِ العريـق
وتبـدلْتَ صـاحِباً غَيـر ذَاكَ الـ ـماجِدِ الـسمح ، الـودودِ الـشفيق
قلـتُ مـا إن تَركْتُـه عـن كِـلالٍ بـلْ تَحققْـتَ غَايـةَ التّحقيـق
إنـه لا يفـي لخـل ولا يـر عَـب إلا فـي فاسـق زِنْـديق
قل مـن يحفَـظُ الـذّمام ومـن تلـ ـقاه عونـاً فـي كـلّ أمـرٍ مـضِيق[4]

---

[1] - الذر الأولى صغير النمل ، وأبو ذر الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري المعروف .
[2] - **الديوان** : 73/2 .
[3] - بهاء الدين : يبدو أنه صديق للشاعر ، لكنني لم أهتد إلى ترجمته .
[4] - ابن الشعار ، **عقود الجمان** 69/2 .

فالشاعر يعرض بصديقه الغادر ، ويعبر عن بغضه لتلك الصفة الذميمة من خلال تلك الأوصاف التي وصمه بها .

وقول عرقلة الكلبي يعبر عن خيبة أمله في قوم مدحهم فتأمل منهم جزيل العطاء على شعره ، فكان أجرهم له حفنة من الشعير بديلاً من المال ، وقد دفعه يأسه وغضبه لذمهم ورميهم بالبهائم ، وفيهم يقول : " الطويل "

يقُولون لِما أرخَصتَ شِعركَ في الورى فقلتُ لهم إذ ماتَ أهلُ المكارمِ
أُجازى على الشعر الشعير وإنه كثيرٌ إذا استخْلَصتُه من بهائِمِ[1]

ولعل أجمل الشواهد التي يتَمثلُ بها للوحدة الموضوعية في نطاق الهجاء الاجتماعي أبيات للجليس بن الحباب ينتقد فيها طبيباً ويشكو من قلة خبرته ، وتقاعسه عن علاجه من الحمى حتى غدا غراب بين لا خير في طبابته ، إذ يقول : " الوافر "

وأصلُ بليتي من قد غزاني من السقْمِ الملحّ بعسكرين
طبيبٌ طِبه كغراب بينِ يفرّقُ بين عافِيتي وبيني
أتى الحمى وقد شاخَتْ وباخَتْ فردّ لها الشّباب بنُسختين
ودبرها بتدبيرٍ لطيفٍ حكاه عن سِنَانٍ[2] أو حنَين[3]

---

[1] - **الديوان** : 94 .

[2] - سنان : هو أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرة ، الطبيب الحراني ، كان نصرانياً ثم أسلم ، له تصانيف عدة خاصة في الرسائل منها : " رسالة في أخبار آبائه وأجداده " ورسالة في الفرق بين المترسل والشاعر " ورسائل أخرى ، و " كتاب **التاجي في سيرة عضد الدولة** ، توفي سنة 335هـ . ينظر : ابن أبي أصيبعه ، **عيون الأنباء** :307 .

[3] - حنين : هو أبو زيد ، حنين بن إسحق العبادي ، المسيحي الطبيب البغدادي المشهور ، له العشرات من المصنفات في الطب منها : " **كتاب البيطرة** " و " **أسماء الأدوية المفردة** " وغيرها توفي سنة 260هـ .ينظر:ابن أبي أصيبعه،**عيون الأنباء** 257-274،ابن خلكان،**وفيات الأعيان** 2/217-218،أبو شامة المقدسي،**الروضتين**5/2.

وكانــت نَوبــةً فــي كــل يــومٍ فــــ ـــصيرها بِحـــــ ذْقٍ نـــــ وبتين[1]

فالـشاعر ينتقـد جهـل الطبيـب وسـوء تـدبيره فـي حـق مريـضه بأسلوب ساخر ولاذع وإحساس ينم عن الألم ، وشدة الغيظ من تصرفه .

ويذهب ابن دنينير فـي نقـده والـي دمـشق إلـى حـد اتهامـه بالنفـاق فـي أدائه فريضة الحـج خوفـاً مـن الملـك المعظـم عيـسى ، واسـتغل الـشاعر تلـك المناسبة لنقـده بأسـلوب قـوي ولاذع ، يكـشف مـن خلالـه مقـدار التنـاقض فـي شخصيته وتصرفاته المتصنعة ، فيقول : " البسيط "

حججـتَ يـا شـر خَلْـق ا كُلهـم لمـا تَعريـتَ مـن مـالٍ ومـن جـاهِ

وكان حجـك يـا مـن لا خـلاقَ لـه خَـوفَ المعظَّـمِ لا خوفـاً مـن ا ِ[2]

فالـشاعر يـبغض شخـصية مهجـوه المتناقـضة ، ويفـضح زيفهـا فـي العبادة حين يصرح بأن حجه رياء لا خوفاً من ا .

وبـالنظر لتلـك النمـاذج مـن المقطوعـات الهجائيـة نجـدها بعيـدة عـن التعقيـد ، تبـدو فيهـا بـساطة التعبيـر والعفويـة التـي لا تكلـف فيهـا ، ويـدور موضـوعها حـول فكـرة واحـدة ، وتلـك سـمات تحقـق لهـا سـهولة الحفـظ وسـرعة الانتـشار ، وهـذا مـا يـسعى إليـه الهجـاء ليـضمن لهـا الـسيرورة والعلوق بالأفواه .

2- الحكاية القصصية :

اعتمـد الهجـاؤون فـي مقطوعـاتهم الهجائيـة خـلال هـذه الفتـرة علـى الأسـلوب القصـصي ، وتلـك تقنيـات وظفهـا الـشعراء فـي هجـوهم بقـصد

[1] - أبو شامة المقدسي ، **الروضتين** 5/2

[2] - **الديوان** : 609 .

تحطـيم مهجـويهم وإلـصاقهم بـأقبح الرذائـل النفـسية ، وكـشف جوانـب الـنقص فـيهم " ويبـدو أن اتـساع هـذا الأسـلوب لتفـصيل الكـلام ، ولقربـه مـن طريـق المحادثـة والقـصة ، لمـا يحتملـه مـن قـول ورد ، وسـؤال وجـواب ، وحـوار ونقاش ، هـو الـذي حمـل الهجـائين علـى اتخـاذه سـبيلاً لفنيـة الهجـاء "[1] فهـا هـو الـشاعر علـم الـشاتاني يـصطنع هـذا الأسـلوب ، مـستخدماً الحـوار التشخيصي في سخريته من خصم له وثب عليه أسد، فيقول : " الخفيف "

قلـتُ : لِليـثِ : لـم تَـأخرتَ عنْـه حـيـن غَادرتُـه لـديك صـريعا
قـال : قـدرتُ أنني حـزتُ صـيداً فَتَأملتُّـه فكـان رجيعـا[2]
فأبـتْ نفـسي الأبيـةُ عنْـه أن تَـرى أكْلـه وإن مِـت جوعـا[3]

فالـشاعر يـسخر مـن مهجـوه بتلـك الحكايـة التـي اصـطنعها ، مـستخدماً الحـوار التشخيـصي وكـأن الأسـد شـخصٌ يحـاوره ، قاصـداً إيلامـه وإذلالـه ، فقلـل قيمتـه واستـصغر شـأنه ، فـي حـين جعـل نفـسه أبيـة تعـاف أكله وإن شارفت على الموت جوعاً .

وعمـد الـشعراء فـي بنـاء مقطوعـاتهم الهجائيـة إلـى المحـاورة ، للنيـل مـن مهجـويهم ، والازدراء بهـم ، كمـا فعـل ابـن عنـين فـي هجـوه للرشيد النابلسي والتشهير بـه ، فقـد توسـل لتحقيـق تلـك الغايـة بكـلّ مـا يمتلـك من طاقة وبراعة لغوية ، إذ يقول : " الوافر "

شَـكا شـعري إلـي وقـال تَهجـو بِمِثْلـي عِـرض هـذا الكلْـبِ اللئـيم

[1] - التميمي ، قحطان رشيد ، **اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري** 347 .
[2] - الرجيع : النجو والروث . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (رجع) .
[3] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** 375/2 .

فقالتُ له : تسل قرب نجمٍ هوى في إثر شَيطانٍ رجيم[1]

فالشاعر استخدم الحوار في هجوه ، ووظفه ليكون وسيلة للازدراء والتهكم من خصمه ، معتمداً فيه على التشخيص ، وتمثّل ذلك في خلع الشاعر للحياة الإنسانية على ما ليس بإنسان وهو الشعر ، وتلك صورة جعلت من قصته أكثر متعةً ، وهذا المعنى عبر عنه أحد الباحثين في قوله : " إن التصوير بالقصة كثيراً ما يكون أمتع وأوقع ، والنفوس إلى الاستجابة إليه أسرع "[2] .

وقد يتخذ الهجاء السرد القصصي وحده دون الحوار في بناء حكايته القصصية بصورة متسلسلة ، تتصاعد أحداثها ، فتجعلها أكثر اقتراباً لسامعها من ناحية ، وأشد إيذاء واحتقاراً للمهجو من ناحية أخرى إلى جانب بلوغ الهجاء إلى هدفه في التشهير والسخرية اللاذعة من خصمه ، كما فعل ابن عنين في هجائه للمرتضى بن عساكر[3] ، إذ يقول : " الكامل "

مالي أَرى المرء اللّعين قد اختَفى	**هذه جِنَايَاتُ الأيودِ على القَفَا**
وسمتْ تواسيم الحبيبِ جبينَه	**والصفْع خَيرٌ لِلمحِبِ من الجفا**
عبثَتْ بِهامتِه النعالُ فما انْثَنَتْ	**حتى انْثَنَى مِن وقْعِهن على شَفَا**
فَغَدا يكتم أمره ومصابه	**طَمعاً بأن يخْفَى وقد برح الخَفَا**

---

[1] - **الديوان** : 188 .

[2] - بلبع ، عبد الحكيم ، **النّثر الفنّي وأثر الجاحظ فيه** 173 .

[3] - المرتضى بن عساكر : لم أهتد إلى ترجمته فيما وقع بين يدي من مراجع .

هيهــاتَ أن يخْفَــى مــصابك بعــدما   خــطّ المــداس علــى جبينــك أحرفَــا[1]

فالشاعر ســرد تلــك الحادثــة ، وكررهــا أكثــر مــن مــرة فــي ديوانــه[2] في ثوب قصــصي ســاخر ، عبــر مــن خلالهــا عــن تــشفّيه بمهجــوه ، وحرصــه علــى فــضيحته ، وقــد أبــدى فيهــا روح الانتقــام ، وتبــدو مــن كثــرة المثالــب التي تَتَبعها فيه .

واتخــذت بعــض المقطوعــات الهجائيــة ســبيل المفاجــأة فــي عــرض الحكايــة القصــصية ، فظــاهر الحــوار فيهــا يبــدي مــدحاً لــدى المتلقــي ، لكــن الشاعر يفاجئ ســامعه بالقــدح ، وتلــك صــورة ســاخرة نجــدها عنــد ابــن منيــر الطرابلــسي فــي هجــوه لأبــي نــزار النحــوي حــين رأى يــده مربوطــة بمنــديل بعد أن عضته قطة ، وفيه يقول :   " المتقارب "

عتِبــتُ علــى قِــط ابــن منيــر   وقلــتُ : أتَيــتَ بغيــر الــصوابِ

جرحــتَ يــدا خُلِقَــتْ للنّــدى   وبــذْل الهبــاتِ وضــربِ الرقــابِ

فَقَــالَ لــي القِــط : ويــك انتبــه   أَلَــيس القِطــاطُ عِــداةَ الكِــلابِ[3]

فالــشاعر اعتمــد فــي حــواره علــى التــشخيص حــين جعــل مــن القــط شخصاً يبدي لــه عتبــاً علــى ســوء فعلتــه ، مــع شــخص لا يــستحق منــه هــذا الفعــل ، فاليــد التــي تجــود كرمــاً وتنــشر علمــاً ، وتجالــد الأعــداء شــجاعة تحتاج إلى التكريم ، لكــن الــشاعر يفاجئنــا فــي البيــت الثالــث بقدحــه نافيــاً كــل ما ذكر، وبصورة ساخرة حين جعل مهجوه في صورة كلاب تحقيراً له .

---

[1] - **الديوان** : 199 .

[2] - ينظر: **الديوان** : 198 ، 200 ، 201 .

[3] - **الديوان** : 174 .

أمـا ابـن عنـين فقـد اتخـذ مـن اسـم مهجـوه طريقـاً لعـرض حكايتـه القصصية بأسلوب يثير السخرية والتهكم ، إذ يقول : " المتقارب "

رَأيـتُ النَّبـي عليـهِ الـسلام فقُمـتُ إليـهِ وقبلتُـه
فقَـالَ: أيعقُـوب[1] يـروي الحديـثَ فقُلْـت : نَعـم ، فـالَ : مـا قُلتُـه[2]

3- الهجاء الساخر :

تُعـد الـسخرية الهجائيـة مـن الملامـح البـارزة فـي بنـاء المقطوعـات الهجائيـة ، وقـد اعتمـدت فـي بنائهـا علـى الفكاهـة والـتهكم المثيـران للـضحك ، ويبـدو أن الباعـث وراء هـذا الأسـلوب " هـو الرغبـة فـي نقـد العيـوب الجـسدية والنفـسية والاجتماعيـة والـسياسية ، بهـدف الإصـلاح وتقـويم الاعوجـاج ؛ ولا سـبيل أجـدى مـن الفكاهـة المتهكمـة فـي عـلاج الانحرافـات ، والعـادات الـسيئة والأخـلاق الرديئـة "[3] ، وذلـك سـبيل سـلكه شـعراء هـذا العـصر بغـرض إثـارة الـضحك والاسـتهزاء بـالمهجوين ، وقـد توسـل الـشعراء بكافـة الوسـائل لتحقيـق تلـك الـسخرية التهكميـة ، وعبـروا عنها فـي صـور مختلفـة ، ومنهـا : ذكـر الهجـو فـي معـرض المـدح ، وقـد عرفـه ابـن حجـة الحمـوي بقولـه : أنْ يقـصد المـتكلم هجـاء إنـسان ، فيـأتي بألفـاظ موجهـة ظاهرهـا المـدح وباطنهـا القـدح ، فيـوهم أنـه يمدحـه وهـو

---

[1] - يعقوب : هو الأمير شرف الدين يعقوب بن محمد الهـدباني الأربلـي ، تـولى دواويـن الـشام ، وكان ذا علم وأدب ، توفي سنة 645هـ في مـصر . ينظـر : ابـن العمـاد الحنبلـي ، **شـذرات الذهب** 403/7 .

[2] - **الديوان** : 137 .

[3] - قزيحة ، رياض ، **الفكاهة والضحك في التراث العربي المشرقي** 283 .

يهجوه "[1] ، ومن الشواهد الشعرية التي تمثل ذلك الملمح قول ابن سناء الملك في صديق مصْلح : " السريع "

لي صاحب أفديه من صاحبٍ حلْو التأني حسن الاحتيال
لو شاء من رقةِ ألفاظِه ألّف ما بين الهدى والضلال
يكفيك منه أنه ربما قاد إلى المهجور طيفَ الخيال[2]

فالشاعر في البيتين الأول والثاني يتحدث فيهما بما يوحي بالمدح والتقدير ، فهو يثني على صديقه بما اتصف به من الأناة ورقة الألفاظ ، ليجلب لمهجوه الرضا والارتياح ، غير أنه سرعان ما يفاجئ المتلقي بمعنى مغاير ، يقلب دلالة ما سبق أن ذكره .

ومن نماذج السخرية الهجائية التي يمزج فيها الشاعر بين ما يشْعِر بالثناء والمدح ، وبين القدح والذم الذي يطلبه ، قول ابن عنين في هجاء الموفق بن المطران[3] ، إذ يقول فيه : " المنسرح "

الحمد لله واجب الشكر قد اهتدى سيدي أبو نَصر
واتبع الحقّ حين لاح له فجر الهدى من دجنةِ الكفر
وقال إن المسيح ليس بمعبودٍ وأفتى في الصليب بالكسر

---

[1] - **خزانة الأدب** :261/1 .
[2] - **الديوان** : 480 .
[3] - الموفق بن المطران : هو موفق الدين أبو نصر أسعد إلياس بن جرجس بن المطران ، كان سيد الحكماء وأمير أهل زمانه في صناعة الطب وعملها ، وفّقه الله في الإسلام ، كان عارفاً بالعربية وله تصانيف عدة ، توفي سنة 587هـ . ينظر : ابن العماد الحنبلي ، **شذرات الذهب** 475/6 ، الصفدي ، **الوافي بالوفيات** 40/9-43 ، ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** 113/6 ، ابن أبي أصيبعه ، **عيون الأنباء** 650-657 .

فظـــن حـــساده معانـــدةً أمـــراً وظـــن الحـــسودِ لا يـــزري

قالوا نِفاقاً وليس يفْـرقُ فـي الـ إسـلامِ بـين النّفـاق والكُفْـر

مـا ذاك الإسـتْر علـى عمـرٍ رب انتهـاكٍ خَيـر مـن الـستر

فقلـت يـا قـوم إن فـي عمـرٍ معـذِرةً إن سـمعتُم عـذْري[1]

فالشاعر يشعر المتلقي من بداية قصيدته بالمدح فتغمره السعادة لما سمعه ظناً منه أنّه يمدحه ، ثم إذا بالشاعر يعدل عنه إلى هجاء مقذع يشين صاحبه بدءاً من البيت السابع إلى نهاية قصيدته التي بلغ عدد أبياتها سبعة عشر بيتاً إلى الحد الذي ذهب فيه الشاعر إلى ذكر عورات المهجو صراحة ، وتسميته الأشياء بمسمياتها بشكل فاضح ، وقد عزف قلم الدارس عن تكملة ما تبقى من القصيدة لما يتضمنه من ألفاظ فاحشة وكلمات بذيئة تتقزز النفس عن سماعها ، ومع ذلك فإن السخرية من المهجو قد تحققت من خلال التحول المفاجئ الذي سلكه الشاعر ، وانتقاله من المدح إلى الذم ، فأدت إلى السخرية وإضحاك المتلقي منه .

ومن أساليب السخرية التي بنى عليها الشعراء مقطوعاتهم الهجائية ، ميلهم إلى تشويه صورة المهجو من خلال تصوير عيوبهم الجسدية ، وإظهارها بطريقة غير معقولة ، وإبرازها في صورة شاذة ، مضخمة أمام الناظرين ، تثير التهكم والضحك ، والنوع المثير ينحصر في العيوب أو المشاهد التي تبدو مرفوضة مستهجنة للرائي ، وليست كذلك بالنسبة لصاحبها[2] ومن تلك العيوب الجسدية ضخامة الأنف التي

---

[1] - **الديوان** : 194 – 195 .

[2] - ينظر : قزيحة ، رياض ، **الفكاهة والضحك في التراث العربي المشرقي** 284 .

كانت مبعث ازدراء وسخرية من الشعراء ، كما عبر عن ذلك أبو عبد ا الأزدي يصف أنف رجلٍ ، قائلاً : " الكامل "

أعجب بمن إن حل في بيتٍ له فلأنْفِهِ في الدار بيتٌ ثان
وتكاد تُخفيهِ ضخامةُ أنفهِ فكأنّه أنفٌ بلا إنسان[1]

فالشاعر يبرز صورة أنف مهجوه في ضخامته كأنه بيتٌ يصلح سكناً ، بل ويزيد في العبث بصورته الإنسانية فيصوره بأنه أنف ليس له معالم إنسانية ، وكأنك أمام رسم كاريكاتوري يثير الضحك .

وقد تتأتى السخرية الهجائية من خلال العيوب الخُلقية ، لكنّها ، تتوقف على مقدار قدرة الشاعر على البناء اللفظي حين يصور خُلق أحد مهجويه في بخله – مثلاً- بصورة لا معقولة بحيث يرسم له صورة تثير الضحك ، كما فعل ابن منير الطرابلسي في هجو بخيلٍ ، بقوله : " مجزوء الرجز "

رغِيفُه من ذُرةٍ يصنَعه أو أصغَرا
مبيتاً ملففاً[2] **مبريقاً مبكرا**
لو جاز في عين الذي يأكُلُه لما درى
أو بلَع الصائِمُ ألْفاً مِثْلَه ما أفْطَرا
كأنّما خبازه بو تحدى البشَرا[3]

فالشاعر أبدى سخريته الهجائية من خلال وصفِ رغيف البخيل ، وإظهار حجمه حتى غدا أمام المتلقي شيئاً لا وجود له ، أو شيئاً ثميناً يصعب نواله .

---

[1] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 280/1 .
[2] - ملففاً : مغطى بكساء . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (لفف) .
[3] - **الديوان** : 159 .

واستخدم الشعراء ألقاب مهجويهم طريقاً للسخرية والتهكم بهم ، كما فعل ابن عنين في هجائه لابن عدلان[1] ، وكان ينبز بالجرذان بقوله : " البسيط "

شاورتُ بعض أخلائي وقلتُ له أريد أودِعُ كُتْبي نَجل عدلان
فقال : ذلك جرذان ومصلحةٌ أن لا يحط كتاب عند جرذان[2]

فالشاعر سخر من مهجوه وأزرى به حين حوله إلى فصيلة الجرذان ، تلك الحيوانات القذرة التي تأكل الكتب ملمحاً إلى مهنته والغمز به ، فكان مثاراً للسخرية والضحك .

ومن صور السخرية تلاعب الشعراء بالألفاظ عن طريق المظاهر البديعية ، كما فعل ابن قادوس في هجو شاعر أسود ، إذ يقول : " السريع "

يا شِبه لُقْمانٍ بِلا حِكْمةٍ وخاسراً في العِلمِ لا راسخا
سَلَخْتَ أشعار الورى كلهم فصرتَ تُدعى الأسود السالِخا[3]

فالشاعر أبدى سخريته من الشاعر باستخدام الجناس غير التام في:(راسخ وخاسر) ، والسخرية عن طريق التورية في كلمة (الأسود السالخ) فالمعنى القريب له الثعبان الأسود ، والمعنى البعيد الذي قصده هو الشاعر أسود البشرة الذي سرق أشعار غيره .

---

[1] - ابن عدلان : هو عفيف الدين أبو الحسن علي بن عدلان الموصلي النحوي ، كان علامة في الأدب ، له تصانيف في الترجمة وحل الألغاز توفي سنة 666هـ . ينظر :السيوطي ، **بغية الوعاة** 343 .

[2] - **الديوان** : 238 .

[3] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 226/1 .

وتكـون السخرية الهجائيـة مـن خـلال المقارنـة والمفاضـلة بـين شخـصيتين ، تنتهـي المقارنـة بتـرجيح كفـة أحـدهما علـى الآخـر ، كمـا فـي قول ابـن عنـين يهجـو الملـك العزيـز صـاحب مـصر[1] ويـشيد بالوقـت نفـسه بالملـك العزيـز طغتكـين بـن أيـوب[2] صـاحب الـيمن ، وتفـضيله علـى سابقه ، في قوله : " البسيط "

ما كُـل مـن يتَـسمى بـالعزيز لهـا أهـلٌ ولا كـل بـرقٍ سـحبه غَدِقـه
بـين العزيـزين بـون فـي فعالِهمـا هـذاك يعطـي وهـذا يأْخَـذُ الـصدقه[3]

فالشاعر هجـا صـاحب مـصر هجـاء لاذعـاً حـين قـارن بـين بخلـه ، وجودِ صـاحب الـيمن ، وتُبـرز المقارنـة إيـذاء وإيلامـاً شـديداً بـالمهجو ، وقـد عـد أسـلوب الهجـاء بالموازنـة والمفاضـلة عنـد القـدماء مـن أشـد الهجـاء ، وأطلقـوا عليـه الهجـاء المقـذع[4] وهـذا الـشعور يحـدث أذى بـالمهجو " ولـو أن الشاعر نـسب إليـه عيبـاً معينـاً لتعـزى المهجـو بـأن غيـره قـد يكـون معيبـاً بمثلـه ، أمـا وهـذه الموازنـة تجعـل العيـب لاصـقاً بهـم دون غيـرهم ، فـذلك

---

[1] - الملك العزيز : هو الملك العزيز عثمان بـن صـلاح الـدين صـاحب الـديار المـصرية ، كـان ملكاً مباركاً كثير الخير واسع الكرم ، محسناً إلى الناس ، تـوفي سـنة 595هـ . ينظـر : أبـو شامة المقدسي ، **ذيل الروضتين** 25/5 ، ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** 251/3 .

[2] - العزيز طغتكين بن أيوب : أخو صلاح الدين ، سيره أخوه إلـى الـيمن سـنة 578هـ ليملكهـا ويقطع الفتن ، كان شديد السيرة ، مضيقاً على الرعيـة ، تـوفي سـنة 593هـ . ينظـر : ابـن خلكان ، **وفيات الأعيان** 523/2 ، ابن تغـري بـردي ، **النجـوم الزاهـرة** 141/6 ، أبـو شـامة المقدسي ، **ذيل الروضتين** 15/5 .

[3] - **الديوان** : 223 .

[4] - ينظر : ابن رشيق ، **العمدة** 170/2 .

يجعل المهجوين يشعرون بالحقارة ، إذا التقوا بأولئك الذين رفعوا فوقهم[1] ومن خلال تلك المهارة اللغوية للهجاء تظهر تلك السخرية .

4- المفارقة اللفظية :

وهناك ظاهرة لافتة في مجال السخرية الهجائية ، تمثلت في مَيْل الشعراء إلى ما أسماه النقاد المحدثون " بالمفارقة " ، فقد أظهرت المقطوعات الهجائية في بنائها نزوعاً إلى تلك المفارقة الساخرة ، رغبةً من الشعراء للازدراء بمهجويهم ، وإبراز معاني النقص فيهم ، ويظهر الهجاء فيها خصمه بصورة مغايرة لما هو عليه واقع الحال عند غير المهجو إمعاناً في احتقاره والسخرية منه ، والمفارقة كما يعرفها البعض " لعبة لغوية ماهرة وذكية بين طرفين ، صانع المفارقة وقارئها ، على نحو يقدم فيه صانع المفارقة النص بطريقة تستثير القارئ ، وتدعوه إلى رفضه بمعناه الحرفي ، وذلك لصالح المعنى الخفي الذي غالباً ما يكون المعنى الضد"[2] وهي طريقة تستوجب من المتلقي ضرورة التّمعُن والتبصر في النص ، لإدراك أشكال التناقض بين ظاهر الكلام وبين معناه الخفي المقصود .

وسلك الشعراء سبلاً عدة في بناء مقطوعاتهم الهجائية على تلك المفارقة وصنعها ، فقد استغل بعض الشعراء اسم المهجو أو لقبه لعقد

---

[1] - بدوي ، أحمد ، **أسس النقد الأدبي عند العرب** 254 .

[2] - إبراهيم ، نبيلة ، **المفارقة** ، مجلة فصول ، م7 ، ع3+4 ، 1987م :132 ،عبد الرحمن ، نَصرت ، **في النقد الأدبي**61.

تلك المفارقة ، كما فعل هبة ا بن وزير في هجوه لأحد المستخدمين على أموال الزكاة ويدعى " الزكي " ليظهر من خلالها سوء الإدارة وتفشي الاختلاس لأموال الدولة ، ويبين مدى التناقض الذي يبديه واقع الحال في المجتمع، فيقول : " مجزوء الكامل "

واحسرتاه على الثقاتِ   جعِلَ الزكي على الزكاةِ!
وهو الذي لخيانَةٍ   أبداً يعد من الجناةِ
ومتى تأملَ دِرهماً   في الجو صار من البزاةِ[1]

وقد يلجأ الهجاء في بناء مقطوعته على تلك المفارقة من خلال إيراد صور متباينة متلاحقة ومتقابلة ، كما فعل عرقلة الكلبي في هجاء أحدهم، بقوله : " المنسرح "

يا عاذِلي هلْ رأيتَ أعجب مِن   ذي عورٍ هائمٍ بذي حول
أقِل في عينِهِ ويكثُر في   عيني بضد القياس والمثل[2]

أما ابن عنين فاعتمد في صنع مفارقته على الإيهام والتلاعب بالممدوح بلغة خادعة ، إذ بدا ظاهرها يشعر بالمدح لكن حقيقة باطنها يحمل الهزء والقدح ، ويعد هذا اللون من الهجاء الذي " جمع بين الذم وما أوهم أنه حمد من أكبر الذم "[3] ولعل قصيدة ابن عنين التي نظمها

[1] - العماد الاصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 152/2 .
[2] - **الديوان** : 85 .
[3] - القرطاجني ، حازم ، **منهاج البلغاء** 350 .

على لسان " المجد بـن الحلوانيـة "[1] وكـان يعمـل حائكـاً خيـر شـاهد علـى تلـك المفارقة ، إذ يقول فيها : " الطويل "

لي الشّرفُ الأعلـى الـذي عـز جانبـه فَـلا أحـد إلا ومجـدي غالبـه

وإنـي الـذي لـولا صـنائع جـده لمـا رفعـتْ يومـاً لمـلْكٍ مـضاربه

فتًـى يتقاضـى صـنعه النّـاس دائمـاً فلـم يخـلُ يومـاً مـن غـريمٍ يطالبـه

لـه قـصباتُ الـسبق فـي كـل مـوطنٍ يطيـلُ إذا أسـدى لمـن لا يناسبـه

ويسقي إذا الأنـواء فـي العـامِ أخْلفَـتْ فهـلْ مثـلَ آبـائي تُعـد مناقِبـه

وكـم قـد كـسونا مـن يتـيمٍ وميـتٍ سـترنا ولولانـا لبانَـتْ معايبـه

وكـم قـد سـعى جـدي لمـد صـنيعهِ تُهـز لهـا أعطافُـه ومنَاكِبـه

وكـم راض صـعباً جامِحـاً متَمنعـاً يلاينُـه طَـوراً وطَـوراً يـصاعِبه

فأصـحب مِـن بعـدِ الجمـاح وأسـمحتْ قُرونَتُـه حتـى تـولاّه راكِبـه

وإنـي لمقـدام إذا مـا تـأخرتْ بِغَيـري فـي يـومِ الطعـان مراكِبـه

ولستُ كمـن ولـى فِـراراً مـن الـوغى يطِيـلُ سـؤالاً عـن رفيـقٍ يـصاحبه[2]

فالـشاعر سـلك أسـلوباً يـوهم أن المجـد الحلـواني يحمـل مناقـب يـصعب حـصرها فـي ظـاهر الأبيـات ، والحقيقـة الواضـحة تظهـر أنـه لا قدرة لمثـل ذلـك الحائـك أن يخـوض معـارك فـي أيـام عـصيبة تـصعب علـى فرسان مـدربين أقويـاء ، فهـو يخـدع المهجـو بكـلام ظـاهره مـدح ، وحقيقتـه مذمة ومنقصة لـه ، وتلـك هـي المفارقـة فـي تعبيـر مقنّـع يحمـل وراءه معنـى مستوراً أراد منه الشاعر إيلام مهجوه والسخرية منه .

---

[1] - المجد بن الحلوانية : هو أبو العباس أحمد بـن المـسلم الأزدي الدمـشقي التـاجر ، رحـل إلـى بغداد ومصر والاسكندرية ، وتـوفي سـنة 666 هـ ـ .ينظـر:ابـن العمـاد الحنبلـي،**شـذرات الذهب**560/7.

[2] - **الديوان** : 125 – 126 .

وفـي مقطوعـة أخـرى اسـتخدم ابـن عنـين أسـلوباً آخـر فـي صـنع مفارقته ، فعمد إلـى إقامـة علاقـة غيـر متكافئـة بـين مهجـوه الرشـيد النابلـسي وبين " النعال " مـال فـي نهايـة الأمـر إلـى تـرجيح كفّـة النعـال عليـه ، حـين شخّصها بكائنـات حيـة لـديها مـشاعر وأحاسـيس تتـأذى ، وتتـألم مـن صـفعها به وملامستها لثيابـه ، وهـو أمـر لـم يجعلـه متـوفراً عنـد الرشـيد إمعانـاً فـي إيذائـه وإيلامـه وزيـادة فـي اسـتخفافه والـسخرية منـه ، وفيـه يقول : " المتقارب "

تعجـب قـوم لـصفْع الرشـيدِ وذلـك مـا زالَ مـن دابِـهِ[1]
رحِمـتُ انكـسار قلـوبِ النعـال وقـد دنّـسوها بِأَثْوابِـهِ
فـو ا ـ مـا صـفعوه بِهـا ولكـنّهم صـفعوها بِـهِ[2]

5- الإيجاز والتكثيف :

تميـزت المقطوعـات الهجائيـة بـالتركيز والإيجـاز ، فقـد أظهـر الهجـاؤون قـدرة فائقـة وبراعـة لغويـة فـي إيـصال أفكـارهم ، والتعبيـر عـن معانيهم ، وبلـوغ مقاصـدهم ببيتـين أو ثلاثـة أبيـات ، ليـتم معنـاه ويبلـغ مرامـه من النظم ، دون أن يجـد نفـسه مـضطراً إلـى المزيـد مـن الألفـاظ ، وهـذا هـو حـد الإيجـاز كمـا قـال ابـن الأثيـر : " حـد الإيجـاز هـو دلالـة اللفـظ علـى المعنى من غير أن يزيد عليه "[3] .

وقد عـد قـدامى النقـاد الإيجـاز فـي الهجـاء حـسناً ، بـل جعلـوا قلـة الألفـاظ تجمـل معانيـه ، لأنهـا تـؤدي الغـرض منـه كغيـره مـن أغـراض

---

[1] - دابه : دأبه من عادته وديدنه . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (دأب) .
[2] - **الديوان** : 185 .
[3] **- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** 74/2 .

الشعر الأخرى كما يذكر قدامة بن جعفر : " ومن الهجاء ما تجمل المعاني كما يفعل في المدح ، فيكون ذلك حسناً إذا أصيب به الغرض المقصود ، مع الإيجاز في اللفظ "[1] .

ويتضح من الأقوال السابقة أن العبرة في حسن النظم يتمثل بمقدرة الشاعر في الدلالة على مقصده من النظم وإن كانت ألفاظه قليلة، وقد دل على هذا الاتجاه كثير من الشعراء في كثير من مقطوعاتهم الهجائية ، ومن شواهدها قول ابن قادوس يعير مهجوه بسواد جلده في أسلوب ساخر ، ويركّز على تلك الفضيلة النفسية ، إذ يقول : " مجزوء الكامل "

إن قُلْتَ مِن نارٍ خُلِقْـ ـتَ وفُقْتَ كلَّ الناسِ فَهما
قُلْنَا صدقْتَ فما الذي أطفاكَ حتّى صِرتَ فَحما[2]

فالشاعر قصد النّيل من مهجوه ، فاكتفى بألفاظ قليلة توحي إلى تلك الفضيلة ، بغرض التهكم منه وإيذائه ، وهذا ما رمى إليه في البيتين دون أن يكون هناك مجال للزيادة .

وربما لجأ بعض الشعراء في مقطوعاتهم الهجائية ، إلى إيصال رسالة من خلال نقدهم الاجتماعي ، لبعض المتنفذين في السلطة ، وكشف تصرفاتهم ، وفضحها أمام النّاس بصورة موجزة ، ويمكن أن نلحظ ذلك في قول ابن المسجف يهجو والي دمشق في أسلوب ساخر ،

---

[1] - **نقد الشعر** 115 .
[2] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 29/1 .

يظهـر فـساده ، وفـساد حاشـيته ، وكـان قـد لقـب بـالغُرْز ، فيقـول فيه : " الرمل "

مـا خَليـلٌ يخَليـلٍ لا ولا صـحبه أهـلٌ صـلاحٍ بـل فَـسادِ
لقّبـوه الغَـرز لا جهـلاً بـه صـدقُوا لكنّـه غَـرز[1] جـرادِ[2]

فالـشاعر نفـى الـصلاح عـن الـوالي وصـحبه ، ونـزع إلـى الـصنعة البديعيـة لإيـصال رسـالته ، فـراوح بـين الجنـاس والطبـاق لإظهـار أفعالـه ، فهـو غـرز لا فـي الخيـر وإنمـا غـرز للـشر كـالجرادة تغـرز ذنبهـا فـي الأرض لتبيض فتتكـاثر ثـم تأكـل الأخـضر واليـابس ، وهـذا حـال الـوالي فـي ولايته .

ومـن أمثلـة الإيجـاز فـي المقطوعـات الهجائيـة - كـذلك – قـول أبـي الغمر الإسناوي في أحدهم : " المتقارب "

عـدا طَـوره حمقَـاً وادعـى فَخـاراً وقَـد جحدتْـه المعـالي
وقَـالَ أنـا مَـبلَغُ الفَرقَـدين[3] فَقُلْـتُ بلـى بقُـرونِ طِـوال[4]

فالـشاعر أزرى بمهجـوه ، ونفـى عنـه ادعـاءه المعـالي ، بـل جعـل حمقه يوصله إلى مرتبة الحيوانات ذوات القرون .

وقـد تعتمـد المقطوعـة الهجائيـة علـى التكثيـف الـذي أسـماه النـواجي بالاكتفـاء، وعرفـه ابـن حجـة الحمـوي بقولـه : " أن يـأتي الـشاعر ببيـت مـن

---

1 - غَرْز : الأولى لقب الوالي وتعني : كلّ ما سـمر فـي شـيء أمـا غـرز الجـراد : ذنبـه فـي الأرض إذا أراد أن يبيض . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (غَرز) .

2 - ابن شاكر الكتبي ، **فوات الوفيات** 286/2 .

3 - الفرقدان : نجمان في السماء لا يغربان ولكنهما يطوفان بالجـدي ، وقيـل همـا كوكبـان قريبـان من القطب . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (فَرْقَد) .

4 - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 161/2 .

الشعر وقافيته متعلقـة بمحـذوف ، فلـم يفتقـر إلـى ذكـر المحـذوف لدلالـة بـاقي لفـظ البيـت عليـه ، ويكتفـي بمـا هـو معلـوم فـي الـذهن فيمـا يقتـضي تمـام المعنـى "[1] والتعريـف يـشير إلـى أن الهجـاء لا يـتم الـسياق فـي مقطوعتـه وإنمـا يتـرك للقـارئ فرصـة إتمامـه لاعتقـاده أن تتمتـه موجـودة فـي ذهـن المتلقي ، ومـن الـشواهد علـى تلـك الظـاهرة قـول ابـن الـساعاتي حـين هجـا ابن سناء الملك ، قوله : " المتقارب "

أَتُـشمتُ بـي غَائِبـاً يـا سـعيد — أمـا لـو حـضرتَ لأدبـتُ جِنـك...
ولـستُ أَقـولُ هجـاء يـشين — ويكْفِيـك عِلمـك يـا مجـد أنّـك...[2]

وهنـاك مقطوعـة لابـن المهنـا كتبهـا إلـى قاضـي حلـب ، يـشكو فيهـا نائبــة وكاتبــه ، وتقتــرب فــي بنائهــا مــن المقطوعــة الــسابقة ، إذ يقــول فيها : " السريع "

لا عجـب أَن خَـرب الـشام أو — أَقْـوتْ مغَانيـهِ ولا غَـرو...
قـد أصـبح المجـد بـهِ حاكمـاً — وأصـبح المنْـشِي لـه صِنْـو...
مـولاي ، محـي الـدين ، غيرهمـا — عنّـا فتحـوى شُـكرنا أو...[3]

ولعــل القــارئ لهــاتين المقطــوعتين يحــس بالاكتفــاء بمــا ذكــر ولا يطلب إكمـال الـسياق لفهـم دلالتهـا علـى المعنـى مـن ناحيـة ، وربمـا يـشعر المتلقي باللهفة إلى المزيـد مـن أصـحابها ، ومـع ذلـك تبقـى لهـا آثـار إيجابيـة في نفس المتلقي .

---

[1] - **الشفاء في بديع الاكتفاء** 97 ، **خزانة الأدب**1 /282.
[2] - **الديوان** : 13/2 .
[3] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** 98/2 .

ومع أن الهجاء زمن الزنكيين والأيوبيين اتخذ شكل مقطوعات قصيرة في غالبيته – كما ذُكر سابقاً – إلا أن النظم في هذا الغرض لم يخل من القصائد الطويلة ، لكن عددها قليل إذا ما قورن بما نظم فيه من مقطوعات قصيرة ، وعند النظر في بنائها يلمح فيها ظاهرتان : الأولى تخلصها من قيود القصيدة العربية القديمة التي يتشكل هيكلها من مطلع ومقدمة ومدخل وخاتمة ، وثانيهما تركيزها على فكرة واحدة وموضوع واحد ، وتلك خاصية تتقاطع فيها مع المقطوعات القصيرة ، غير أنها تزيد عليها بكثرة تفصيلاتها في استقصاء المعنى ، وهو السبيل الذي رمى من ورائه الشاعر بلوغ مقصده ، وإشفاء غليله من مهجوه .

ومن القصائد الطويلة التي تمثل هذا الاتجاه قصيدة ابن منير في هجاء القاضي الأغر " محمد بن هبة ا " قاضي دمشق التي بلغ عدد أبياتها واحداً وستين بيتاً ومطلعها : " الخفيف "

لائمي قد سددتُ باب التعزي ... كل لومٍ في لوعتي غير مجز[1]

وهي قصيدة قائمة في بنيتها على رسالة اجتماعية ، يظهر فيها الشاعر ما كان ينعم به من يتولون مراكز السلطة من الثراء الفاحش ، وبين ما يعاني منه عامة الناس من فقر مدقع ، وسوء حال في عيشهم ، وهذه الحال دفعت الشاعر إلى مهاجمة من استعْدوا على قوت الشعب ، وأَثْروا على حسابه ممثلين بذلك القاضي ، غير أن الشاعر اتكأ في نقده

[1] - **الديوان** : 192 .

على أسلوب مليء بالقذف والسباب ، واستخدام كلمات بذيئة وفاحشة في وصفه ، دفعت كثيراً من المؤرخين والأدباء للإعراض عن ذكر أبياتها ، فيما ذهب محقق الديوان عبد السلام تدمري إلى القول : " أستغفر ا على كتابتها وسامح ا ابن منير "[1] .

وقد استطاع ابن منير في أسلوبه القصصي أن يحافظ على وحدة القصيدة وموضوعها رغم فحش مفرداتها ، إذ بدأها بحكاية واصفاً حاله وموكب القاضي حين أقبل عليه ، بقوله : " الخفيف "

كُنْتُ يوماً في بابِ جيرون أتْلو آيةَ الدين عِنْد بياعِ خُبز
فإذا وقّع بغْلةٍ وغلامٍ يفرج الناس بين دفْعٍ ولهز
وعليها فتى ضئيلُ المحيا مكثر من ملونات وطرز
قُلتُ: من ذا ؟ فقيلَ قاضٍ جليلٌ لفبوه في بيتِه بالأعز
وهو يأوي إلى ذكاءٍ وفضلٍ قلت : يا نفسَ قد ظفِرتُ بكنْز[2]

ثم يستمر الشاعر في حكايته بهجاء مسف إلى الحد الذي يتجرأ فيه على وصمه بالفسق والعهر ، دون أن يكون عنده رادع أو وازع ديني يمنعه من هذا الفحش الصريح في نظمه ، ويواصل هجومه العنيف عليه، لكنه يعدل من فحشه الصريح إلى أسلوب الرمز والإيحاء ،

---

[1] - **الديوان** : 19 .
[2] - **الديوان** : 192 .

فنـراه يـنظم أبياتـاً علـى لـسان القاضـي مخاطبـاً بهـا نفـسه ، فيقول : " الخفيف "

قُلـتُ يـا سـيدي أنـا لـك كالكلْـ ـــر زمــامي طــوع لــديك وغَــرزي
كيف صـرفْتني انْـسلاْتُ فـلا تخْـ ـــشَ جِمــامي ولا تُــؤْثر قَــزي
فمــضى يومنـــا قــصيراً بــضم والتـــزامٍ وقـــرص جِلــدٍ ونَقْــز
وجــرى بيننَــا اجتمــاع مِــراراً فَمهــن طــوراً وطــوراً معــزي
أتُــرى يــسمح الزمــان لنَــا يــو مــاً فَنُــشفي مــن الفِــراق ونَجــزي[1]

والقـصيدة رغـم مـا تحملـه أبياتهـا مـن القـذف والـسباب والرمـي بـالفحش ، فقـد حملـت عناصـر جيـدة فـي الـنظم ، وتبـدى ذلـك مـن خـلال الطرافــة فــي الحكايــة ، والــسخرية اللفظيــة المتأتيــة مــن الأســلوب القصصي ، مما جعلهـا أشـد إيلامـاً وهـذا مـا سـعى إليـه الـشاعر ، كمـا دلـل تسلـسل الحكايـة بأسـلوبها التقريـري والرمـزي علـى مهـارة فـي الـصياغة ، و عـزز ذلـك سـعة خيـال الـشاعر فـي تـصوير الأحـداث ، وتلـك الأسـاليب أبعدت عن القصيدة ، وعن متلقيها بعض الرتابة التي تعكس طولها .

ولابن منير قـصيدة أخـرى فـي القاضـي نفـسه بلـغ عـدد أبياتهـا اثنـين وثلاثـين و مئـة بيـت ، عـرض بعـض أجزائهـا أثنـاء الدراسـة وآثرنـا عـدم ذكرها منعاً للتكرار .

وخلاصــة القــول إن بنيــة القــصيدة الهجائيــة زمــن الــزنكيين والأيــوبيين جــاءت علــى صــورتين : المقطوعــات القــصيرة وهــي الغالبــة

---

[1] - **الديوان** : 194 .

على هجاء الشعراء ، والقصيدة الطويلة وهي قليلة ، وعند عدد محدود من الشعراء أمثال ابن عنين وابن منير والقاضي الفاضل في الاتجاهين الشخصي والاجتماعي . أما الهجاء السياسي فقد ورد في ثنايا أغراض عدة كقصائد المديح ، والدعوة إلى الجهاد ، والتعريض بالعدو ، والإشادة بالقادة المسلمين ممن تصدوا للحملات الصليبية ، ولم أعثر سوى على قصيدة واحدة تُعرض بالصليبيين لفتيان الشاغوري لا تتعدى حدود السب والكلام الفاحش ، وما عداها من تلك الأشعار تركت دراستها ، إذ لا يعقل دراستها مستقلة ومنفصلة عن بقية أجزاء القصائد المأخوذة منها من ناحية ، كما أن هناك عدداً من الدارسين قد تناولها بالبحث والدراسة أمثال الدكتور عبد الجليل عبد المهدي في كتابه " بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية .

المبحث الثاني : الأسلوب واللغة :

يـراد بالأسـلوب طريقـة التعبيـر التـي تخيرهـا الـشاعر ، لتـصوير عواطفـه وأحاسيـسه ، وانتقـاء مـا يناسـبها مـن ألفـاظ وعبـارات كـي تـؤدي معانيـه ، وقـد عرفـه الجرجـاني بأنـه " الـضرب مـن الـنظم والطريقـة فيـه "[1] وقيـل عنـه : " إن الأسـلوب هـو الرجـل "[2] فالأسـلوب طريقـة الأديـب الخاصة فـي التعبيـر عـن فكرتـه الشخـصية بمـا لا يمكـن تـشكيلها فـي قالـب أُسـلوب أديـب آخـر ، وحـدد نقـاد القـرن الخـامس الهجـري جـودة الأسـلوب فـي وضـوحه " لأن الكـلام الـذي يعجـز عـن أداء معنـاه فـي وضـوح ، لا يحقق الهدف منه "[3] .

وتتفـاوت الأسـاليب بـين غـرض شـعري وآخـر ، كمـا تتبـاين لغتهـا ، فالأسلوب الـذي يناسـب الرثاء،ومـا يتطلبـه مـن ألفـاظ شـاجية ومعـان مُبكيـة ، هـو غيـر الأسـلوب الـذي يناسـب المـدح والفخـر ، ومـا يتطلبـه مـن قـوة وجزالـة ، وكـذلك الغـزل الـذي يتطلـب الرقـة واللطافـة ، وينطبـق الاخـتلاف على بقيـة أغـراض الـشعر الأخـرى . أمـا الهجـاء زمـن الـزنكيين والأيـوبيين فقـد مـال – فـي غالبيتـه – إلـى الأسـلوب الـشعبي الـذي يتناسـب وطبيعـة العـصر ، فمعظـم شـعرائه مـن عامـة النـاس ، وأشـعارهم تتوجـه إلـى عامـة النـاس ، لنقـد أوضـاعهم الاجتماعيـة تـارة، والتنـدر والـسخرية تـارة أخـرى ، لـذا جـاءت أشـعارهم مـن لغـة النـاس الدارجـة والمحكيـة علـى ألـسنتهم ،

---

[1] - **دلائل الإعجاز** 361 .

[2] - الشايب ، أحمد ، **أصول النقد الأدبي** 258 .

[3] - عبد الرحمن ، منصور ، **اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري** 190 .

وتميزت بالبساطة والسهولة والوضوح ، وخلت من التعقيد والتكلف ، لكي يحقق الشاعر هدفه من الهجاء ، ويسهل على الناس حفظه ، وعلوقه في الأذهان ، وتزيد من قوة تأثيره في المهجو ، ونلمح ذلك في كثير من النصوص التي عرضت في صفحات الدراسة السابقة .

واستخدم الشعراء تلك الأساليب الشعبية ، ونزعوا إلى تلك الألفاظ العامية ، بهدف الإثارة والشيوع ، رغم ما تحمله من عبارات جارحة ، وأفكار سطحية ، عبر فيها الهجاء عن مشاعره وخطرات نفسه ، وأبدى فيها تفاعله مع الناس ، ومن الشواهد على تلك الأساليب الشعبية قول عرقلة الكلبي يهجو وحيشاً[1] الشاعر : " الرجز "

لا بـارك اللهُ فـي وحـيش فإنـه مكـدر للعـيش

كـم قـالَ ، لا قُلِفَ غيـر نَايِـه أبيـاتَ شـعرٍ كبيـوتِ الخَـيش[2]

وتكثر مثل تلك الأساليب الشعبية في شعر عرقلة ، حتى بدت لغة شعره قريبة من الألفاظ التي يستعملها عامة الناس في عصره ، وقد وصف العماد الأصفهاني أشعاره ، بأنها " كلها نوادر وكلام مضحك "[3] فأكثر من استخدام الكلمات العامية التي ترد على ألسنة الناس فأفقدها سماتها الفنية ، ومنها قوله : " الطويل "

يقولون : لِم أرخَصتَ شِعرك في الورى فَقُلْتُ لهم إذ ماتَ أهلُ المكارمِ

---

[1] - وحيش : هو أبو الوحش سبع بن خلف بن محمد بن عبد الله الأسدي الفقعسي ، ولد سنة 504 هـ ، قال عنه الأصفهاني " لقيته بدمشق شيخاً مطبوعاً ومدحني بقصائد " . ينظر : العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** 242/1 – 246 .

[2] - **الديوان** : 56 .

[3] - **الخريدة** (قسم شعراء الشام) 183/1 .

أجازى علـى الـشعر الـشعير وإنـه   كثيـ ـر إذا استخلـ ـصتَه مِـ ـن بهـ ـائم[1]

أمـا ابـن عنـين فـلا يبـارى فـي ميلـه إلـى تلـك التراكيـب والألفـاظ العاميـة الـشائعة ، إذ يحتـاج إلـى بحـث مـستقل لتتبـع تلـك الظـاهرة فـي هجائـه ، فكثيـراً مـا اسـتخدم عبـارات تخـدش الحيـاء قـصد مـن ورائهـا السخرية بمهجوه ، كما يقول في القاضي الفاضل :   " الكامل "

كـم ذا التبظْـرم زائِـداً عـن حـده   مـا كـان قبلَـك هكـذا الحـدبان

أظهرتَ فَـضلَ تُقًـى وفَـضلَ تَعفـفٍ   وا يعلـــم أنـــه بهتـــان

ما طالَ فـي اللّيـل البهـيم سـجوده   إلا ليركَـــع فَوقَـــه الـــسودان[2]

ومـا أكثـر المواضـع التـي اسـتعمل فيهـا ابـن عنـين الألفـاظ العاميـة فـي هجائـه،كما فـي قولنـا لا يـنجح فـي أي عمـل يؤديـه " هـو عمـره مـا بفلـح " ،وفـي ذلـك المعنـى يقـول ابـن عنـين فـي والـدة أحـد المهجوين: " مجزوء الرجز "

هـــذا ابـــن هـــارون الّـــذي   فـــــي عـــــصرنا لا يفْلِـــــح

تبيـــــع مِـــــسكاً أذْفـــــراً[3] **   بيـــــع الحـــــراءِ أربـــــح**[4]

ولعـل الهجـائين وجـدوا فـي تلـك الألفـاظ والأسـاليب المحكيـة شـعبياً ضـالتهم فـي التـشهير بمهجـويهم وازدرائهـم ، ووصـفت تلـك الأسـاليب عنـد

---

[1] - **الديوان** : 94 .

[2] - **الديوان** : 188 – 189 .

[3] - أذفـراً : الأذفـر : كريـه الرائحـة أو طيبهـا . ينظـر : ابـن منظـور ، **لـسان العـرب** ، مادة (ذَفَر) .

[4] - **الديوان** : 229 – 230 .

النقـاد المحـدثين " بأنهـا أروج اسـتخداماً فـي شـؤون الحيـاة اليوميـة ، ولهـا مـن هـذه الناحيـة حيويتهـا الخاصـة الموضـعية فـي التـصوير ، ولهـا قـرائن اسـتعمال فـي الـشؤون العاديـة المكـررة تكـسبها أنواعـاً مـن الـدلالات الواقعية التي قـد تُقـصر عنهـا لغـة العلـم والأدب[1] ، ومـن شـواهدها كـذلك مـا جاء علـى لـسان ابـن دنينيـر يهجـو قاضـياً ، ويـسخر مـن أنفـه بلغـة عاميـة دارجة ، إذ يقول : " الطويل "

وكُنـا عملْنـا للمظَفـر دعـوةً ليحـضر فيهـا عِنْـدنا يـوم الاثنـين

فجـاء ولكنـي رأيـت عجيبـةً أتـى أنفـه مـن قبـل ذاك بيـومين[2]

وتتكـرر علـى ألـسنتهم لغـة الـشتائم الدارجـة علـى ألـسنة النـاس مـن العامة ، كما في قول ابن المسجف يهجو جماعة من دمشق : " الخفيف "

خَمـس تيجـانٍ لا يـساوون نَعـلاً رثّ فـي قِيمـةٍ ولا مِقْـدار

الـشحيرير والأعيـور والقَـصْـار وابـن المِـصري وابـن الحـوار[3]

ومثلها قول ابن عنين في نعت مهجوه بابن الدجاجة : " البسيط "

يا ابن الدجاجةِ كُل النـاس كـان لهـم دِيكـاً فأنْـتَ ابـن مـن حتـى أناديكـا؟[4]

أمـا فتيـان الـشاغوري فيكثـر مـن الألفـاظ العاميـة الجارحـة ، وتـشيع علـى ألـسنة العامـة ، مثـل ، التيـوس ، الزبـال والمزابـل .... ، كقولـه فـي قوم يهجوهم : " الطويل "

لـئن عـز أقـوام وكـانوا أذِلـةً وصـار لهـم مِـن بعـدِ فَقْـرهم مـالُ

---

[1] - هلال ، محمد غنمي ، **النقد الأدبي الحديث** 670 .

[2] - **الديوان** : 577 .

[3] - ابن شاكر الكتبي ، **فوات الوفيات** 286/2 .

[4] - **الديوان** : 201 .

فمـا ذاك بِـدعاً فـي دِمـشْقَ لأنّهـا   تَملكهـا فـي سـالفِ الـدهر زبـالُ[1]

ومـن الأسـاليب التـي طرقهـا الهجـاؤون فـي نظمهـم الميـل نحـو النكتة الهجائيـة ، بـروح خفيفـة وطريقـة سـاخرة ، ترسـم علـى شـفاه المتلقـين الابتسامة ، كقول عرقلة الكلبي يهجو شخصاً :   " المتقارب "

وعِلْـــقٍ تَعلّقتُـــه بعـــدما   غـدا منْـه كـل جديـدٍ خليعـا
لـه ضـيعةٌ كلّمـا أمحلَـتْ   يعـيشُ ، وإن أخـصبتْ مـات جوعـا[2]

وكذلك ما فعلـه ابـن المـسجف حـين سـخر مـن نفـسه ومـن أصـدقائه، بأسلوب هازئ يميل إلـى النكتـة، إذ يقـول سـاخراً مـن صـديق لـه يلقـب بـدر الدين، ومن نفسه :   " البسيط "

قـالوا تَلقّـب بـدر الـدين مفتخـراً   نجـلُ الجنـوبي مـن قـد زيـن الأمنـا
فقُلـتُ : لا تَعجبـوا منـه فـذا لقـب   وفْقٌ علـى كـل نَحـس ، والـدليلُ أَنَـا[3]

ومـن الـسمات الأسـلوبية البـارزة خـلال هـذه الفتـرة ميْـل الهجـائين فـي الـنظم الـشعبي علـى الأوزان المجـزوءة والقـصيرة ، لتكـون خفيفـة سـهلة الحفـظ ، وسـريعة الانتـشار علـى الألـسنة فـي الأوسـاط الـشعبية ، والـشواهد الـشعرية علـى ذلـك كثيـرة مـن مثـل قـول ابـن قلاقـس يـذم مغنيـاً لـسوء صوته :   " مجزوء الرجز "

غنّـــى فكـــل حاضـــرٍ   إصـــبعه فـــي أُذُنِـــه
شِـــعراً كبـــردٍ فكـــهِ   لفظـــاً وطـــول قرنِـــه

---

1 - **الديوان** : 362 .
2 - **الديوان** : 60 .
3 - ابن شاكر الكتبي ، **فوات الوفيات** 284/2 .

فالحمـد ـِ الـذي غنّـى والـم يثْنـه[1]

وقـول ابـن المجـاور يهجـو خطيبـاً يـدعى الجاموس : " مجزوء الرمل " :

قُلْـتُ والجـاموس يلْقِـي درسـه مـن غَيـر لَـبس
ويـك ذا جـاموس درس لـيس ذا جـاموس درس[2]

ومثله مـا قالـه ابـن قـادوس يـشبه منافقـاً بالمـاء ، وهـي صـفةٌ كثـر ترددها على ألسنة شعراء العصر ، وفيها يقول : " مجزوء الرمل "

حولَـه اليـوم أُنَـاس كُلهـم يزهـي بِرائِـه
وهـو مثـلُ المـاءِ فـيهم لَونُـه لَـون إِنائِـه[3]

ولعـلّ ميـل الـشعراء فـي أسـاليبهم الـشعبية ونظمهـا علـى الأوزان المجـزوءة والخفيفـة سـاعد علـى سـرعة انتـشارها ، و علوقهـا فـي الأذهـان، ومنحها طرافـة الأسـلوب وبـساطة التعبيـر ، ولهـا نمـاذج يمكـن العـودة إليهـا في هذه الدراسة .

ومـن الـسمات الأسـلوبية لـشعر الهجـاء جنـوح الـشعراء فـي نظمهـم ، واقتـرابهم مـن الـصيغ النثريـة المحكيـة ، فبـدت بعـض أشـعارهم أقـرب إلـى النثر منها إلـى الـشعر ، إذ لا يميـز بينهمـا سـوى الـوزن ، فهـو يـشبه حـواراً

---

[1] - **الديوان** : 166 .

[2] - الـصفدي ، **الـوافي بالوفيـات** 28/2 . وجـاموس درس : الأولـى الدراسـة للقـش ، والثانيـة المعلم . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (درس) .

[3] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة** (قسم شعراء مصر) 233/1 .

عامياً بين أشخاصـاً عـاديين ، ومـن شـواهده قـول ابـن الـساعاتي يهجـو رجـلاً يدعى صالحاً : " الطويل "

أسـائلتي عـن صـالحٍ إن صـالحاً وإن نـالَ حظّـاً هـو ن علـى وتقـدمِ
لـه إفْـك مـداحٍ وأُبنَـة[1] كاتـبٍ وكُديـة[2] صـوفي ، وعقْـلُ معلّـمِ[3]

وطُبِعـتْ أسـاليب الهجـاء خـلال هـذه الفتـرة بالـسخرية والـتهكم والعبـث بـالمهجوين، وإن غابـت دوافعـه ، لأن الـشاعر كـان يهجـو تطرفـاً وتعابثاً ، ويظهـر ذلـك جليـاً فـي أشـعارهم ، كمـا هـو الحـال فـي قـول ابـن عنين : " البسيط "

وما هجوتُ ابن عـصرون[4] أروم لـه فَـضلاً ولا نِلْـتُ مـن فَخْـرٍ ولا شَـرفِ
لكـن أُجـرب فيـه خـاطري عبثَـاً كما تُجـرب بـيض الهنـدِ فـي الجِيـفِ[5]

وثمةُ ظـاهرة بـارزة فـي شـعر الهجـاء تـسترعي انتبـاه الـدارس لهـا ، وهي ميـل أسـاليبهم الهجائيـة إلـى الـسهولة المتناهيـة ، سـواء أكـان ذلـك فـي ألفاظها أم فـي وضـوح معانيهـا وقُربهـا مـن المتلقـي ، وتحررهـا مـن الـصنعة المتكلفـة ، لأن غمـوض الأسـلوب وصـعوبة الألفـاظ " تجعـل الـسامع يحتـاج

---

1 - الأبنة : العيب في الكلام . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (أَبِن)
2 - الكدية : الغلظة والشدة . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب**، مادة (كدا) .
3 - **الديوان** : 10/2 .
4 - ابن عصرون : هو القاضي شرف الدين أبو طالـب عبـد ا بـن عبـد الـرحمن بـن الزكـي ، تولى قضاء دمشق نيابة عن ابن عمه الزكي ، وكـان فقيهـاً نزهـاً لطيفـاً عفيفـاً ، تـوفي سـنة 615 هـ . ينظر : أبو شـامة المقدسـي ، **ذيـل الروضـتين** 167/5 ، ابـن العمـاد الحنبلـي ، **شذرات الذهب** 114/7 .
5 - **الديوان** : 192 .

إلى وقت وجهد للوصول إلى غرض الشاعر ، وتضيع على الهاجي غرضه من الهجاء "[1] .

والنماذج الجيدة كثيرة في هذه الدراسة ، ويضاف إليها أبيات لأسامة بن منقذ يرسم فيها صورة لمنافق ، إذ يقول : " الكامل "

ومماذقٍ رجع النداءِ جوابه فإذا عرا خَطْبٌ فأبعد من دعي
مِثْلَ الصدى ، يخْفَى علي مكانُه أبداً ، ويملأ بالإجابةِ مسمعي[2]

ورغم ذلك فقد نزع الشعراء في أساليبهم إلى لغة السباب المحضة ، والألفاظ الفاحشة النابية التي تصم الآذان عند سماعها ، وتتقزز النفس من صراحة فحشها ، مما أفقدها قيمتها الفنية ، وجعلتها تعكس صورة سلبية عن اتجاه الهجاء في تلك الفترة الزمنية ، ومن شواهدها قول ابن سناء الملك يهجو رجلاً يدعى الرضي ، وليس له من نظمه فيه سوى إقامة الوزن لما يحمله من فحش ، إذ يقول فيه : " المتقارب "

رأَيتُ الرضي وما نالَه وما سأب الدهر من مهجته
غدا خَارجياً على قومِه فما وفقَ العِلْقُ في خَرجتِه
فكان يقود على نَفْسِه فصار يقُود على زوجتِه
وكيفَ يغار على عِرسِه فتى لا يغار على مهجتِه
ولا بأس بالتيس إن يستعِر قُروناً على الرأس من نعجتِه[3]

---

[1] - بدوى ، أحمد ، **أسس النقد الأدبي عند العرب** 256 .
[2] - **الديوان** : 253 .
[3] - **الديوان** : 473/2 .

ومثالــه قــول ابــن دنينيــر يهجــو والــي دمــشق " المعتمــد شــحنة " بصفات مبتذلة وتعرض للمحارم ، فيقول : " البسيط "

إن العــواني إبــراهيم ، دِرهمـــه وزاده للـــورى مـــن دونهـــا حـــرم
فإن أتى الضيفُ يومـاً نحـو منزلـهِ أحالــه الرحــب منــه والقِــرى الحــرم[1]

ومـــن الظـــواهر اللغويـــة التـــي بـــرزت فـــي هجـــاء الـــزنكيين والأيــوبيين ، مـــا عـــرفَ بالــضرائر أو الـــضرورات الـــشعرية التـــي أجـــاد الشعراء اســتخدامها ومنهـا : صـرفُ الممنـوع مـن الـصرف ، كمـا فـي قـول ابن عنين : " الكامل "

بقلائِـــدٍ مـــا أُنْــشِدتْ فــي محفَــلٍ إلا وكانـــــتْ عقلـــــةَ المـــــستَعجل[2]

فالشاعر صرف " قلائد " وهي ممنوعة من الصرف .

وقول ابن منير الطرابلسي : " الخفيف "

أحمقٌ لـو يقـالُ فـي بلـدِ الـصيـ ـــن طِــراز أمــسى بِــأرض اليمامــه[3]

فابن منير صرف كلمة " أحمق " وهي ممنوعة من الصرف .

ومن تلـك الـضرائر كـذلك وصـلُ همـزة القطـع ، كمـا فـي قـول ابـن دنينير : " الكامل "

قلْـــو ان رجليـــهِ بخِفـــةِ رأسِـــهِ لغَـــدا يفُـــوقُ نَـــواظِر الأحـــداق[4]

فالشاعر وصل الهمزة رغم كونها همزة قطع في " قلْو ان " .

---

[1] - **الديوان** : 607 .
[2] - **الديوان** : 231 .
[3] - **الديوان** : 108 .
[4] - **الديوان** 516 .

وقول ابن قلاقس السكندري :   " المتقارب "

ألا اقْبِح بِدهلك مِن بلْدةٍ   فكُل امرئٍ حلها هالِك[1]

فالشاعر وصل همزة القطع في كلمة " أقبح " .

ومثل تلك الضرائر كثير في شعر هذه الفترة ، يستطيع القارئ أن يلحظها من خلال تلك النماذج المعروضة .

وإذا كانت غالبية أساليب الهجاء الشعبية أساليب مطبوعة غير متكلفة ، فإن بعض نماذجه لا تخلو من التصنّع والتكلّف ، فقد توسل الشعراء ببعض ألوان البديع في معرض ذمهم وازدرائهم بمهجويهم ، ومن تلك الألوان المجانسة اللفظية أو ما سماه أبو هلال العسكري وابن الأثير بالتجنيس ، ومعناه " أن يورد المتكلم - في الكلام القصير نحو البيت من الشعر ، والجزء من الرسالة أو الخطبة – كلمتين تجانس كل واحدة منها صاحبتها في تأليف حروفها "[2] ومن شواهد تلك المجانسة قول ابن عنين يهجو شخصاً ، وقد استغل اسمه لإقامة تلك المجانسة زراية له واستصغاراً به ، فيقول :   " الوافر "

وقالوا أسعد بن الياس أضحى   رئيساً لا تحوته يد السعودِ

ولا أهجو الوجود وقد حواه   فإن وجوده هجو الوجودِ[3]

---

[1] - **الديوان** : 489 .

[2] - **الصناعتين** 330 ، **المثل السائر** 246/1 .

[3] - **الديوان** : 193 .

وقريب من تلك المجانسة القائمة على التصنع ، قول ابن قادوس يهجو شخصاً يسمى ابن العلاني ، إذ يقول فيه : " السريع "

هذا ابن علاّنيكم ، شِعره ينُوب في الصيف عن الخَيش
إن لم يكن مثلَ امرئ القيس في أشعاره فهو امرؤُ القَيش[1]

وهناك من أجهد عقله في التصنع إلى درجة الوصول في نظمه الجدة والطرافة ، كما في قول القاضي الفاضل يهجو طبيباً كحالاً : " الكامل "

عادى بني العباس حتى إنّه خَلَعَ السواد من العيون بِكَحْلِهِ[2]

ومن صور المجانسة المتصنعة ، ما ورد في قول الشاغوري يهجو فقيهاً يعرف بابن جاموس ، فيقول : " الكامل "

فلعل برج الثّور يثْني قرنَه عن نَطْحِ برج الثور[3] فهو على وجَلْ[4]

ورغم سهولة وبساطة لغة الهجاء ، واقتراب أساليبها من لغة العامة ومعانيهم المتداولة في حياتهم اليومية ، فإن ذلك لم يمنع الهجائين من الانفتاح على تراث الأمة وثقافتها المتنوعة ، وتوظيف ما لديهم من معارف في تصوير مهجويهم ، فاستوحوا من نصوص القرآن ومعانيه ما يخدم دوافعهم الهجائية ، ولعل ذلك التأثر بنصوص القرآن ناجم عن

[1] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 231/1 .
[2] - **الديوان** : 429/2 .
[3] - برج الثور : الذي يبنى على برج المدينة ، وبرج الثور ، برج الثور المعروف في الفلك .
[4] - **الديوان** : 361 .

الصراع المتمثـل فـي الحمـلات الـصليبية علـى المـشرق الإسـلامي إبـان تلـك الفتـرة ، ومـن الـشواهد التـي تـدلل علـى توظيـف الـشعراء لنـصوص القـرآن والاقتبـاس منهـا بطريقـة مباشـرة ، مـا ورد فـي قـول الـشلعلع يهجـو رجـلاً يدعى ابن الدباغ ، إذ يقول ساخراً منه : " الطويل "

تَعالتْ قرون ابـن الـدباغ فأصـبحتْ تُجِل عـن التحديـدِ فـي اللفـظِ والمعنـى
علـى بعـضها نـاجى النّبـي إلهـه وقد كـان منـه قـاب قَوسـين أو أدنـى[1]

فالـشطر الثـاني مـن البيـت الثـاني هـو اقتبـاس مـن قولـه تعـالى **فكان قاب قوسين أو أدنى** [2] .

فالشاعر نقـل دلالـة الآيـة القرآنيـة إلـى مقـام آخـر تحقـق لـه الهـدف من اقتباسها المتمثل في السخرية من مهجوه وإيلامه .

ومثلها قـول ابـن عنـين فـي هجـاء المرتـضى بـن عـساكر والـسخرية من لحيته ، إذ يقول فيه : " الطويل "

إلى لِحيةِ المـرء اللّعـين ارتَقَـتْ يـد لهـا فـي صعـود الحادثـات سـعود
وقد أصبحتْ مِثْلَ القُرى الـلاءِ أهلَكَـتْ قَـديماً فَمِنْهـا قـائم وحـصيد[3]

فالشاعر هنا يـشير إلـى قولـه تعـالى **ذلـك مـن أنبـاء القـرى نقـصه عليك منها قائم وحصيد** [4] .

---

[1] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 124/2 .
[2] - **النجم:** 9 .
[3] - **الديوان** : 198-199 .
[4] - **هود:** 100 .

وقـد يتـصرف الـشاعر فـي لفـظ الآيـة الكريمـة ، إمـا تقـديماً أو تـأخيراً ، ولعـل هـذا الأسـلوب أكثـر الأسـاليب شـيوعاً ، كمـا فـي قـول ابـن الساعاتي يهجو رجلاً سارقاً ، فيقول : " البسيط "

هـو الأمـين فـلا تُخْـشَى أنَامِلُـه إلا علـى الفِـضةِ البيـضاءِ والـذَّهبِ
تبـتْ يـداه فكَـم فـي كـل جارحـةٍ مِنْـه وإن عـد فـرداً مـن أبـي لهـبِ[1]

ففـي البيـت الثـاني اقتبـاس واضـح مـع بعـض التـصرف مـن قولـه تعالى **تَبت يدا أبي لهب وتب** [2].

ومثلهـا قـول الزكـي القوصـي يعـرض بـوالي مـصر بعـد أن طـرده من مصر إلى الشام ، فيقول : " الكامل "

لا تَحـسبِ الهيتـي يفْلِـح بعـدها ونُحوسـه يتبعنَـه أَنّـى سـلك
قَـد غُلقَـتْ أبـواب مِـصر دونَـه بغـضاً لِطَلْعتِـهِ وقالَـتْ هيـتَ لَـك[3]

فالشاعر اقتـبس معنـاه مـع تغييـر بـسيط مـن قولـه تعـالى عـن خبـر قصة يوسف عليه الـسلام مـع امـرأة العزيـز **وراودتـه التـي هـو فـي بيتهـا عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك** [4].

وهنـاك مقطوعـات هجائيـة استـوحى الـشعراء أسـاليبهم فيهـا مـن قـصص الأنبيـاء ؛ بغـرض النيـل مـن خـصومهم والازدراء بهـم ، ووردت بطريقـة رمزيـة ، كقـول ابـن المـسجف حـين استـوحى قـصة يـونس عليـه السلام في هجوه ، إذ يقول : " الطويل "

---

[1] - **الديوان** : 154/2 .
[2] - **المسد:** 1 .
[3] - الكتبي ، **فوات الوفيات** 306/2 .
[4] - **يوسف:** 23 .

يقيسون يحيا بالفعال بيونُس وهذا على ضد القياس المؤسس
وكيف يصح الحكم والحوتُ تابع لِذاك ، وهذا بالع حوتَ يونُس[1]

وثمة قصص قرآنية كثيرة استوحى الشعراء منها معانيهم وألفاظهم ؛ للإيقاع بمهجويهم وإذلالهم كقصة هلاك ثمود[2] ، وقصة موسى عليه السلام مع عصاه[3] وقصة النساء اللائي قطعن أيديهن لجمال يوسف عليه السلام[4] وقصص كثيرة لا يتسع المقام لذكرها في هذه الدراسة .

وقد استوحى الهجاؤون مضامينهم وأساليبهم الهجائية من مصطلحات فقهية ونحْوية ، ووظفوها في أهاجيهم " واستعمال الشعراء لمثل هذه الألفاظ دليل ثقافتهم وانغماسهم في الحياة الفكرية والعقلية والعملية ، وهو بعد هذا إشارة إلى أن الهجائين أرادوا أن يستعملوا ألفاظاً بذواتها لا يعدلون عنها إلى غيرها ، لأنهم قدروا فيها التعبير الدقيق عما رغبوا في تناوله في هجائهم "[5] ، ومن الشواهد على توظيف الألفاظ النحوية في الهجاء ، قول ابن عنين يسخر من المؤيد حين سمع بعزله من وظيفته : " المتقارب "

---

1 - الكتبي ، **فوات الوفيات** 286/2 .
2 - ينظر: القاضي الفاضل ، **الديوان** : 239/2 .
3 - ينظر: ابن عنين ، **الديوان** : 217 – 240 .
4 - ينظر: عرقلة الكلبي ، **الديوان** : 87 .
5 - التميمي ، قحطان رشيد ، **اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري** 252 – 253 .

تَـشكى المؤيـد[1] مِـن صـرفِهِ وذَم الزمـان وأبـدى الـسقه

فقلـتُ لـه لا تَـذم الزمـان فَـتَظْلِم أيامـه المنْـصِفَه

ولا تَغـضبن إذا مـا صـرِفْتَ فـلا عـدلَ فيـك ولا معرفَـه[2]

فالـشاعر ربـط بـين الـصرف والعـزل ، وبـين الحـديث عـن المصروف ، والممنـوع منـه ، وهـو مـن أبـواب النحـو المعروفـة ، طالبـاً مـن مهجـوه ألا يجـزع علـى صـرْفه ؛ لأنـه لا عـدل فيـه ولا معرفـة ، والعـدل والمعرفة من أبواب النحو كذلك .

ومـن الـشواهد علـى استحـضار ألفـاظ الفقـه ومـصطلحاته فـي الهجـو، قوله في القاضي الفاضل مستخدماً المصطلح " قياس " : " المنسرح "

هـذا قِيـاس فِـي غيـر ميـدِنا يـصِح إن كـان يحبـلُ الرجـلُ[3]

ومـن الـسمات الأسـلوبية لـشعر الهجـاء توسـل الـشعراء فـي أهـاجيهم بالتوريـة وهـي " أن يـذكر المـتكلم لفظـاً مفـرداً لـه معنيـان حقيقيـان ، أو حقيقـة ومجـاز ، أحـدهما قريـب ودلالـة اللفـظ عليـه ظـاهرة ، والآخـر بعيـد ودلالة اللفظ عليـه خفيـة . فيريـد المـتكلم المعنـى البعيـد ويـوري عنـه بـالمعنى القريـب ، فيتـوهم الـسامع أول وهلـة ، أنـه يريـد القريـب ، ولـيس كـذلك "[4] ، وقـد تفـنن الـشعراء فـي اختيـار الألفـاظ المـوراة معتمـدين علـى بـراعتهم اللغويـة وثقـافتهم الواسـعة ، ثـم توظيفهـا بغـرض الـتهكم والـسخرية مـن

---

[1] - المؤيد : هو أسد بن المحسن ، وعرفَ بالمؤيـد الناسـخ ، وأحـد نـدماء الأفـضل بـن صـلاح الدين ، كان شيخاً ظريفاً ، كثير المحفـوظ للحكايـات والأشـعار . ينظـر : الـصفدي ، **الـوافي بالوفيات** 7/9 .

[2] - **الديوان** : 229 ، وللاستزادة ينظر : الشاغوري ، **الديوان** : 280 .

[3] - **الديوان**: 189 .

[4] - ابن حجة ، **خزانة الأدب** 184/3 .

مهجـويهم بـشكل فكـاهي وطريـف ، ومـن الـشواهد التـي تـدل علـى اسـتدعاء الـشعراء للمعـاني الطريفـة ، قـول الأسـعد بـن ممـاتي يـسخر مـن رجـل رآه بدمشق : " مجزوء الوافر "

حكَـــى نَهــرين مـــا فـــي الأر ض مـــــن يحكيهمـــــا أبـــــداً
حكَـــى فـــي خَلقِـــهِ ثَـــوراً وفـــــي أخلاقِـــــهِ بـــــردى[1]

فالــشاعر اســتخدم التوريــة فــي هــذه الفكاهــة فــي كلمتــي " ثــورا وبردى " وهماإسـما نهـرين فـي معناهمـا القريـب ، لكنـه قـصد معناهمـا البعيـد ليسخر مـن مهجـوه فـشبهه بـالثور فـي الخِلقـة ، وجعـل أخلاقـه تـشبه بـرودة ماء نهر بردى .

ومـن الـصور الطريفـة والـساخرة فـي توظيـف التوريـة لهـذه الغايـة ، قول ابن العصار : " السريع "

لا كــان يــوم قــد غــدا جامعــاً لـــي بأنـــاس مـــا لهـــم فائـــده
قـد قلـت إذا حـاموا علـى زادهـم قــد جــاءت الأنعــام والمائــده[2]

فاســتخدم الــشاعر التوريــة بــذكر ســورة الأنعــام ؛ ليــوري بهــا عــن هؤلاء البدو ، فهـم كالأنعـام ، ويـوري بـذكر سـورة المائـدة عـن المائـدة التـي يحومون حولها .

وقــد يوظــف الــشعراء الألفــاظ العاميــة للتوريــة ، لإيــلام مهجــويهم ، كما فعل فتيان الشاغوري حين هجا قوماً قائلاً : " الوافر "

وبـــين نُهيـــري الـــشّاغور قـــوم يـــرون القَحْـــر كَـــونَهم أُـــصوصا

---

[1] - ابن خلكان ، **وفيات الأعيان**1/210 .
[2] - ابن سعيد ، **المغرب** 277 .

فكلهـــم متـــى يظْفَـــر بـــشاةٍ   تحـــولَ شَـــوحةً[1] تَغْتَـــالُ صوصـــا[2]

فالتوريـة فـي كلمـة " صـوص " والمعنـى القريـب لهـا العـامي ، فـرخ الدجاج ، بينما المعنى الفصيح الذي قصده الشاعر هو الشخص اللئيم .

ومـن شـواهدها كـذلك قـول القاضـي الفاضـل يهجـو شخـصاً ظالمـاً ، فيقول : " الرجز "

أقلامـــه مـــن غِلْـــظٍ طاغيـــه   وهـــي بمـــا يجـــري الأســـى جاريـــه

ســـيهلك الكلـــب بهـــا عـــاجلا   ثمـــود قـــد تَهلـــك بالطاغيـــه[3]

وتوسـل الـشعراء بالتوريـة لنقـد الأوضـاع الاجتماعيـة ، كمـا فعـل ابـن عنـين فـي تـصوير الأوضـاع الاجتماعيـة فـي دمـشق ، ومـا آل إليـه وضـع النـاس مـن الحيـرة والاضـطراب ، بعـد انتقـال المدينـة مـن الملـك المعظم عيسى إلى الملك الأشرف موسى ، إذ يقول : " الطويل "

وكنـــا نُرجـــي بعـــد عيـــسى محمـــدا   لِينقِـــذَنا مـــن لاعـــجِ الـــضر والبلْـــوى[4]

فأوقعنـــا فـــي تِيـــهِ موســـى فكُلنـــا   حيـــارى ولا مـــن لديـــهِ ولا ســـلْوى[5]

فالنزوع إلـى التوريـة مـن الظـواهر الـشائعة فـي تلـك الفتـرة ، وتبـدى كثيـر منهـا مـن خـلال الدراسـة ، لتـدلل علـى سـعة القـاموس اللغـوي عنـد الشعراء ، ومصدر ثقافتهم الواسعة .

---

[1] - شوحة : طائر كبير مفترس كالباشق . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (شَيَح) .

[2] - **الديوان** : 253 – 254 .

[3] - **الديوان** : 439/2 .

[4] - لاعج : من لعج استحر في القلـب ، واللاعـج : المـؤلم والمحـرق . ينظـر : ابـن منظـور ، **لسان العرب** ، مادة (لعج) .

[5] - **الديوان** : 132 .

ومـن الملامـح الأسـلوبية للغـة الهجـاء خـلال هـذه الفتـرة توظيـف الـشعراء مـا يـسمى " بالتـضمين " ، ويعرفـه ابـن رشـيق القيروانـي بقولـه : " هو قصدك إلى البيـت مـن الـشعر أو القـسيم[1] فتـأتي بـه فـي آخـر شـعرك أو فـي وسـطه كالمتمثـل "[2] ، وتـدل هـذه الظـاهرة علـى اتـصال الـشعراء بموروثهم الأدبـي شـعراً أو نثـراً ، والاسـتفادة منـه فـي تحقيـق مقاصـدهم مـن نظـم الهجـاء ، فكثيـراً مـا يتطلـب الموقـف الاسـتعانة بـشعر الآخـرين ، وخاصـة إذا كانـت هنـاك رابطـة بـين مـا يعرضـه ومـا يتمثـل بـه شـكلاً ومعنى ، ومن شواهده قول ابن عنين هاجياً مدينة حلب : " الكامل "

وإذا علاهـا راكـب رقَـصتْ بِـهِ رقْـص القَلـوص براكـبٍ مـستَعجِلِ[3]

فالشطر الثاني تضمين من قول حسان بن ثابت : " الكامل "

و زجاجةٍ رقـصتْ بمـا فـي قعرهـا رقْـص القَلـوص براكـبٍ مـستَعجل[4]

ومـن أمثلتـه تـضمين الـشاغوري لـبعض شـعر المتنبـي فـي هجائـه لطبيب يدعى " نصر " ،إذ يقول : " البسيط "

" نَصر " طبيب ولكـن لـم يعـد أحـد إلا وسـاقَ إليـهِ طِبـه الأجـلا
فَظَـل ينْـشِد والأسـقام تَنَهبـه أحيـا وأيـسر مـا قاسـيتُ مـا قَـتَلا
كم قائـلٍ قـالَ : لـولاه لمـا وجـدتْ لهـا المنَايـا إلـى أرواحِنَـا سـبلا[5]

---

[1] - القسيم : الشطر من البيت . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (قسم) .
[2] - **العمدة** 84/2 .
[3] - **الديوان** : 230 .
[4] - **الديوان** : 124 .
[5] - **الديوان** : 585 .

فالشطر الثاني في البيت الثاني تضمين من قصيدة للمتنبي يقول فيها : " البسيط "

أَحيا وأيسر ما قاسيتُ ما قَتلا   والبين جار على ضعفي وما عدلا[1]

أما البيت الثالث فأكثره مأخوذ من القصيدة نفسها من بيته : " البسيط "

لولا مفارقةُ الأحبابِ ما وجدتْ   لها المنايا إلى أَرواحِنَا سبلا[2]

واتكأ الشعراء في نطاق توظيفهم الموروث الأدبي على بعض أمثال العرب وأفادوا منها ، ووضعوها في مكانها الملائم حيث يتطلب موقفهم الشعوري ضرورة الميل إليه ، ومن شواهدها ، قول ابن قلاقس يهجو شخصاً بقوله : " مجزوء الرمل "

فَغَدا الأرعن يخْتَا   لُ ببردي ذي رعين
ويهز الرأس حمقاً   هزَّ أعطافِ الرديني
فانْصرفْنَا عنه إذْ هز   ز بلا خفي حنين[3]

فضمن الشاعر المثل الشائع " رجع بخفي حنين "[4] للسخرية من مهجوه .

ومثلها قول ابن عنين يهجو بخيلاً : " البسيط "

يقُولُ للخُبز لا يبعد مداك ولا   أَخْنى عليك الذي أخنى على لُبدِ[5]

---

1 - **الديوان** : 282/2 .
2 - نفسه : 282/2 .
3 - **الديوان** : 220 .
4 - ينظر : الميداني ، **مجمع الأمثال** 296/1 .
5 - **الديوان** : 146 .

فَعجْز البيت تضمين للمثل العربي " أخنى عليها الذي أخنى على لُبد "[1] ، ثم إن الشطر نفسه تضمين من قول النابغة الذبياني في ديارٍ هجرها أصحابها : " البسيط "

أمستْ خَلاء وأضحى أهلُها احتملوا   أَخْنَى عليها الذي أخنى[2] على لُبدِ[3]

ومن تقنيات الأساليب الهجائية توظيف الشعراء لألوان بديعية أخرى ، بهدف إضافة جديد للمعنى ، وتبيان لفكرة الشاعر ، ومنها التقسيم وهو " تجزئة الوزن إلى مواقف أو مواضع ، يسكت عندها المرء أثناء التأدية للفظ البيت ، أو يستريح قليلاً ، كأنه يومئ إلى السكت "[4] ووشّى الشعراء هجاءهم به لرمي مهجويهم بكل مثلبة وتتبع معانيها من خلال تلك الوحدات الصوتية ، ومن نماذجه قول ابن الساعاتي يهجو رجلاً يدعى ابن العليمي ، فيقول : " البسيط "

في صدرِهِ حرج في سفْلِهِ سِعةٌ   في رأسِهِ خِفّةٌ في نفسِهِ ثِقَلُ[5]

ومن أمثلته قول ابن عنين في هجاء أحدهم : " الكامل "

فَرآه منْتُوفَ السبال مذَمم الـ   آباءِ مصفُوع القَذَال مبكيا[6]

---

1 - ينظر : الميداني ، **مجمع الأمثال** 429/1 .

2 - أخنى : أخنى عليها : أفسدها وأهلكها . ينظر : **لسان العرب** ، مادة (خني) .

3 - **الديوان** : 31 .

4 - المجذوب ، عبد الله الطيب ، **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها** 278/2 .

5 - **الديوان** : 10/2 .

6 - **الديوان** : 198 .

المبحث الثالث : الموسيقا :

تعد الموسيقا الشعرية النّغم الشجي الذي تصاغ فيه المعاني فيحيلها إلى نشيد عذب ، وهي الخاصية البارزة والعلامةُ الفارقة بين الشعر المنظوم والكلام المنثور ، فالوزن والقافية في الشعر يمثلان المظهر الموسيقي ، وبدونهما لا يتحدد الفرق بين الشعر والنثر ولا توجد فاصلة بينهما[1] .

وللوزن أهمية كبيرة بالنسبة للشعر ؛ لأن الوزن كما قال ابن رشيق القيرواني " أعظم أركان حد الشعر وأولاها خصوصية ، وهو مشتمل على القافية وجالب لها "[2] لذا يعد ما عداه عناصر أخرى مشتركة بين الشعر وغيره من سائر الكلام .

ويذهب بعض النقاد المحدثين إلى أن مجيء الكلام موزوناً بنغمات محددة ، وإيقاعات منسقة يساهم في حفظ الشعر وعلوقه بالذاكرة ، بل عد إبراهيم أنيس الوزن شرطاً من شروط شيوع الشعر قائلاً : " وشرط ذيوع الشعر وشهرته أن تستمتع آذان الناس بموسيقاه قبل استمتاعهم بمعانيه ومراميه وهي يسمعها في شعر هذا وشعر ذاك"[3].

ولا شك أن هناك مؤثرات وعناصر أخرى تشارك في تشكيل الموسيقا الشعرية ، وهذا ما أكده شوقي ضيف في قوله: " وقد تتشكل

---

[1] - ينظر : أبو كريشة ، طه مصطفى ، **أصول النقد الأدبي** 381 .

[2] - **العمدة** 134/1 .

[3] - **موسيقا الشعر** 186 .

الموسـيقا بتـأثير بعـض الفنـون البديعيـة كالجنـاس والطبـاق والترصيع ... "[1] .

وإذا كانـت الموسـيقا مـن أهـم أركـان الـشعر ، وأبـرز مقوماتـه فـأرى أن جمالهـا وجاذبيتهـا ، وتأثيرهـا فـي نفـوس الـسامعين وتحريـك مـشاعرهم ، وطَـربِ مـسامعهم بنغماتهـا يكمـن فـي اتحادهـا وتلاحمهـا فـي القـصيدة الـشعرية ، وارتباطهـا مـع مفـردات الـشعر ومعانيـه وعواطفـه وأخيلتـه ارتباطاً وثيقاً مع الانفعالات النفسية للشاعر لحظة نظْمه للقصيدة .

وثمـة مـن يـربط العلاقـة بـين موضـوع القـصيدة وغرضـها ، وبـين الـوزن الـشعري الـذي بنـى عليـه الـشاعر قـصيدته ، ونَحْـو هـذا المنحـى اعتمد حازم القرطـاجني فـي دراسـته للـوزن مـصرحاً ذلـك فـي قولـه : " لمـا كانـت مقاصـد الأغـراض الـشعرية مختلفـة بـين الجـد والرصـانة والهـزل والرشـاقة ، والبهـاء والفخامـة والـصغار والتحقيـر ، وجـب أن تُـساق المقاصـد بمـا يناسـبها مـن الأوزان ويخيلهـا للنفـوس "[2] لكـن النقـاد المحـدثين يرفـضون تلـك العلاقـة ، ويؤكـدون أن الـشعر العربـي لـم يكـن قائمـاً علـى تخيـر وزنٍ دون آخـر " لأن اسـتعراض القـصائد القديمـة لا يكـاد يـشعرنا بمثل هذا التخير بين موضوع الشعر ووزنه "[3] .

وعنـد النظـر إلـى أوزان القـصيدة الهجائيـة فـي العـصرين الزنكـي والأيوبي ، يـرى الباحـث أن اهتمـام الهجـائين بـالوزن ، لـم يكـن مبنيـاً علـى

---

[1] - **في النقد الأدبي** 39 .

[2] - **منهاج البلغاء** 266 .

[3] - أنيس، إبراهيم ، **موسيقا الشعر** 177 .

الاختيار لأن طبيعة الموقف والانفعال نحوه ، هو الذي يحرك مشاعر الشاعر دون أن يترك له فسحة نحو تخير هذا النغم أو ذاك ، بل انفعال الشاعر ودفقاته الشعورية هي التي حددت ذلك الوزن بعفوية وجرياً وراء الطبع ، ومع ذلك ظل الشعراء محافظين على الدوران في تلك البحور التي نظم فيها شعراء العصور السابقة ، دون أن يمنع ذلك من عنايتهم بوزنٍ على حساب آخر . وسأورد جدولاً يبين البحور التي نظم الشعراء فيها قصائدهم الهجائية وترتيبها ، علماً أن تلك الأشعار لا تمثل كلّ ما نظمه شعراء العصرين في الهجاء .

جدول يمثل البحور التامة

	البحر التام	عدد مرات الاستعمال
1.	الطويل	54
2.	الكامل	51
3.	السريع	38
4.	البسيط	37
5.	الخفيف	37
6.	الوافر	27
7.	المتقارب	24
8.	المنسرح	24
9.	الرمل	4
10.	المجتث	4
11.	الرجز	3
12.	المديد	1

جدول يمثل البحور المجزوءة

	البحر المجزوء	عدد مرات الاستعمال
1.	مجزوء الكامل	10
2.	مجزوء الرمل	9
3.	مجزوء الرجز	9
4.	مجزوء البسيط	4
5.	مجزوء الوافر	3
6.	مجزوء الخفيف	1

يلاحظ من الجدولين السابقين أن الشعراء مالوا في نظمهم إلى أوزان الطويل والكامل والبسيط " وهي من الأوزان الأكثر شيوعاً في

الشعر العربي القـديم "[1] فكانـت أكثـر بحـور الـشعر دورانـاً عنـد الهجـائين فـي العـصرين الزنكـي والأيـوبي علـى الترتيـب : الطويـل ، ثـم الكامـل ، ويليهمـا بنـسب متقاربـة الـسريع ، والبـسيط ، والخفيـف ، والـوافر ، وتـساوى المتقـارب مـع المنـسرح فـي عـدد مـرات الاسـتعمال ، وتوسـل الـشعراء بـأوزان الرمـل والمجتـث والرجـز فـي ثـلاث مقطوعـات ، بينمـا اقتـصرت الاستعانة بالمديد مرة واحدة ، وكلّها استخدمت تامة الوزن .

واتـضح لنـا خلـو المقطعـات المدروسـة مـن أربعـة بحـور هـي : المقتـضب والمـضارع ، والمتـدارك ، والهـزج ، فأمـا البحـران الأولان فيكاد الشعر يخلو منهمـا إلا نـادراً ، وهـذا مـا أشـار إليـه بـدر الـدماميني فـي قولـه : " وأنكـر الأخفـش أن يكـون المـضارع والمقتـضب مـن شـعر العرب ، وزعـم أنـه لـم يـسمع شـيئاً مـن ذلـك ، قلـت : هـو محجـوج بنقـل الخليـل ، قـال الزجـاج : همـا قليلان ، حتـى إنـه لا يوجـد منهمـا قـصيدة لعربـي "[2] وأمـا المتـدارك والهـزج فـأرى أن نـدرة الـنظم عليهمـا ، بـسبب عدم توافقهمـا مـع التنغـيم عنـد الـنظم عليهمـا فـي الهجـاء ، ولكثـرة مـا فـي المتدارك مـن مقـاطع سـاكنة ، ولقـرب أوزان بحـر الهـزج مـن اللحـن والغنـاء كما يظهر من تسمية العروضين له[3] وهذا ما لا يتناسب مع الهجاء .

ويـشير الجـدول الثـاني إلـى نوعيـة الأوزان التـي جـرى الـنظم عليهـا ، رغبـة مـن الهجـائين للتـشهير بمهجـويهم ، وتـسهيل حفظهـا ونـشرها

---

[1] - ينظر : أنيس ، إبراهيم ، **موسيقا الشعر** 191 .
[2] - **العيون الفاخرة الغامزة على خبايا الرامزة** 76 .
[3] - ينظر : أنيس ، إبراهيم ، **موسيقا الشعر** 112 .

بـــين النـــاس ، فـــدفعهم ذلـــك – وبـــصورة لافتـــة – إلـــى الأوزان القـــصيرة والمجـزوءة والخفيفـة ، وهـذا مـا أشـير إليـه فـي بنـاء القـصيدة الهجائيـة ، وكان أبـرز المجـزوءات وأكثرهـا شـيوعاً مجـزوء الكامـل ، ثـم يليـه بتـساوي عـدد مـرات الاسـتعمال مجـزوء الرمـل والرجـز ، ويليهمـا مخلـع البـسيط فمجزوء الـوافر ، وجـاء فـي الـذيل مجـزوء الخفيـف ، كمـا هـو واضـح فـي الجـــدول الإحـــصائي . وبـــذلك يكـــون الهجـــاؤون فـــي اســـتعمالهم للبحـــور الـــشعرية مـــسايرين لـــذوق الـــشعر العربـــي القـــديم ، وأكثـــر اقترابـــاً فـــي اسـتعمالها مـن هجـائي العـصر العباسـي وإن تفاوتـت بـين الـشعراء فـي الكـم والكيف .

أمـا القافيـة فتعـد قـسيمة الـوزن فـي اختـصاصها بالـشعر ، وقـدامى العرب يـشترطون الـوزن والقافيـة لكـل كـلام يـسمى شـعراً ، وهـذا مـا أشـار إليه قدامـة بـن جعفـر فـي تحديـده معنـى الـشعر بقولـه " إنـه قـولٌ مـوزون مقفى يدل علـى معنـى "[1] ممـا يـدل علـى أن القافيـة جـزء هـام مـن الموسـيقا الـشعرية فهـي " عـدة أصـوات تتكـرر فـي أواخـر الأسـطر أو الأبيـات مـن القـصيدة وتكررهـا هـذا يكـون جـزءاً هامـاً مـن الموسـيقا الـشعرية ، فهـي بمثابـة الفواصـل الموسـيقية ، يتوقـع الـسامع ترددهـا ، ويتمتـع بهـذا التـردد الـذي يطـرق الآذان فـي فتـرات زمنيـة منتظمـة ، وبعـد عـدد معـين مـن

[1] - **نقد الشعر** 53 .

مقـاطع ذات نظـام خـاص يـسمى الـوزن "[1] وبمـا أن الـشاعر المبـدع ينبغـي عليـه أن يجتهـد فـي اختيـار قافيتـه ، لأنهـا آخـر شـيء يطـرق بهـا سـمع المتلقي ، حتـى يـضمن سـرعة انتـشارها وعلوقهـا فـي أذهـان النـاس ، وتلـك مقاصد يحرص عليها الشاعر الهجاء .

والقافيــة قــسمان : قافيــة مقيــدة وهــي مــا كانــت ســاكنة الــروي ، وقافية مطلقـة وهـي متحركـة الـروي أي بعـد رويهـا وصـل إشـباع بكـسرة أو ضـمة أو فتحـة "[2] وقـد اسـتخدم الهجـاؤون النـوعين ولكـن بنـسب متفاوتـة ، فكانـت المطلقـة أكثـر شـيوعاً ، فـي حـين بـدت القافيـة المقيـدة فـي الأوزان القـصيرة، ويتفـق ذلـك مـع مـا قالـه المجـذوب " وعامـة البحـور القـصار يصلح فيها التقيد من غير اعتماد على مد قبله "[3] .

وعنـد النظـر فـي القـصيدة الهجائيـة يتـضح لنـا أن القـوافي " حـروف الـروي " قـد تعـددت ، كمـا تعـددت الأوزان الـشعرية عنـد هجـائي العـصرين الزنكـي والأيـوبي ، والجـدول التـالي يوضـح أكثـر حـروف الـروي اسـتعمالاً فـي النمـاذج المعروضـة ، علمـاً أن تلـك المقطوعـات الهجائيـة الـواردة فـي هذه الدراسة ليست كلّ ما قاله شعراء الهجاء خلال هذه الفترة الزمنية .

[1] - أنيس ، إبراهيم ، **موسيقا الشعر** 246 .

[2] - عتيق ، عبد العزيز ، **علم العروض والقافية** 136 .

[3] - **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها** 40/1 .

جدول يوضح حروف الروي وعدد مرات استعمالها

الرقم	حروف الروي	عدد مرات الاستعمال
1.	الدال	44
2.	اللام	41
3.	الراء	40
4.	الميم	40
5.	الباء	36
6.	النون	33
7.	الفاء	14
8.	القاف	14
9.	التاء	8
10.	الحاء	8
11.	السين	8
12.	العين	8
13.	الكاف	8
14.	الهمزة - الألف	6
15.	الهاء	5
16.	الطاء	4
17.	الياء	4
18.	الثاء	3
19.	الجيم	3
20.	الشين	3
21.	الواو	3
22.	الصاد	2
23.	الضاد	2
24.	الخاء	1
25.	الزاي	1

والواضح من الإحصائية أن الهجائين في العصرين الزنكي والأيوبي ، بنوا قصائدهم على غالبية حروف الروي الشائعة في شعرنا القديم ، كما يلحظ شيوع القوافي " الذلل دون النفر والحوش " ، إذ جاء حرف الدال في المرتبة الأولى ، ثم يليه اللام والراء والميم والباء والنون ، وتشكل النسبة الكبرى بين حروف الروي ، ويعود ذلك إلى سهولة مخارجها وانسيابها ، وجاءت بعض حروف الروي أقل استعمالاً من سابقتها مثل التاء والحاء والسين والعين والكاف وبنسب متفاوتة .

أما قوافي النفر فكانت قليلة وتمثلت في حروف الروي الصاد ، والضاد ، والزاي ، وقريب من نسبها قوافي الحوش ، وتمثلت في حروف الروي الثاء والشين والخاء ، التي وصفها المجذوب بقوله : " أما الخاء فما دخلت شعراً إلا أفسدته " [1].

ومما يلاحظ على الإحصائية غياب حرفين من حروف الروي لم يستعملها الشعراء ولو مرة واحدة هما : الذال والغين ، والحرفان من حروف الروي الحوش التي يقل شيوعها في الشعر العربي .

وباستقراء القوافي في شعر الهجاء في العصرين ، فإنها لا تخلو من بعض العيوب التي يقع فيها الشعراء في كل العصور ، ومن تلك العيوب ما يسمى بالإيطاء " وهو إعادة القافية قبل البيت السابع "[2] ، وقد أكثر منه ابن عنين وابن الساعاتي ، ومن

[1] - **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها** 63/1

[2] - عبد الهادي ، حسن محمد ، **دراسة شعر تاج الملوك بوري بن أيوب** 101 .

شـواهدها قـول ابـن الـساعاتي يهجـو ابـن سـناء الملـك ، وينعتـه بالبخل ، فيقول: " مجزوء الرمل "

لِلسعيدِ المجتبَى قَضْـ   ـلٌ على كُلِّ عَديمِ
جمعَ العالمَ طُرّاً   هو من غَنِيٍّ وعديمِ
دعوةٌ قد أشْبهتْ دعـ   ـوةَ نوحٍ في العمومِ
لم يكُن يخْلُص فيما   بينَنَا وفدُ النسيمِ
وغَدتْ ساحاتُ تِلك الـ   دارِ كالعِقْدِ النظيمِ
ثُمّ لما امتَلأتْ حتْـ   ـتَى حكَتْ صدر الكَظِيمِ
جاءنا من فَوق بالأسـ   ـباطِ مع موسى الكلِيمِ[1]

فنلاحظ الشاعر قد أعاد كلمة الروي " عديم " بلفظيهما ومعناهما في البيتين الأولين .

ومن عيوب القافية التي وقع فيها بعض شعراء الهجاء ما يسمى بالتضمين وهو " أن تُعلّق قافية البيت على ما بعدها ، فلا تكاد تستقل بنفسها " [2] ، ومن شواهده قول الشاغوري في هجاء عسكر الملك الأفضل :   " المنسرح "

إن غابتْ الشّمس عنهم وهم   لم تَدخُلوا في عشِيةٍ البلدا
فاتْلُ عليهم نَبَاء ما جاء في الـ   ـكهفِ ولن تفلحوا إذَن أبدا[3]

فجواب الشرط الذي يتم معنى البيت الأول جاء في البيت الثاني " فاتل ... " وقد تكررت شواهده في ديوان الشاغوري[4] .

---

[1] - **الديوان** 158 .
[2] - المجذوب ، عبد الله الطيب ، **المرشد إلى فهم أشعار العرب** 29/1 .
[3] - **الديوان** : 124 .
[4] - نفسه 362 ، 464 .

وهنـاك ظـاهرة عيبـت علـى قـوافي شـعراء الهجـاء وهـي مـا يـسمى بالسناد وهـو " مـا يطلـق علـى عيـوب كثيـرة ، أهمهـا أن تخـالف بـين أنـواع الرّدف "[1] ومن شواهدها قـول ابـن مكنـسة يـصف قـبح منزلـه ومـا يعانيـه مـن قسوة ، يقول : " الخفيف "

لِــي بيــتٌ كأنّــه بيــتُ شِــعرٍ لابــن حجــاجٍ مــن قَــصيدٍ ســخيفِ
ضــايقني بنَــاتُ وردان حتّــى أَنــا فيــه كفــأرةٍ فــي كنيــفِ
أيــن للعنكبــوتِ بيــتٌ ضــعيفٌ مِثْلُــه وهــو مثــلُ عقْــل الــضعيفِ
بقعــةٌ صــد مطلــع الــشمس عنهــا فأنــا مــذ ســكَنْتُها فــي الكُــسوفِ[2]

فكلمــة " الكــسوف " اختلفــت فــي صــيغتها وحركاتهــا عــن الكلمــات الأخرى " سخيف، كثيف ، ضعيف " وشواهدها كثيرة في شعر الهجاء .

وقريــب منــه قــول ابــن عنــين يهجــو أحــدهم يــدعى موفــق الدين : " الوافر "

ورب أخ حمــيمٍ بــت ليلــي أُجــرع مِــن ملامتــهِ الحميمــا
يقــولُ عــلام مِــن غيــر احتــرامٍ هجــوتَ موفّــقَ الــدين الحكيمــا
فَقُلْــتُ لــه تَــأن فَغَيــر عــدلٍ إذا مــا لام مــن ســرام الــسليما
شَــكَوتُ إليــه مِــن كــانون قُــراً أبيــتُ لــضره أرعــى النّجومــا[3]

فالــسناد فــي ردف كلمــة " النجومــا " إذ خالفــت مــا قبلهــا فــي صــياغتها وحركاتهــا ، وذلــك فــي الألفــاظ (الحميمــا ، الحكيمــا ، الــسليما) فتغيرت نغماتها الموسيقية .

---

[1] - المجذوب ، عبد ا الطيب ، **المرشد إلى فهم أشعار العرب** 29/1 .
[2] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 211/2 .
[3] - **الديوان** : 199 .

ومـن عيـوب القافيـة مخالفـة الـشاعر لمـا التـزم بـه بالحركـة قبـل حرف الـروي وهـو مـا سـمي بالتوجيـه ، ومـن شـواهده قـول ابـن المـسجف يهجو أحدهم : " البسيط "

قالوا : علام رفَضتَ الـشّعر مطرحـاً فَقُلْتُ : مِـن قِلّـةِ الإنْـصافِ فـي زمنـي

لا المـدح يـورثُني مـالاً أُسـرّ بِـه ولا الهجـاء إلـى سـؤْلي يقَربنـي

حتـى يقـالَ أديـب شـاعِر فَطِـن حـرام كـل أديـبٍ شـاعر فَطِـن[1]

فالـشاعر لـم يلتـزم بالحركـة التـي بـدأها قبـل حـرف الـروي ، وإنمـا جـاءت متباينـة ، فأذهـب هـذا التغيـر جمالهـا الموسـيقي ، لأنّـه عـدل عـن الفتحة قبل حرف القافيـة إلـى الـضمة ثـم إلـى الكـسرة . فأذهـب انـسجام الـنغم والإيقاع الموسيقي .

وهنـاك وسـائل أخـرى تكـسب الـشعر جمـالاً موسـيقياً إلـى جانـب الـوزن والقافيـة ، ويتمثـل فـي المحـسنات اللفظيـة ومنهـا التـصريع ومعنـاه تقفيـةُالعروض بقافيـة الـضرب ، وهـي كثيـرة فـي المقطوعـات الهجائيـة فـي العـصرين الزنكـي والأيـوبي ، ومـن أمثلتـه قـول ابـن المـسجف العسقلاني : " الطويل "

ثلاثـةُ أشـياءٍ تَقِلُّ ـن بِجلـقْ علـى كـل قلـبٍ بالـدليل المحقـقْ[2]

[1] - الكتبي ، **فوات الوفيات** 286/2 .

[2] - نفسه 284/2 .

ومـن الأسـاليب التـي تحـدث أنغامـاً موسـيقية الترصـيع وهـو " أن يكون حـشو البيـت مـسجوعاً "[1] ، ومـن شـواهده قـول محمـد الاسـكندراني فـي هجو طبيب : " المنسرح "

أنيـاب غـولٍ ومِـشْفرا جمـلٍ ورأس بغْـلٍ وذقـن نِـسناس[2]

ومن أمثلته قـول ابـن عنـين يـتهكم بأحـد القـضاة لميلـه إلـى النـساء ، فيقول : "السريع"

أقُـولُ لـو بلغْـتَ مـا قـد عـسى فالطِّبـلُ لا يـضرب تحـت الكُـسى
قاضـيك إن لـم تَقْـصِهِ فاخـصِهِ أولـى فـلا يحكُـم بـين النـسا[3]

وتكـرار الحـروف فـي البيـت الـشعري مـن الوسـائل التـي تكـسب الـشعر أنغامـاً موسـيقية ، كمـا ذكـر إبـراهيم أنـيس فـي قولـه : " إن تـردد الحـروف أو الكلمـات يكـسب الـشعر لونـاً مـن الموسـيقى تـستريح لـه الآذان وتقبل عليه "[4] ، وأيده فـي ذلـك حـسن عبـد الهـادي[5] ، ومـن أمثلـة ذلـك قـول ابن سناء الملك في إحدى مقطوعاته : " السريع "

لهفـي علـى عـشاقِك الطـرش العمـي فـي عِـشْقك لا العمـش
عاشِـقُك القَـش ولا غَـرو أن تَلتَهـب النّيـران فـي القـش
قـالوا لقـد أحـدث مـن بعـدِنا مـا لا يـرى قلـتُ علـى الفُـرش[6]

---

1 - أبو هلال العسكري ، **الصناعتين** 390 .
2 - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر) 100/2 .0**
3 - **الديوان** : 131 .
4 - **موسيقا الشعر** 41 .
5 - ينظر : **دراسة شعر تاج الملوك بوري بن أيوب** 101 .
6 - الصفدي ، **الغيث المسجم** 265/1 ، ولم تذكر في ديوانه .

ويمكن أن يكون الاكتفاء من الأساليب التي تصنع الموسيقا الشعرية ، وهذا ما رجحه حسن عبد الهادي بقوله : " وربما يكون الاكتفاء أدخل في باب موسيقا الشعر منه في باب الأسلوب "[1] ومن شواهده في الهجاء قول ابن الساعاتي : " المنسرح "

وصاحبٍ يسلب الفعالَ وما قالَ وكم قالَ لي وما فعلا
ولستُ آسى ولا أقولُ له لا جعلَ ا ُ لي إليك ولا...[2]

وله مقطوعة أخرى يهجو فيها شخصاً بلغة قريبة من السباب العامي، يقول : " مجزوء الرجز "

جن أبو العقلين والـ ـمالُ الذي جفنَه...
ويلاه ما أبخَله – الـ ـكلب – وما أجبنَه...
قُلْ فيه كل معضلٍ فإنه وإنه...[3]

وقريب منه قول ابن قلاقس يتوعد رجلاً يدعى عمر الطّلاء بالهجاء : " السريع "

يا عمر الطّلاء إياك أن تَعرض لي يا عمر الطلا
وا ِ إن جردتُ سيفَ الهجا فأغْمدتْ شَفْرتُه إلا... [4]

---

[1] - **دراسة شعر تاج الملوك بوري بن أيوب** 102 .
[2] - **الديوان** : 273/1 .
[3] - **الديوان** : 178/2 .
[4] - **الديوان** : 258 .

وخلاصة القول إن العناصر التي تتشكل منها الموسيقا الشعرية إضافة إلى الوزن والقافية والموسيقا الداخلية كثيرة ، واستعراضها يطول بنا ، إلا أن استقراء الدارس للعديد من النصوص المعروضة ، يلمح فيها كثيراً من تلك العناصر التي أدت دوراً فاعلاً في بناء موسيقا الشعر ، فاختيار المفردات ، وترتيبها وفق نسق خاص ، وما يتبع ذلك من الحركات الإعرابية ، والمد ، والإمالة ، والتفخيم ، وفنون البديع اللفظي المتعددة في شعر هجاء العصرين الزنكي والأيوبي أضْفَتْ عليه أنغاماً عذبة وأصواتاً شجية تحرك المشاعر وتطرب الأسماع .

المبحث الرابع : الصورة الشعرية :

تُشكل الصورة الشعرية ركيزةً أساسية في بناء العمل الأدبي ، لأنها جوهر الشعر ، وأداة الشاعر في نقل أفكاره ومشاعره بشكل مؤثر ، فهي " تعبير عن الحالة النفسية التي يعاني منها الشاعر اتجاه موقف من مواقفه مع الحياة "[1] ، وترجع أهميتها في التجربة الشعرية إلى " الطريقة التي تُعْرض بها علينا ، فهي تثير الانتباه إلى المعنى ، ثم تتركنا نتفاعل معه ، ونتأثر به ، فهي لا تشغل الانتباه بذاتها ، إلا لأنها تريد أن تلفت انتباهنا إلى المعنى الذي تعرضه ، وتفاجئنا بطريقتها في تقديمه "[2] ، لذلك فإن الشاعر الحاذق مَنْ يستطيع من خلال التصوير " نقل فكرته ، وعاطفته معاً إلى قرائه أو سامعيه "[3] .

وذهب الأدباء والنقاد في إطار عنايتهم بالصورة إلى اعتبار الشعر " صناعة ، وضرب من النسج ، وجنس من التصوير "[4] ، بل وشبه النقاد القدامى ، ومنهم ابن طباطبا – ناظم الشعر بالنساج ، فالشاعر كما يقول : " كالنساج الذي يفوف وشيه بأحسن التفويف ويسديه وينيره ، ولا يشين عقوده ، بأنْ يفاوت بين جواهرها في نظمها وتنسيقها "[5] .

---

[1] - الورقي ، السعيد ، **لغة الشعر العربي الحديث** 82 .

[2] - عصفور ، جابر ، **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي** 32 .

[3] - الشايب ، أحمد ، **أصول النقد الأدبي** 242 .

[4] - الجرجاني ، عبد القاهر ، **دلائل الإعجاز** 198 **،** عباس ، إحسان ، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب (نقد الشعر)** 431 .

[5] - **عيار الشعر** 43 – 44 .

وبمـا أن الـصورة الـشعرية وليـدة الخيـال ، والوسـيلة الفنيـة فـي نقـل التجربة الـشعرية لـدى الـشعراء ، فـإن أغـراض الـشعر تتفـاوت فيمـا بينهـا ، حـول مقـدار التخيـل الـذي يتطلبـه الغـرض الـشعري ؛ بتـشكيل أبعـاد تلـك الـصورة المتحـدة مـع بقيـة عناصـر العمـل الفنـي ، ولـذلك أرى أن شـعر الهجاء أقـل أغـراض الـشعر حاجـة إلـى الخيـال ، لأن سـرعة انـدفاع الـشاعر في التعبيـر عـن موقـف مـا ، أو حـادث عرضـي ، لا يعطـي الـشاعر فرصـة فـي تخيـر الـصورة التـي يتطلبهـا الموقـف أو الحـادث مـن ناحيـة ، إضـافة إلـى ارتباطـه بواقـع النـاس وحيـاتهم ، وحِـرص الـشاعر الهجـاء إلـى التـأثير بمهجويه بأيسر الطـرق وأسـرعها مـن ناحيـة أخـرى ، ومـن ثـم فـإن الهجـاء لـيس بحاجـة إلـى فلـسفة لغويـة أو صـور معقـدة ، وإنمـا إلـى لغـة ميـسرة وصور بسيطة ، تبلغ رسالته ، ويشيع ذكرها على ألسنة عامة الناس .

ومع ذلك فـإن شـعر الهجـاء – فـي هـذه الفتـرة الزمنيـة – اتخـذ مـن الـصورة الـشعرية وسـيلة للتعبيـر الفنـي عـن أفكـار الـشعراء وأحاسيـسهم ، واعتمــد الهجــاؤون فــي تــصوير مهجــويهم علــى التــشخيص والتجــسيم ، وضــروب البيــان المختلفــة ، ونوعــوا فــي صــورهم الحــسية " فقــد تكــون الصورة بصرية ، وقد تكون سمعية ، أو قد تكون بكاملها سيكولوجية "[1].

و تنوعـــت مـــصادر ومنـــابع صـــورهم الـــشعرية ، لكـــن النـــصيب الأكبر منهـا اسـتوحاه الـشعراء مـن واقعهـم وحيـاتهم اليوميـة ، فقـد اسـتوحى فتيـــان الـــشاغوري مـــن الـــصناعة المنزليـــة للخبـــز ، ومـــصدره الأساســـي

[1] - ويليك ، رينيه ، **نظرية الأدب** 242 .

المتمثل فـي الـدقيق وطريقـة فـرزه مـن شـوائبه ، لهجـو المتكبـرين ونقـدهم ، فيقول : " الكامل "

الكِبـر تُبغِـضه الكِـرام وكُـل مـن يبـدي تواضـعه يحـب ويحمـد
خَيـر الـدقيق مِـن المناخـل نـازلٌ وأخـسه- وهـي النّخالـةُ - تَـصعد[1]

فالـشاعر يـصور التكبـر بالنخالـة ، ولكـي يزيـد الـصورة وضـوحاً قابـل بـين الـدقيق الجيـد وشـوائبه بطريقـة حـسية ، واختـار مـن الألفاظ ما يدل على استمراريتها مثل النزول والصعود .

ووجـد ابـن دنينيـر فـي الـصورة المألوفـة للـذباب ، وسـلوكه الغريـزي المتمثـل فـي تهافتـه علـى الجـرح ، وتطفلـه فـي الحـصول علـى طعامـه ، ومـا يلحقـه مـن أذى ، طريقـاً يـسيراً للنيـل مـن القـضاة المنحـرفين عن الحق ، والمائلين إلى اللوم والضلال ، فيقول : " الطويل "

لنـا حـاكِم لـم يخْلَـق ا ُ مِثْلَـه بِخَلْـقٍ وخُلْـقٍ قـد حـوى غايـةَ القُـبح
يضِل إلـى طُـرق العـلا غيـر أنـه إلى اللؤم أهدى مـن ذُبـابٍ إلـى جـرح[2]

فالـشاعر رسـم صـورة قبيحـة مـستوحاة مـن سـيرة حيـاة الـذباب المـستقبحة ، مـستعيناً بالديمومـة فـي حيـاة الـذّباب ، والحركـة الدائبـة والاختيار الدائم للأماكن القبيحة .

واسـتوحى ظـافر الحـداد صـوره مـن الواقـع الاجتمـاعي الـسيء ، وما يعانيـه النـاس مـن فقـر وحرمـان ، وتعكـس تلـك الـصور طبيعـة الحيـاة التي يحياهـا غالبيـة فئـات المجتمـع ، وحـشد فـي أبياتـه كـل العناصـر التـي

---

[1] - **الديوان** : 123 .
[2] - **الديوان** : 575 .

تـ ـصور واقعـ ـه تـ ـصويراً صـ ـادقاً ، إذ يقـ ـول فـ ـي تـ ـصوير حجـ ـرة قذرة : " الطويل "

ألا لا أعـ ـاد ا ُ ليلـ ـي بِحجـ ـرةٍ وقَفْـ تُ بهـ ـا حتّـى الـصباح علـى سـاق
وللبـ ـق فيهـ ـا والبراغيـ ـثِ خُلْطَـ ـةٌ كبـ ـزر قَطُونـ ـا ذُر فـ ـي حـ ـب سـ ـماق
إذا مـ ـا أرانـ ـين البعـ ـوض تجاوبـ ـتْ لنـ ـا وقعـ ـوا بـ ـالرقص إيقـ ـاع حـ ـذاق
وقد أنْضجت جِسمي لهـ م نـار حرهـا ولكنـ ـه نُـ ـضج تنـ ـاهى لإحـ ـراق
فبـ ـت كـ ـأنّي مِـ ـن حـ ـرارةِ نَهـ ـشِها سـ ـليم الأفـ ـاعي دون راقٍ وترِيـ ـاق
وما عجبـ ـي أن كِـ دتُ أفْنـى بِأَكْلِهـا بلى، عجبـ ـي أن كيـ ـفَ قَـ د سـلِم البـ ـاقي
إلـى أن تَبـ ـدى الـصبح بعـ ـد تباعـ ـدٍ قَـ ـداركْتُ مِـ ـن نفـ ـسي بقيـ ـةَ أرمـ ـاقي[1]

فالـشاعر عـ ـرض لنـ ـا مـ ـشهداً وصـ ـفياً لواقـ ـع حقيقـ ـي ، ووضْـ ـع حيـ ـاتي قـ ـاسٍ ، واسـ ـتوفى عناصـ ـر المـ ـشهد كـ ـاملاً ، فتظـ ـافرت فـ ـي أبياتـ ـه الـ ـصور الحركيـ ـة " للبـ ـق فيهـ ـا والبراغيـ ـث خلطـ ـة " مـ ـع الـ ـصورة اللونيـ ـة " كبـ ـزر ذُر في حـ ـب سـ ـماق " مـ ـع الـ ـصورة الـ ـصوتية " أرانـ ـين البعـ ـوض ، إيقـ ـاع حـ ـذاق " مـ ـع الـ ـصورة الـ ـضوئية " نـ ـار حرهـ ـا ، تبـ ـدى الـ ـصبح "و جمـ ـع بـ ـين الـ ـصورة الـ ـضوئية والحركيـ ـة مـ ـدللاً علـ ـى الانـ ـسجام بينهمـ ـا فـ ـي مـ ـشهد تـ ـصويري "تجاوبت لنا وقعـ ـوا بـ ـالرقص إيقـ ـاع حـ ـذّاق " وتلـ ـك مـ ـشاهد إيحائيـ ـة عـ ـن مـ ـرارة الواقع المعيشي وقذارته لدى كثير من الناس .

وكثُـ ـرتْ الـ ـصور المـ ـستمدة مـ ـن عـ ـالم الحيـ ـوان والحـ ـشرات ، سـ ـعياً مـ ـن الـ ـشعراء للانتقـ ـاص مـ ـن مقـ ـدار مهجـ ـويهم ، ومـ ـن ذلـ ـك قـ ـول الـ ـشاغوري

---

[1] - **الديوان** : 237-238 .

يـزري بأحـد الوعـاظ ، ويـصوره بالجـاموس ، ومـن يعظهـم بـأنهم بقر :   " السريع "

رأيـتُ بالجـامع أعجوبـةً   والنّـاس يـسعون إليهـا زمـر
فقالـتُ يـا قـوم علـى رسـلكم   مـا يعِـظُ الجـاموس إلا البقـر[1]

أمـا ابـن قلاقـس فيـصور مغنيـة فـي رداءة صـوتها بـالمرأة الـثكلاء ، وفي خفتها على أوتار عودها بالعنكبوت ، فيقول :   " السريع "

عـوادةٌ غنـتْ لنـا صـوتاً   يـشْبه نَـزع الـروح والموتـا
كأنّهـا والعـود فـي حِجرهـا   ثاكِلـةٌ قـد أسـنَدتْ ميتَـا
شَـبهتُها مِـن فَـوق أَوتَـارِهِ   بعنكبـوتٍ نَـسجتْ بيتـا[2]

واسـتوحى ابـن الـساعاتي صـورة مهجـوه مـن عـالمي الحيـوان والحشرات معـاً ، إمعانـاً فـي تقبيحـه ، فهـو كالعجـل فـي جهلـه وقلـة عقلـه ، وكالذبابة في تطفله ، وكالنمل في نقله للحديث ، فيقول :   " الطويل "

تَجـاوز دنْيـاتِ العجيـل وجهلِـهِ   فمـا يهتَـدي عجـلٌ يكـون بـلا عقـل
أحـط علـى مأكولـه مـن ذُبابـةٍ   وأنْقَـلَ فـيهم للحـديث مـن النمـل[3]

وتعـددت الـصور الـشعرية المـستوحاة مـن البيئـة والطبيعـة فـي شـعر الهجـاء ، فقـد اسـتمد المهـذب بـن الزبيـر مـن الكوكـب "كيـوان" صـورته ؛ ليظهر من خلالها نحس أحد أصدقائه ، فيقول :   " السريع "

لا تَـرج ذا نَقْـص ولـو أصـبحتْ   مِـن دونِـه فـي الرتبـة الـشمس

---

[1] - **الديوان** : 204 .
[2] - **الديوان** : 382 .
[3] - **الديوان** : 72/2 .

كيــوان أعلـــى كوكـــبٍ موضِـــعا وهـــــو إذا أنْـــــصفْتَه نحــــس[1]

أمـا ابـن منيـر الطرابلـسي فيـستمد صـورته فـي وصـف طبـاع أهـل دمـــشق مـــن الجبـــال ، فـــشبه غلاظـــة قلـــوبهم و قـــسوتها بجبـــالهم ، بقوله : " مجزوء الكامل "

وطِبـــــــــاعهم كجِبـــــــــالِهم جبِلــــتْ وقُـــدتْ مـــن حجــــر[2]

ويـصور القاضـي الفاضـل أحـد مهجويـه ممـن لا يرجـى منـه خيـر بصورة السراب الذي لا ينتظر منه الماء ، فيقول : " المتقارب "

فيـــا عجبـــاً ، هالـــةٌ قَـــد بـــدتْ وأنْــــتَ تُــــرى عِنْــــدها مظلِمــــا

ومـــا كُنـــتَ إلا كمِثْـــل الـــسرا بِ يـــسوقُ إليـــه ســـياطَ الظَّمــــا[3]

وتكـــررت الـــصورة المـــستمدة مـــن البيئـــة وبالتحديـــد مـــن النبـــات ، فالعرقلة الكلبي يـصور العـذار فـي وجنتـي مهجـوه فـي قُبحهـا بـشوك القتـاد ، فيقول : " الوافر "

إذا مـــا الأمـــرد المـــصقُولُ جـــاء عوارضـــه فـــنقص فـــي ازديـــادِ

يمـــوتُ الموتـــة الأولـــى فتُمـــسي علـــى خَديـــه أثـــواب الحِـــدادِ

وهـــلْ يَستَحـــسِن الإنـــسان روضـــاً إذا مـــا حلـــه شَـــوك القَتـــادِ[4]

---

[1] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة** (قسم شعراء مصر) 224/1 .

[2] - **الديوان** : 211 .

[3] - **الديوان** : 435/2 .

[4] - **الديوان** : 23 – 24 .

وقريب من تلك الصورة قول عمارة اليمني في تصوير بخيل بشجرة الصفصاف التي لا ثمر لها ، يقول : " الكامل "

لا تأمنَن أبا الرذائل بعدها واحذر أمانَة سارقٍ خطّافِ
فالمرتَجِي عِنْد اللّئامِ أمانةً كالمرتَجي ثمراً من الصفصافِ[1]

واختار ابن عبد ا الشهرزوري الطير ليستوحي منها صورته ، فيصور المهجو ووالده بقبح الوجه كالبوم يجلب الهموم ، واستعان بالمقابلة ليخرج لهما صورة طريفة ، فيقول : " مجزوء الرمل "

آهِ مما أقربه لله أُنْس لو كان يتيما
فإذا ما أقبلا ، عينْتُ قُمرياً وبوما
ذا يسلي الهم إن غنْنَى وذا يدني الهموما[2]

أما ابن عنين فصور مهجوه بالدجاجة موريا بها إلى شرفه المدنس وعرضه المهتوك ونسبه المجهول ، إذ يقول : " البسيط "

يا ابن الدجاجةِ كل النّاس كان لها ديك فأنْتَ ابن من حتى أُنَاديكا[3]

ولجأ كثير من الشعراء في رسم صورهم إلى عيوب مهجويهم الخُلقية وهي كثيرة في هذه الدراسة ، فابن قادوس يرسم صورة طريفة لطول أنف مهجوه ، ويصوره بدعوة المظلوم حين يطيل في دعائه ، فلا حاجب بينه وبين خالقه : " السريع "

ورب أنفٍ لصديقٍ لنَا تحديده ليس بمعلومِ

---

1 - **الديوان** : 699 .
2 - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** 328/2 .
3 - **الديوان** : 201 .

لـيس علـى العـرش لـه حاجِـب   كأنـــــــه دعـــــــوةُ مظلــــــومٍ[1]

واســتمد الهجــاؤون بعــض صــورهم مــن الشخــصيات التاريخيــة ، كمـا فعـل فتيـان الـشاغوري فـي تهكمـه مـن القاضـي الفاضـل ، إذ اسـتدعى معـاني تلـك الـصورة الـساخرة مـن شخـصيتين متناقـضتين مـن التـاريخ ، وشكلها منهما ، في قوله :   " الكامل "

لا مرحبـاً بالنَّـاقِصِ ابـن القاضـل   هـذا ابـن قُـس[2] فـي فُهاهـةِ[3] باقـل[4]
وأجـل قـدراً منـه بغْلتُـه التـي   أضـحى أبوهـا مِنْـه فَـوقَ الكاهِـل[5]

وبعــض الــشعراء بنــى صــورته مــن حــدث تــاريخي ، كمــا فعــل عرقلة الكلبي في تـشكيل صـورته مـن معـاني الحادثـة التـي جـرت بـين علـي ومعاويـة[6] . مـن هنـا تعـددت مـصادر الـصور الهجائيـة وتنوعـت فـي زمـن الـزنكيين والأيـوبيين ، فـالبعض جـاء مـن قـصص القـرآن ، والآخـر مـن الـشعر القـديم ، وأخـرى مـن معـارف الـشعراء اللغويـة والنحويـة والتاريخيـة ، ومثـلَ لهـا مـن خـلال النمـاذج المدروسـة ، لـذا لا ضـرورة لتكرارها تجنباً للإطالة .

---

1 - العماد الأصفهاني ، **الخريدة** (قسم شعراء مصر) 234/1 .
2 - قُس : هو قس بن ساعدة الإيادي ، أحد حكماء العرب في الجاهليـة ، وممـن ضـرب بـه المثـل في الحلم والخطابة . ينظر : المرزباني ، **معجم الشعراء** 267 .
3 - فهاهة : العجز والعي والحصر . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (فهه) .
4 - باقل : هو باقل الإيادي ، جـاهلي ، يـضرب بعيـه المثـل فـي الغبـاء . ينظـر : الزركلـي ، **الأعلام** 42/2.
5 - **الديوان** : 360 – 361 .
6 - ينظر : **الديوان** : 48 .

وتوسل الشعراء في تشكيل صورهم بأساليب مختلفة ، فبعضهم استعمل ضروب البيان المعروفة في تصويره ، كالتشبيه الذي شاع استعماله في غالبية صورهم ، ومن شواهده قولُ نصر الهيتي يهجو جماعة ، لم يقدموا له نوالاً على شعره ، ويرسم لهم صورة منفرة من الواقع ، فيقول : " البسيط "

رقاعهم تَملأُ الدنيا بِما رحبتْ ... مـلأ مِـن المين والبهتان والزور

تُطْوى وتُنْشَر والأدناس تَشْمَلُها ... في كَف كُل سخين العين مغْرور

كأنّها وعطاياه مسطّرةٌ ... فيها لفائفُ ميتٍ غير منْشور

أو ما يعلقُه البيطار من خِرقٍ ... عن كلّ أعجفَ غَث اللّحمِ معقُور

لا تتطّرحها إذا جاءت فإن لها ... نَفْعاً ، ولكن لتَرقيع الطّنَابير[1]

فالصور رسمها الشاعر لمهجويه جزئية وبسيطة ، وتحقق ما رمى إليه الشاعر للإزراء بهم ، كما أنها سهلة في سرعة وصولها إلى الأفهام ، فالرقاع كاللفائف وكالخِرق التي يعالج بها البيطري حيواناته .

واعتمد العرقلة الكلبي في تشكيل صورٍ جزئية لمهجوه في تشبيهات متتابعة ، استوحاها من الطبيعة والبيئة ، وعرضها بطريقة تهكمية ساخرة ، ظاهرها المدح وباطنها ذم وقدح ، فصورة المهجو كالبدر إذا كسف ، وقوامه كالغصن إذا قصف وبنانه كالبحر إذا نشف فلا يرجى منه أي خير ، يقول : " مجزوء الخفيف "

لك وجه كأنّه الـ ... ـبدر لكن إذا كُسِفْ

وقوام كأنّه الـ ... ـغُصن إذا قُصِفْ

---

[1] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** 231/1 – 232 .

وبنـــان كأنّــــه الــــ ــــبحر لكــــن إذا نَــــشف[1]

واتكـأ الـشعراء فـي بعـض صـورهم علـى التـشخيص الـذي يبـث الحيـاة والحركـة فـي الجمـادات ، كمـا فعـل ابـن عنـين حـين أنْـسن الـدين ، وصيره شخصاً يـستغيث ، ويـشتكي إلـى خالقـه ممـا لحـق بـه أذى نـاجم عـن تنكر الأفراد له ، إذ يقول : " الخفيف "

صـعِد الـدين يـستغيثُ إلـى اللـ ـــهِ وقـالَ الأنَـام قـد ظلمـوني
يتَـسمون بـي وحقـك لا أعـ ـــرفُ شخـصاً منـهم ولا يعرفـوني
جعلوا ابن المصري تـاجي ولـو كـا ن شِـراكاً للنّعـل لـم ينْـصِفُوني
ثُم قـالوا البكْـري صـدري كمـا قـا لـوا وقـالُوا وجهـي الزنْكلـوني[2]

ولجـأ شـاعرٌ يـدعى " الجهجمـان " فـي تـشكيل صـورته إلـى التجـسيم ، وتحويـل الأمـور المجـردة إلـى صـور محـسوسة ، فقـد جـسم حـديث مهجـوه غيـر المرغـوب فيـه ، وجعلـه محـسوساً حـين شـبهه بـالبرد القارص يطفـئ لهيـب جهـنم ، وزاد مـن تقبيحـه فاسـتوحى لـه صـورة قـرد ، يقول : " الخفيف "

صـير ا ُ ليلـةَ الهجـر وجهـا لابـن بـري وليلـةَ الوصـل قـدا
ذو حـديثٍ يطفـي جهـنّم بـردا ومحيـا كـالقِردِ قُربـاً وبعـدا[3]

ونجـد بعـض الـشعراء يـستعمل الكنايـة فـي رسـم صـوره، واللافـت للانتبـاه فـي هـذه الـصور تـردد لفظـة "قـرون" علـى ألـسنة الـشعراء فـي

---

[1] - **الديوان** : 63 .
[2] - **الديوان** : 209 .
[3] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 132/2 .

تـصوير المتكبـرين والخـيلاء ، ومـن شـواهدها قـول ابـن قـادوس ينتـصر لرجـلٍ عابـه أحـد الـشعراء لـضخامة أنفـه فيـذم كبريـاءه ، بقوله : " مجزوء الكامل "

يـا مـن يعيـب أنُوفنـا الـشْـ ـمُ التـي ليـست تُعـاب
الأنْـفُ خِلْقَـةُ ربنـا وقرونُـك الـشم الكِبـاب[1]

وتنوعـت الـصور الـشعرية لـدى شـعراء الهجـاء زمـن الـزنكيين والأيـوبيين ، فجـاء منهـا الحـسي والعقلـي والإيحـائي ، وشـكل بعـضها مـن ضـروب بلاغيـة أخـرى تـم عرضـها سـابقاً ، إلا أن غالبيتهـا طغـى عليهـا الطـابع الحـسي ، فمـن الحـسية الـصورة البـصرية التـي اتخـذت مـن الألـوان وسـيلة ؛ لتـشكيل معـاني الـصورة الهجائيـة ، وكـان اللـون الأسـود أكثرهـا اسـتعمالاً ، لدلالتـه علـى الكآبـة والـشؤم عنـد كثيـر مـن النـاس ، فهـذا ابـن الـساعاتي يظهـر كآبتـه مـن مهجـوه لـسواد جلـده رغـم خُلقـه الجميـل ، فيقول : " الخفيف "

وجميـل الأخْـلاق غيـر جميـل لا ضـحوك ولا عبـوس الـوداِد
أسـود شـاب شَـعره فتـراه فَحمـةً تَستَـشِف تحـتَ رمـادِ[2]

أمـا ابـن عنـين فيجـسم اللـون الأسـود ، ويحولـه إلـى شـيء محسوس للنيـل مـن مهجـوه والغمـز بـه ، لأنـه حجـب عطـاءه عنـه ، فـذهب لتصوير عرضه بالأسود الممزق ، في قوله : " الكامل "

مـا إن مـدحتُك أرتَجـي لـك نـائلاً فَحرمتَنـي فَهجـوتُ باسـتِحقاق

---

[1] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 245/2 .
[2] - **الديوان** : 329/2 .

لكنّني عاينْتُ عِرضك أسودا متمزقاً فقدحتُ في حراق[1]

وجمع بعض الشعراء في صورهم بين اللونين الأبيض والأسود، كما فعل فتيان الشاغوري في تبرمه ، وذمه للشيب الذي غزا رأسه فصار يخجل منه ، وقد تلاعب الشاعر بالصورة حين جعل الألوان على نقائض استعمالاتها فبدا رساماً يضع اللون في المكان الذي يعبر فيه عن عواطفه ومشاعره ، إذ يقول : " الوافر "

بياض الشّيبِ قَد سودتَ وجهي ففي تسويد وجهك ما أُحابي

كتاب الشّيبِ أبيض في سوادٍ وهذا ضِد معهودِ الكتابِ

أراه قصةً رفعتْ إلى من يوقع في جوابي بالجوى بي[2]

وتتداخل عناصر الصورة الحسية الحركية والسمعية واللونية في صورة واحدة ، يتمكن الشاعر من خلالها من رسم مشهد تصويري لممدوحه ، كما فعل أبو الفضل الشهرزوري ، في قوله : " مجزوء الكامل "

أولادك الأنْجاب في أرض الجزيرة كالعبيدِ

أوقافُهم وقْفٌ على دف ومِزمارٍ وعودِ

ومدامةٍ قد خُضِبتَ في أيدي السقاةِ إلى الزنودِ[3]

---

[1] - **الديوان** : 207 .

[2] - **الديوان** : 49 .

[3] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة** (قسم شعراء الشام) 327/2 .

ومن الـصور الذوقيـة وهـي قليلـة فـي شـعر الهجـاء قـول الـشاغوري فـي ذم الـدنيا ، وتـصوير نسيمـسها الخـادع بالـشهد الـذي خالطـه سـم ،فكأنـه أفعى ، إذ يقول : " الطويل "

تخادِعنــا الــدنيا بطيــبِ نَــسيمها وَمـــا هـــو إلا الـــشّهد خالطَـــه الـــسم

وتلتَــذّ بالأنفــاس جهــلاً نُفوســنا وَمـــا نَفَـــس إلا وفيـــهِ لهـــا كَلْـــم[1]

وفـي إطـار الطـابع الحـسي ، اسـتخدم الهجـاؤون الـصورة الـشمية التـي تـوحي برائحـة المهجـو الكريهـة ، وهـي مـن الـصور المنفـرة ، علـى نحو ما يظهر في قول ظافر الحداد في أبخر : " المتقارب "

وذي بخَــرٍ[2] لــج فــي قَــسوةٍ وكـــان مـــن النّـــاس فـــي محفَـــل

فقــالوا لــه : كـف عنــا أذاك وإلا تــــنح إلــــى معـــزل

فلمــا تكلـــم قـــالوا لـــه أعــــدنا إلــــى حالنــــا الأول[3]

وقريـب مـن هـذا المعنـى مـا عبـر عنـه أبـو الغمـر الإسـناوي فـي أبخر آخر[4] .

وتوسـل الـشعراء فـي تـصويرهم إلـى العقـل ، فـشكلوا فـي هجـوهم صـوراً عقليـة " وهـي الـصور التـي ترتـد إلـى ثقافـة الـشاعر المتنوعـة ، فتجعلهـا مجـالاً خـصباً ولا تخلـو مـن الحـسية "[5] واتفـق مـع هـذا التعريـف

---

[1] - **الديوان** : 465 .

[2] - ذي بخر : البخر : الرائحة المتغيرة والنتنة . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (بخر) .

[3] - **الديوان** : 245 .

[4] - ينظر: العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 161/2 .

[5] - الشناوي ، علي الغريب محمد ، **الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي** 146 .

للصورة العقليـة ساسـين عـساف[1] ، ومـن شـواهدها ، قـول ابـن عنـين ينـتقص من مكانة أحد مهجويه : " الطويل "

إذا المرء لم يـشْرفْ بِـنَفْس كريمـةٍ وأَصــلٍ فمــا تَعلــو بجــاهٍ مراتِبــه
فما زاد قَدر القِـردِ حـين استَخَـصه يزيــد ولا حــطّ الحــسين مــصايبه[2]

فالــشاعر أعمــل عقلــه واســتلهم مــن التــاريخ لمهجــوه صــورة احتجاجيـة علـى اللحظـة الحاضـرة ، بموقـف يعادلهـا فـي اللحظـة الغـائرة ومـن التـاريخ ، فوظـف قـصة أوردهـا الـبلاذري مفادهـا أن، ليزيـد بـن معاويـة قـرداً ، كـان يجعلـه بـين يديـه ، ويقـول : هـذا شـيخ بنـي إسـرائيل أصاب خطيئـة فمـسخ ، وقيـل كـان يحملـه علـى أتـان وحـشية ويرسـلها مـع الخيل فيسبقها "[3] .

أما الـصورة الإيحائيـة ، فهـي كثيـرة فـي شـعر الهجـاء ، لأنهـا تعتمـد على التجسيم ، وقـد أوردنـا لهـا العديـد مـن النمـاذج ، كمـا فعـل ابـن عنـين حين خلع الحياة الإنـسانية فـي هجـوه علـى مـا لـيس بإنـسان[4] إلـى غيـر ذلـك من الصور الإيحائية .

والواضــح أن الــصور الــشعرية فــي شــعر الهجــاء زمــن الــزنكيين والأيوبيين ، هـدفت إلـى تـشويه صـورة المهجـو وتحقيـره فـي غالبيتهـا ، لـذا تفــنن الــشعراء فــي ابتــداع الــصور القبيحــة وإلــصاقها بــالمهجوين ، حتــى

---

1 - ينظر : **الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس** 38 .
2 - **الديوان** : 234 .
3 - **أنساب الأشراف** 287/4 .
4 - ينظر: **الديوان** : 188 .

غدت في بعضها تعكس للمهجو صورة غريبة ومشوهة ، كما في تلك الصورة التي رسمها محمود الإسكندراني لطبيب يهجوه ، قائلاً : " المنسرح "

صديقُنا المستَطبُ نادِرةٌ قد أخذَت مِنْهُ أعينُ النّاس
أنْيابُ غولٍ ومِشْفَرا جملٍ ورأس بغلٍ وذَقْنُ نسناس[1]

وقريب من تلك الصورة ، ما فعله ابن الساعاتي في تصوير مهجوه بصورة غريبة ، فبدا متنافر التكوين ، إلى درجة إخراجه من سلالة البشر إلى البهائم ، إذ يقول : " الطويل "

يلوح لنا في صورةٍ آدميةٍ وليستْ على التّحقيق مِن نَسل آدمِ
له شِبه إنسانٍ إذا ما رأيتَه فإن نَسبوه فهو إحدى البهائمِ[2]

وبعض الصور الهجائية هدفت إلى الإقناع ، بإيراد قضية ثم الإتيان بما يثبت صحتها ، وهذا طريق التشبيه الضمني ، ومن شواهدها قول أسامة بن منقذ في أحد أقاربه : " البسيط "

بعداً لمن شره أعمى يصيب ولا يرى مكان الأعادي مِن ذوي النسبِ
كالنّار تحرقُ طبعاً لا تميز بينْ ـن المنْدل الرطْبِ ، في الإحراق والحطبِ[3]

---

[1] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة** (قسم شعراء مصر)100/2 .
[2] - **الديوان** : 137/1 .
[3] - **الديوان** : 245 .

ونـزع بعـض الـشعراء فـي صـورهم الهجائيـة إلـى التـضخيم والمبالغـة ، أي إبـراز الفـضائل الخلقيـة للمهجـو بمظهـر سـاخر فيمـا يـشبه التـصوير الكاريكـاتوري ، كمـا فعـل القاضـي الفاضـل فـي الـسخرية مـن مهجوه ، إذ يقول : " الكامل "

وجـه عليـه مِـن القَباحـةِ مِـسحةٌ ... ظَلَـم النهـار وقَـد رآه فَأظْلمـا

وعليـه أنـفٌ قَـد أُجيبـتْ دعـوةٌ ... فيـه مـن الـداعي عليـه ، فأُرغِمـا

فلَـو انـه ذَنْـب لكـان كبيـرةً ... ولَـو انـه طَـود لكـان مقطمـا

بـرص يرينـا مِنـه جِلـداً أبيـضاً ... وأذًى يرينـا مِنْـه جلـداً أسـحما

لـو شـئتُ أن أرقـى لِنَيـل قُرونِـهِ ... لجعلْـتُ ذاك الكِتْـفَ تحتـي سـلما[1]

وخلاصـة الحـديث إن الـصورة الهجائيـة زمـن الـزنكيين والأيـوبيين ، صـورة جزئيـة بـسيطة لا أثـر فيهـا للتعقيـد ، وقـد بـدت قريبـة مـن أفهـام الـسامعين ، وفـي إطـار قـدرات عامـة النـاس ، ومـداركهم العقليـة والحـسية ، وتلـك سـمات تتوافـق وطبيعـة غـرض الهجـاء ، الـذي يهـدف بالأصل إلـى التـأثير فـي نفـوس المهجـوين ، وإلـى سـرعة الانتـشار والعلـوق في الأذهـان بقـصد التـشهير بهـم ، وكـل ذلـك يتطلـب إطالـة التأمـل والتفكيـر في ابتـداع الـصورة حتـى لا تفقـد خاصـيتها ، ويجِـد فـي تحقيـق هـدفها ، لأن الـصورة المبتدعـة تحتـاج إلـى تأمـل عميـق حتـى يـتمكن المتلقـي مـن فهـم معناها ، والإحاطة بدلالتها .

---

[1] - **الديوان** : 434/2 .

الخاتمة

تناولت في هذا البحث اتجاهات شعر الهجاء في مصر والشام زمن الزنكيين والأيوبيين ما بين (489 – 648 هـ) بالدراسة والتحليل ، وأبرزت من خلاله موضوعات شعر الهجاء في تلك الفترة واتجاهاته المتعددة والدوافع التي أدت إلى سلوك الشعراء نحو هذا الاتجاه أو ذاك ، وتكاثفت عوامل عدة وأحداث مختلفة في إبراز ملامح الشعر ومقاصده السياسية والاجتماعية والشخصية ، ولم يكن الهدف من هذه الدراسة إبراز الجوانب السلبية للمجتمع في تلك الفترة أو إعطاء الانطباع لدى القارئ أن تلك المظاهر السلبية هي واقع المجتمع الحقيقي ، بل إن الصور المشرقة لتلك الحقبة أكثر بكثير من الصور السلبية، ويكفينا من صوره المشرقة مقارعة الصليبيين، وتحرير بيت المقدس .

وأبرز النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة ما يلي :

- كثرة الهجاء الشخصي الذي دل على أنه اتجاه بارز من اتجاهات شعر الهجاء ، وقد تعددت مضامينه ومحاوره وتباينت مستوياته الشعرية المعروضة من نموذج إلى آخر ، فمن نماذج هجائية أظهر أصحابها من خلالها روح الدعابة والسخرية الهادفة ، إلى نماذج تعافها النفس ، ويمتنع منها القلم عن الكتابة كونها لا تتعدى دائرة السباب والقذف والفحش ، مما أفقدتها قيمتها الفنية وهي في هذا المجال كثيرة كثرةً مفرطة .
- أظهرت بعض نماذج الهجاء الشخصي خروج بعض نماذج الهجاء الشخصي عما كان مألوفاً عند بعض الشعراء في تحويل بعض المظاهر الخلقية التي كانت مبعثاً للحسن والجمال إلى مبعث للقبح والتنفير ومنها " الخال " و " والعذار " .
- كشف الهجاء الاجتماعي بعض صور الفساد التي سادت قطاعات المجتمع ، وأظهر مواكبة الشعر لحياة الناس اليومية ، والتمييز

الطبقـي ، وسـوء الأحـوال الاقتـصادية ، كمـا بـين واقـع حيـاة شـعراء هـذا العصر ، فبـدوا فـي غـالبيتهم مـن الطبقـات الفقيـرة التـي لـم تحـصل علـى مكانة عالية عند حكام الدولتين .

- بـين الهجـاء الـسياسي جـسامة الأحـداث التـي وقعـت علـى سـاحة المـسلمين فـي مـصر والـشام ، فكـان سـجلاً تاريخيـاً شـهر بالشخـصيات الانتهازيـة ، وفـضح العمـلاء والمتـآمرين علـى الأمـة أوقـات الـشدة ، وهـذا ديدنهم في كل زمن .

- لم يكـن الهجـاء الـسياسي موضـوعاً مـستقلاً بذاتـه ، وإنمـا جـاء فـي ثنايا قـصائد مـدح القـادة وشـعر الجهـاد التـي تراوحـت بـين الـدعوة للوحـدة ووضــع مــصلحة الأمــة فــي مقدمــة المــصالح ، و بــين توجهــات أخــرى تدفعها المصالح الشخصية المتبدلة للانضواء تحت راية دون أخرى .

- وفـي الجانـب الفنـي بـدا أن المقطوعـة القـصيرة هـي الـشكل الغالـب على بنـاء القـصيدة الهجائيـة زمـن الـزنكيين والأيـوبيين ، ولعـل ذلـك يعـود إلى طبيعة شعر الهجاء الـذي يميـل إلـى الإيجـاز والتكثيـف ، وهـو مـا سـعى إليه الـشعراء لتحقيـق مـآربهم وتوصـيل رسـائلهم بأسـرع وقـت ممكـن ، أمـا مــا ظهــر مــن قــصائد طويلــة ، فنماذجهــا قليلــة ولا تــسترعي أن يقــف الــدارس عنــدها طــويلاً كونهــا لا تختلــف عــن المقطوعــات إلا فــي كثــرة الوصف ليس إلا .

- اعتمـد الـشعراء فـي هجـوهم علـى اللغـة الـشعبية الـسهلة والقريبـة مـن الأفهـام ، التـي لا تحتـاج إلـى الوقـوف طـويلاً لفهـم معانيهـا ، وسـادت اللغة اليومية المحلية والدارجة بين أفراد المجتمع العاديين .

- لـم تكـن أوزانهـم الـشعرية خارجـةً عـن الأوزان التـي نظـم فيهـا الـشعراء القـدامى ، إنمـا بـدت عنـدهم ظـاهرة لافتـة للانتبـاه وهـي كثـرة نظمهــم علــى الأوزان المجــزوءة ،والبحــور الخفيفــة ، وأكثــروا مــن المحــسنات البديعيــة التــي تحــدث جرســاً موســيقياً كالتقــسيم والترصــيع ،

إضـــافة إلـــى بـــروز ظـــاهرة الاكتفـــاء فـــي الـــشعر وبخاصـــة عنـــد ابـــن الساعاتي .

- جـاءت صـور الهجـاء فـي غالبيتهـا بـسيطة لا أثـر فيهـا للتعقيـد ، واسـتمدها الـشعراء مـن واقـع بيئـي معقـد ومـا يء بالمفاسـد ، وأظهـرت ارتبـاط الـشعراء واتـصالهم بتـراث أمـتهم الأدبـي والتـاريخي والعلمـي ، وبينت معرفتهم بكثير من العلوم والمعارف .

وأخيـراً يوصـي الباحـث بتوصـيات لعلهـا تكـون مفيـدة أمـام البـاحثين لتلك الفترة :

1. دراسة الصورة الشعرية في شعر ابن عنين .
2. دراسة شعر الشعراء الأمراء من بني أيوب .
3. دراسة السخرية الشعرية في شعر الزنكيين والأيوبيين .
4. دراسة ألوان البديع في شعر الزنكيين والأيوبيين .

ملحق بتراجم الأعلام

- **إبراهيم الشيباني** :

هو إبراهيم بن عرب بن عبد الرحمن الشيباني ، ذكر ابن الشعار أنه شاعر هجاء من أهل الشام ، وقد ولد ببيت المقدس . ينظر : ابن الشعار ، عقود الجمان 153/ا .

- **أسامة بن منقذ :**

هو أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد ... من أولاد ملوك شيزر ، وأحد الشعراء المشهورين وأبطالهم أيام الحروب الصليبية ، له عدة تصنيفات منها كتاب الاعتبار وديوان شعر ، توفي سنة 584 هـ . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام) 499/1 ، وابن كثير ، البداية والنهاية 482/8 ، المنذري ، التكملة في وفيات النقلة 95/1 / 96 .

- **أبو إسحق الغزي :**

هو إبراهيم بن يحيى بن عثمان الكلبي الأشهبي المعروف بالغزي ، كان مولده في غزة الشام ، شاعر محسن ، له ديوان شعر وذكر أن له خمسة آلاف بيت ، توفي سنة (524 هـ) . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام) 3/1-75 ، اليافعي ، مرآة الجنان 230/3 – 240 .

- **الأسعد بن مماتي :**

هو أبو المكارم أسعد بن الحظير أبي سعيد مهذب بن مينا بن زكريا ، أحد الكتاب في الديوان الفاضلي ، وأصله من نصارى أسيوط له مصنفات كثيرة ، وديوان شعر ، توفي سنة (606 هـ) . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء مصر) 100/1 ، ابن كثير ، البداية والنهاية 558/8 ، ياقوت ، معجم الأدباء 100/6 ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان 95/1 .

- **ابن أبي الإصبع العدواني :**

هو عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر ... الطائي ، أصله من الميمون قرية من كورة ، شاب أسمر اللون ، حسن الفكاهة ينظر : اليونيني ، ذيل مرآة الزمان 21/1-23 ، ابن الشعار ، عقود الجمان 163/3 ، كحالة ، معجم المؤلفين 265/5 ، إسماعيل البغدادي ، إيضاح المكنون 231/1 ، 391/2 .

- **البديع الدمشقي :**

هو أبو فراس طراد بن علي بن عبد العزيز الدمشقي الكاتب المعروف بالبديعي ، وكان آية في النظم والنثر ، مدح الوزير أبا الليث فأجازه ألف درهم (ت 524 هـ) . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام) 270/1 ، الكتبي ، فوات الوفيات 133/2 ، ياقوت الحموي ، معجم الأدباء 19/12- 22 .

- **تاج الدين البلطي :**

هو أبو الفتح عثمان بن عيسى بن منصور ، أصله من بلدة يقال له بلط بالقرب من الموصل ، أقام بدمشق يتردد على الزبداني للتعليم (ت 599 هـ) . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام) 385/2 ، ياقوت الحموي ، معجم الأدباء 141/12 .

- **ثقة ا بن جرادة :**

هو القاضي ثقة الملك الحسن بن علي بن أبي جرادة ، شاعر من أهل حلب ، سافر إلى مصر ، وكان على صلة بالوزراء (ت 551 هـ) . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام) 197/2 .

- **ابن جبير :**

- **هو** أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير ... الكناني الأندلسي ، ولد في بلنسية ، ورجل إلى المشرق ثلاث مرات ، له ديوان شعر (ت 614 هـ) . ينظر : ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة 221/6 ، الزركلي ، الأعلام 319/5 .

- **جرجس الفيلسوف :**

- قيل بأنه طبيب من أهل أنطاكية يسمى جرجس ولقب بالفيلسوف ، وقد أكثر من هجاء طبيب يهودي يدعى ابن رحمون . ينظر : ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء 568 ، العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام) 186/2 .

- **الجرز الكاتب :**

- **هو** هبة ا بن الحسين بن محمد بن هبة ا ... أبو المعالي الملقب بالجرز كان أديباً فاضلاً شاعراً يكتب خطاً حسناً (ت 590 هـ) . ينظر : الكتبي ، فوات الوفيات 236/2 .

- **الجهجمان :**

- شاعر مصري ، وقيل بأنه دُعي بالشريف الوبر ، له أشعار كثيرة في ابن بري النحوي . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء مصر) 132/2 ، ابن سعيد ، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة 343 .

- **الجليس بن الحباب الأغلبي :**

- **هو** القاضي الجليس أبو المعالي عبد العزيز بن الحسين بن الحباب الأغلبي ، من شعراء الدولة الفاطمية ، كان أوحد عصره نظماً ونثراً ، ترسلاً وشعراً (ت 561 هـ) . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء مصر) 198/1 ، الكتبي ، فوات الوفيات 332/2 ، باسم الجليس بن الحباب ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان 223/7 .

- **الحافظ بن عساكر :**

هو علـي بـن الحـافظ بـن الحـسين بـن عـساكر الحـافظ الدمـشقي ، أحــد أئمــة الحــديث المــشهورين مــن مــصنفاته تــاريخ دمــشق ، الشيوخ النبـل ، وتبيـين كـذب المفتـري علـى أبـي الحـسن الأشـعري (ت 571 هــ ـ) . ينظــر : العمــاد الأصــفهاني ، الخريــدة (قــسم شــعراء الــشام) 274/1 ، يــاقوت الحمــوي ، معجــم الأدبــاء 87/13 ، ابن كثير ، البداية والنهاية 441/8 – 442 .

- **خالد بن سنان :**

هـو خالـد بـن سـنان الإسـكندري ، أحـد شـعراء مـصر كمـا ذكـر العمـــاد الأصـــفهاني فـــي خريدتـــه وأورد لـــه بعـــض الأشـــعار . ينظـــر : العمـــاد الأصـــفهاني ، الخريـــدة (قـــسم شـــعراء مصر) 1018/2 .

- **ابن الخل :**

هو أحمد بن المبارك بـن محمـد بـن عبـد ا أخـو ابـن الخـل الفقيـه محمـد بـن المبـارك (ت 552 هــ ـ) . ينظـر : الـصفدي ، الـوافي بالوفيات 303/7-304 ،ابن خلكان ، وفيات الأعيان 227/4 .

- **ابن دنينير :**

هـو شـرف الـدين إبـراهيم بـن محمـد بـن إبـراهيم ، مـن شـعراء الــشام ، عاصــر الملــك غــازي صــاحب حلــب (ت 627 هــ ـ) . ينظــر : الــصفدي ، الــوافي بالوفيــات 126/6 ، المقريــزي ، المقفى الكبير 272/1 – 273 .

- **ابن الذِروي :**

هـو وجيـه الـدين أبـو الحـسن علـي بـن يحيـى المـصري ،شـاعر وقاضٍ نشأ فـي مـصر ، ولقـب الـذروي نـسبة إلـى ذروة مـن بـلاد الــيمن ، لــه ديــوان شــعر (ت 575 هــ ـ) . ينظــر : الكتبــي ، فــوات الوفيــات 113/3 ، وقيــل تــوفي ســنة 577 هــ ـ . ينظـر :

أبو شامة المقدسي ، الروضتين 68/3 ، ابن سعيد ، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة 333 – 334 .

- **الرشيد النابلسي :**

هو عبد الرحمن بن بدر بن الحسن المعروف بلقب " مداوية " امتدح بعض ملوك بني أيوب فأكرموه لفضل أدبه (ت 619 هـ). ينظر: ابن خلكان ، وفيات الأعيان 266/5 ، الكتبي ، فوات الوفيات 275/2 .

- **ابن الرقيق :**

هو عبد المحسن الإسكندري ومن شعراء الخريدة ، كان كثير الهجو ، وله معرفة بصناعة الطب والهندسة ، وله شعر جيد . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء مصر) 223/2 .

- **ابن روبيل الأبار:**

هو أبو محمد الحسن بن يحيى بن روبيل الأبار الدمشقي من أهل دمشق ، كان شيخاً مطبوعاً ديّناً لا يشرب الخمر ولا يقرب المنكر ،وله دكان في سوق الأبارين يبيع الإبر(ت 532 هـ) . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام) 261/1 ، ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب 6/ 160 .

- **ابن رواحة الحموي :**

هو الفقيه أبو علي الحسين بن رواحة الأنصاري الحموي ، شاعر مفلق وفقيه محقق (ت 585 هـ) . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام) 481/1 ، الكتبي ، فوات الوفيات 376/1 ،أبو شامة المقدسي ، الروضتين 58/3 .

- **الزكي القوصي :**

هو عبد الرحمن بن وهيب بن عبد الله ، زكي الدين القوصي الكاتب ، وزر للمظفر صاحب حماة ، كان فاضلاً ، ونثره متفنناً للكتابة (ت 631 هـ) . ينظر: الكتبي ، فوات الوفيات 304/2 ، والأعلام 315/3 .

- **الزمخشري :**

هو محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري ، لُقب بجار الله لمجاورته بيت الله الحرام ، له ديوان شعر ، يندرج فيما يسمى بـ " شعر العلماء " ، له مؤلفات عدّة أبرزها الكشاف في التفسير (ت 538 هـ) . ينظر : ابن كثير ، البداية والنهاية 360/8 .

- **ابن الساعاتي :**

هو أبو الحسن علي بن محمد بن رستم ، نشأ في دمشق ، وله مدائح في بعض ملوك بني أيوب ، وعُرف بابن الساعاتي لأن والده كان مشهوراً في معرفة الساعات (ت 604 هـ) . ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان 395/3 – 397 ، ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة 34/6 ، ابن سعيد الأندلسي ، الغصون اليانعة 118 .

- **سعادة الحمصي الضرير :**

هو سعادة بن عبد الله بن أحمد من أهل حمص ، كان ضريراً مملوكاً لبعض الدمشقيين ، سافر إلى مصر أول عهد صلاح الدين . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام) 406/1 ، الصفدي ، نَكْت الهميان في نكت العميان 157 - 158 .

- **سلامة السنجاري :**

هو سلامة بن الزراد السبخاري ، يذكر العماد أنه عاش بعد الخمسمائة . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام)400/2 ، الصفدي ، الوافي بالوفيات 327/15 .

- **سليمان بن بليمان :**

هو أبو الحسين بن ليمان الصائغ لقب بأبي الربيع ، شاب قصير صاحب ماجن وأهازيج ، مولده برعيان بين حلب وسميساط . ينظر: الصفدي ، الوافي بالوفيات 356 -358 ، ابن الشعار ، عقود الجمان 67/2 -68 .

- **ابن سناء الملك :**

هو القاضي السعيد أبو القاسم هبة الله بن القاضي الرشيد .. السعدي ، شاعر مصري صاحب ديوان الشعر البديع والنظم الرائق (ت 608 هـ) . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء مصر) 64/1 ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان 61/6 – 66 .

- **الشلعلع :**

هو ابن زيد بن خلف بن محمد بن أبي حامد بن العباس القرشي ، يذكر العماد أنه من أهل عصره ، شعره متوسط ومقبول . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام) 124/2 ، ابن سعيد الأندلسي ، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة 342 .

- **ابن شمس الخلافة :**

هو جعفر بن مختار الأفضلي ، شاعر مصري (ت 622 هـ). ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان 362/1 ، الزركلي ، الأعلام 128/2 .

- **الشواء :**

هو أبو المحاسن يوسف بن إسماعيل الحلبي ، شاعر مصقول الكلام ، له ديوان شعر من أربعة أجلاد ، وله مؤلفات عدّة (ت 635 هـ) ينظر : ابن الشعار ، عقود الجمان 145/8-146 ، الطباخ الحلبي ، أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء 397/4 ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان 231/7 .

- **طلائع بن رزيك :**

هو أبو الغارات طلائع بن رزيك الملقب الملك الصالح ، وزير مصر ، وتولى الوزارة أيام الفائز، مات مقتولاً سنة 556 هـ . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء مصر) 173/1 ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان 540/2 .

- **ظافر الحداد :**

هو أبو المنصور ظافر بن القاسم بن منصور الإسكندراني ، من شعراء مصر المجيدين ، له ديوان شعر أكثره جيد (ت 528 هـ) . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء مصر) 17/1 ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان 540/2 .

- **أبو عبد ا الأزدي :**

هو أبو عبد ا محمد بن إبراهيم بن مفضل الأزدي ، لقب بابن هانئ الأصغر ، يذكر أن له ديوان شعر (ت 560 هـ). ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام) 248/1 ، الزركلي ، الأعلام 295/5 .

- **أبو عبد ا الأشتري :**

هو محمد بن أبي الفتح بن أبي بكر ... الأشتري الأصل ، ولد ونشأ في مصر وقيل إنه من أولاد مالك بن الأشتري . ينظر : ابن الشعار ، عقود الجمان 303/6 ، ابن سعيد الأندلسي ، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة 349 .

- **ابن عبد الله الشهرزوري :**

هو شمس الدين القاسم بن عبد الله الشهرزوري ، تولى قضاء الموصل ، وهو من الوعاظ المقبولين (ت 530 هـ) . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام) 328/2 ، السبكي ، طبقات الشافعية 295/4 .

- **أبو عبد الله النجار :**

هو أبو عبد الله محمد بن علي البواب الموصلي النجار ، من شعراء القرن السادس الهجري ، يذكر أنه كان بمصر سنة 572 هـ ، روى له مقطعات شعرية جيدة . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام)392/2 ، الصفدي ، الوافي بالوفيات 159/4 .

- **عرقلة الكلبي :**

هو أبو الندى ، حسان بن نمير الكلبي الدمشقي ، شاعراً مطبوعاً خليعاً مائلاً إلى القصر ، معاشراً للأمراء مُستظرف الهجاء (ت 567 هـ) . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام)178/1 ، الكتبي ، فوات الوفيات 313/1-318 .

- **عبد المنعم الإسكندري :**

هو عبد المنعم بن صالح بن أحمد بن محمد القرشي الإسكندري النحوي ، رجل مطبوع المعاشرة ، وله شعر حسن في الهجو (ت 633 هـ). ينظر : ابن الشعار ، عقود الجمان 127/3 ، المنذري ، التكملة 411/3 .

- **علم الشاتاني :**

هو أبو علي الحسن بن سعيد بن عبد الله ، بن بندار بن إبراهيم الشاتاني ، أكرمه العادل نور الدين (ت 579 هـ) . ينظر :

العمـاد الأصـفهاني ، الخريـدة (قـسم شـعراء الـشام)361/2 هـ ـ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان 113/2 .

- **أبو الغمر الإسناوي :**

هو محمـد بـن علـي الهاشـمي شـاعر مـصري ، وقيـل إنـه أشـعر أهـل زمانـه ، وأفـضل أقرانـه (ت 547 هـ ـ) . ينظـر : العمـاد الأصـفهاني ، الخريـدة (قـسم شـعراء الـشام) 158/2 ، الأدفوي ، الطالع السعيد 315 .

- **فتيان الشاغوري :**

هـو شـهاب الـدين أبـو محمـد فتيـان بـن ثمـال الأسـدي الدمـشقي المعـروف بالـشاغوري المعلّـم ، كـان عارفـاً بعلـم اللغـة والأدب ، خـدم الملـوك وعلـم أولادهـم ، ولـه ديـوان شـعر مطبـوع (ت 615 هـ ـ) . ينظـر : العمـاد الأصـفهاني ، الخريـدة (قـسم شـعراء الـشام) 247/1 ، ابـن خلكـان ، وفيـات الأعيـان 24/4 ، ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة 226/6 .

- **ابن الفراش :**

هو القاضـي شـمس الـدين أبـو عبـد ا محمـد بـن محمـد ، شـاعر دمـشقي ، عمـل فـي خدمـة نـور الـدين زنكـي ومـن بعـده صـلاح الـدين تـوفي بمالطـة سـنة (588 هـ ـ) . ينظـر : أبـو شـامة المقدسـي ، الروضـتين 203/4 ، ابـن كثيـر ، البدايـة والنهايـة 503/8 .

- **أبو الفضل الحموي :**

هـو أبـو الفـضل جعفـر الحمـوي ، وذكـر ابـن ظـافر الأزدي أنـه كان فقيهـاً ، وذكـر لـه بعـض الأشـعار بداهـة . ينظـر: ابـن ظـافر الأزدي ، بدائع البدائه 109 .

- **أبو الفضل الشهرزوري :**

هـو أبـو الفـضل كمـال محمـد بـن أبـي محمـد بـن عبـد ا ... الـشهرزوري الموصـلي ، قـاض وأديـب وشـاعر فكـه ، لـه نظـم قليـل (ت 571 هـ) . ينظـر : العمـاد الأصـفهاني ، الخريـدة (قـسم شـعراء الـشام) 323/2 ، ابـن كثيـر ، البدايـة والنهايـة 443/8 .

- **ابن قادوس :**

هـو محمـود بـن إسـماعيل بـن قـادوس القاضـي ، أبـو الفـتح المـصري ، صـاحب ديـوان الإنـشاء بالـديار المـصرية ، أصـله مـن دميـاط (ت 551 هـ) . ينظـر : العمـاد الأصـفهاني ، الخريـدة (قـسم شـعراء مـصر) 226/1 ، ابـن كثيـر ، البدايـة والنهايـة 377/8 .

- **عمارة اليمني :**

هو نجم الدين أبو محمـد عمـارة بـن أبـي الحـسن بـن زيـدان أحمـد الحكمي ، لـه ديـوان شـعر مطبـوع ، ومـن مـصنفاته كتـاب النكـت العـصرية (ت 569 هـ) . ينظـر : الـصفدي ، الـوافي بالوفيـات 384/22 ، ابـن كثيـر ، البدايـة والنهايـة 422/8 ، الـسيوطي ، حسن المحاضرة 460/1 .

- **علي بن عرام :**

هو أبو الحسن علـي بـن أحمـد بـن عـرام الـسريعي ،ذُكـر أنّـه مـن شعراء الـصعيد ، يقـيم بأسـوان فـوق قـوص ، وذكـر العمـاد أن لـه ديـوان شـعر حـسن (ت580 هـ). ينظـر : العمـاد الأصـفهاني ، الخريـدة (قـسم شـعراء مـصر) 165/2 ، الـصفدي ، الـوافي بالوفيات 322/5 ، الأدفوي ، الطالع السعيد 371 .

- **ابن عنين :**

هو أبو المحاسن محمد بن نصر ا بن مكارم بن حسن بن عنين الأنصاري الدمشقي ، له ديوان مطبوع ، وقصيدة مقراض الأعراض في نحو (500) بيت ، ومصنفات أخرى ، تولى الكتابة للملك المعظم في آخر دولته (ت 630 هـ) . ينظر : الصفدي ، الوافي بالوفيات 122/5 – 127 ، ابن الوردي ، تتمة المختصر 164/2 ، الذهبي ، الإعلام بوفيات الأعلام 425/2 .

- **القاضي الفاضل :**

هو عبد الرحيم بن علي بن السعيد العسقلاني ، وزير من أئمة الكتاب ، كان من وزراء السلطان صلاح الدين ، له ديوان شعر مطبوع (ت 569 هـ) . ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان 156/6 ، السبكي ، طبقات الشافعية 166/7 – 168 .

- **ابن قسيم الحموي :**

هو مسلم بن الخضر بن المسلم بن قسيم ، أبو المجد التنوخي الحموي ، من شعراء عماد الدين ، يُقال أنه كان خادم ، له ديوان شعر مطبوع (ت 541 هـ)ينظر: العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام) 433/1 ، الكتبي ، فوات الوفيات 134/4 – 135 .

- **القفطي :**

هو علي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد ... القفطي ، كان أديباً شاعراً ، مولعاً بجمع الكتب ، ولي الوزارة للملك العزيز وابنه (ت 646 هـ) . ينظر : ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة 186 ، الكتبي ، عيون التواريخ 26/20 ، ياقوت الحموي ، معجم الأدباء 175/15 .

- **ابن قلاقس :**

هـو أبـو الفتـوح نـصر الله بـن عبـد الله ... الإسـكندري ، كـان شاعراً مجيـداً ، ولقـب بالقاضـي الأعـز ، لـه ديـوان شـعر مطبـوع (ت 567 هــ) . ينظـر : العمـاد الأصـفهاني ، الخريـدة (قـسم شـعراء مـصر)145/1 ، بروكلمـان ، تـاريخ الأدب العربـي 64/5 .

- **ابن القلانسي :**

هو حمـزة بـن أسـد بـن صـغير بـن داغـر المخزومـي القيـسراني ، شـاعر مجيـد ، مـن شـعراء نـور الـدين زنكـي ، لـه ديـوان شـعر مطبـوع (ت 548 هــ) . ينظـر : العمـاد الأصـفهاني ، الخريـدة (قـسم شـعراء الـشام) 96/1 ، يـاقوت الحمـوي ، معجـم الأدبـاء 64/19 ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان 458/4 .

- **ابن المجاور :**

هو نجم الدين بـن مجـاور يوسـف بـن الحـسين ، مـن بيـت مـشهور بدمشق ، عمل فـي خلافـة الـسلطان صـلاح الـدين ثـم ابنـه العزيـز (ت 601 هــ) . ينظـر : ابـن سـعيد الأندلـسي ، الغـصون اليانعـة 19-25 ، المنذري ، التكملة في وفيات النقلة 30/2-31 .

- **أبو المجد المعري :**

هو محمد بن عبـد الله بـن محمـد ، أديـب وفقيـه مـن أهـل المعـرّة ، (ت 523 هــ) . ينظـر : لعمـاد الأصـفهاني ، الخريـدة (قـسم شعراء الشام) 7/2 ، الصفدي ، الوافي بالوفيات 334/3 .

- **أبو محمد عبد الله الطباخ الكاتب :**

ذكـر العمـاد أنـه واحـد مـن شـعراء مـصر ، عاصـر الأفـضل الجمـالي المتـوفى سـنة 515 هــ ، ولـم يـذكر شـيئاً عـن حياتـه سوى أبيـات لـه فـي الهجـو . ينظـر : العمـاد الأصـفهاني ، الخريـدة (قسم شعراء مصر) 98/2 .

- **محمود الإسكندراني :**

هـو محمـود بـن ناصـر الإسـكندراني ، مـن أهـل الأدب البـارع والـشعر الرائـع ، ولـه معرفـة بعلـم الهندسـة والمنطـق وعلـوم الأوائـل ، وذكـر العمـاد أنـه كاتـب ابـن حديـد (ت 525 هـ) . ينظـر : العمـاد الأصـفهاني ، الخريـدة (قـسم شـعراء مـصر) 100/2 .

- **ابن المسجف :**

هو عبـد الـرحمن بـن أبـي القاسـم بـن غنـائم بـن يوسـف ... أبـو محمـد الكنـاني المعـروف بـابن المـسجف ، شـاعر هجـاء متـسلط على أعـراض الكبـراء مـن النـاس ، اكتـسب بالـشعر ثـروة واسـعة (ت 635 هـ). ينظـر : ابـن الـشعار ، عقـود الجمـان 333/3 ، المقريـزي ، المقفـى الكبيـر 51/2 ، المنـذري ، التكملـة فـي وفيـات النقلة 493/3 .

- **أبو المشرف الدجرجاوي :**

شاعر من أهل مـصر ، لـه أشـعار فـي هجـو القـضاة ، ذكـر يـاقوت الحموي في معجم البلـدان فـي حديثـه عـن دجرجـا ، لـه شـعر جيـد، ينظـر : العمـاد الأصـفهاني ، الخريـدة (قـسم شـعراء مـصر) 66/2 .

- **ابن مطروح :**

هو جمـال الـدين يحيـى بـن عيـسى بـن مطـروح ، ولـد بأسـيوط ، خـدم الملـك الـصالح أيـوب ، لـه ديـوان شـعر مطبـوع (ت 649 هـ) . ينظـر : الـذهبي ، تـاريخ الإسـلام ، حـوادث ووفيـات 648 هـ ، ابـن تغـرى بـردي ، النجـوم الزاهـرة 27/7 ، ابـن خلكان ، وفيات الأعيان 258/6 – 266 .

- **ابن مقدام المحلي :**

هو داود بن مقدام بـن ظفـر المحلـي ، يـذكر العمـاد أنـه عـاش فـي عـصره ، ونـسبه يـاقوت إلـى المحلـة .ينظـر : العمـاد الأصـفهاني ، الخريـدة (قـسم شـعراء مـصر) 45/2 ، يـاقوت الحمـوي ، معجـم البلدان 63/5 .

- **ابن مكنسة :**

هـو أبـو طـاهر إسـماعيل بـن محمـد الإسـكندراني المعـروف بـابن مكنـسة (ت 510 هــ) . ينظـر : العمـاد الأصـفهاني ، الخريـدة (قـسم شـعراء مـصر) 203/2 ، الكتبـي ، فـوات الوفيـات 194/1 .

- **ابن منكلان التنيسي :**

يذكر العماد أنـه مـن شـعراء مـصر فـي القـرن الـسادس الهجـري . ينظر:العماد الأصفهاني ،الخريدة (قسم شعراء مصر)42/2 .

- **ابن منير الطرابلسي :**

هو أبو الحسين أحمـد بـن منيـر بـن مفلـح الطرابلـسي، شـاعر كثيـر الهجـاء خبيـث اللـسان لـه ديـوان شـعر مطبـوع (ت 548 هــ) . ينظـر : العمـاد الأصـفهاني ، الخريـدة (قـسم شـعراء مـصر) 96/1 ، ابـن خلكـان ، وفيـات الأعيـان 156/1 ، ابـن القلانـسي ، ذيل تاريخ دمشق 322 .

- **المهذب بن الزبير :**

هو ابن علي بن الزبيـر ويكنـى المهـذب أبـو محمـد الحـسن ، وأخـو الرشـيد بـن الزبيـر لـه شـهر كثيـر (ت 561 هــ) . ينظـر : الكتبـي ، فـوات الوفيـات 124/1 ، العمـاد الأصـفهاني ، الخريـدة (قسم شعراء مصر) 204/1 ،الأدفوي، الطالع السعيد 100 .

- **ابن المهنّا :**

- **هو** أبو محمد عبد القـاهر بـن علـوي بـن المهنـا ، يـذكر العمـاد أنـه لقيه في حماه ، وقيـل أنـه تـولى قـضاء معـرّة بـن قـصرين .ينظـر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام) 98/2 .

- **الناجي المصري :**

- شاعر هجـاء سـار مـن مـصر إلـى الـيمن ، ومـدح الأميـر المقـدم فـضل بـن أبـي البركـات الحميـري . ينظـر : العمـاد الأصـفهاني ، الخريـدة (قـسم شـعراء مـصر) 102/2 ، ابـن سـعيد الأندلـسي ، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة 330 .

- **نبأ الزعفراني :**

- **هـو** نبـأ بـن أبـي غـانم حـسين بـن عبـد الـسيد المعـروف بـابن الزعفرانـي ، مـن أهـل حلـب صـار أحـد شـعراء دولـة الملـك الظـاهر بـن أيـوب (ت 627 هـ) . ينظـر : ابـن الـشعار ، عقود الجمان 224/8 – 226 .

- **نجم بن أبي درهم :**

- **هـو** نجـم بـن عبـد المـنعم بـن الحـسن بـن الخـضر أبـو الثريـا الحلبـي ، المعـروف بتـبن درهـم ، أحـد شـعراء الـشام . ينظـر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام) 182/2 .

- **أبو نصر الدندان :**

- **هو** أبو نصر بـن الدنـدان الآمـدي ، مـن شـعراء الـشام المتـأخرين ، لـه أشـعار لطيفـة فـي الهجـاء . ينظـر : العمـاد الأصـفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام) 456/2 .

- **نصر الهيتي :**

هـو نـصر بـن الحـسين الهيتـي الدمـشقي ، يـذكر العمـاد أنـه لقيـه بدمـشق ،وتـوفي بعـد سـنة 565 هـ ـ . ينظـر: العمـاد الأصـفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام) 230/2 .

- **ابن النقاش الرحبي :**

أحـد شـعراء الـشام ومـن الرّحبـة ، عـاش فـي عهـد أسـد الـدين شـيركوه . ينظـر : العمـاد الأصـفهاني ، الخريـدة (قـسم شـعراء الشام) 264/2 ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان 33/3–34 .

- **هبة ا الأسواني :**

هو هبة ا بـن علـي بـن عـرام الأسـواني ، شـاعر مـصري ، قيـل إن لـه ديـوان شـعر نقحـه لنفـسه ، وصـححه ، وقفّـى قوافيـه علـى ترتيـب الحـروف (ت 550 هـ ـ) . ينظـر : العمـاد الأصـفهاني ، الخريـدة (قـسم شـعراء مـصر) 186/2 ، الأدفـوي ، الطـالع السعيد 701 .

- **هبة ا بن وزير :**

هـو النجيـب أبـو المكـارم ، هبـة ا بـن وزيـر المـصري ، مـن شعراء الخريـدة ، يـذكر العمـاد أنـه لقيـه بمـصر سـنة 573 هـ ـ . ينظـر : العمـاد الأصـفهاني ، الخريـدة (قـسم شـعراء مـصر) 143/2 ، ابـن سـعيد الأندلـسي ، النجـوم الزاهـرة فـي حلى حضرة القاهرة 340 .

- **وحيش الأسدي :**

هـو الأديـب سـبع بـن خلـف بـن محمـد بـن عبـد ا ... الأسـدي الفقعسي ، يحـدد العمـاد مولـده بحـدود 504 هـ ـ ، ويـذكر أنـه لقيـه شـيخاً بدمـشق ومدحـه . ينظـر : العمـاد الأصـفهاني ، الخريـدة (قسم شعراء الشام) 242/1 .

- **يحيى الأزدي :**

هو يحيى بن حميدان بن ظافر بن علي بن الحسين الأزدي ، من أهل حلب ، عُرف بمؤيد الحق بن صالح ، من شعراء دولة الملك الظاهر بن أيوب ، له مصنفات كثيرة (ت 627 هـ) .

ينظر : ابن الشعار ، عقود الجمان 224/8 – 226 .

- **يغمر بن عيسى :**

هو يغمر بن عيسى العكبري ، من مولّدي الأتراك بدمشق ، له رسالة بخط يده ، تتحدث عن معاشرة الإخوان ، وتعب الزمان ، ووصف الصيد (ت 508 هـ) وقيل(509 هـ) .

ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء مصر) 354/1 .

المصـــادر والمراجـــــع

المصادر المخطوطة

- أبــو إســحق الغــزي ، إبــراهيم بــن يحيــى بــن عثمــان محمــد الكلبــي الأشــهبي (ت 524 هـــ) ، **الــديوان** ، ميكــروفيلم رقــم (269) مكتبة الأسد الوطنية بدمشق .

- ابن فضل ا العمري ، شهاب الدين أحمد بـن يحيـى(ت 749 هـ) ، **مـسالك الأبصار في ممالك الأمصار** ، الجـزء الثـامن ميكـروفيلم رقـم (1529) مكتبـة الجامعة الأردنية ، عمان .

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم .**

- الآمدي ، أبو القاسم الحسن بن بسر (ت 370 هـ) .
  - **المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم** ، صححه وعلق عليه(د.ن)كرنكو ، دار الجبل ، ط1 ، بيروت ، 1991 م .

- إبراهيم ، محمود .
  - **صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني ،** دار البشير ، ط2 ، عمان ، 1988 م .

- الأبشيهي ، شهاب الدين محمد بن أحمد الفتح (ت 850 هـ) .
  - **المستطرف في كل فن مستظرف** ، تحقيق محمد مهنا ، مكتبة الإيمان ،(د.ط) ، المنصورة ، (د . ت) .

- ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت 630 هـ) .
  - **الكامل في التاريخ** ، دار صادر ، (د.ط) ، بيروت ، 1979 م.

- ابن الأثير ، ضياء الدين الجزري نصر ا (ت 637 هـ) .
  - **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ،(د. ط) 1939 م.

- الأدفوي ، كمال الدين جعفر (ت 748 هـ) .
  - **الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد** ، تحقيق سعد محمد حسن ، الدار المصرية العامة للتأليف والترجمة ، (د. ط) ، القاهرة ، 1966 م.

- الأزدي ، علي بن ظافر (ت 613 هـ) .
- **بدائع البدائه** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، ط1 ، صيدا ، 1992 م.

- إسماعيل ، عز الدين .
- **في الشعر العباسي (الرؤية والفن)** ، المكتبة الأكاديمية ، ط1 ، القاهرة ، 1994 م.

- الأسنوي ، جمال الدين عبد الرحيم (ت 772 هـ) .
- **طبقات الشافعية** ، نشره كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1987 م.

- الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين (ت 356 هـ) .
- **الأغاني** ، تحقيق إحسان عباس ورفيقيه ، دار صادر ، ط2 ، بيروت ، 2004 م.

- ابن أبي أصيبعة ، أحمد بن القاسم (ت 668 هـ) .
- **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** ، تحقيق نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، (د. ط) ، بيروت ، 1965 م.

- أمين ، أحمد .
- **النقد الأدبي** ، دار الكتاب العربي ، ط4 ، بيروت ، 1967 م.

- أنيس ، إبراهيم .
- **موسيقا الشعر** ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط5 ، القاهرة ، 1978 م .

- ابن إياس الحنفي ، محمد بن أحمد (930 هـ) .
- **بدائع الزهور في وقائع الدهور** ، تحقيق محمد مصطفى ، دار النشر فرانز شتاينر ، فيسبادن ، (د. ط) ، 1975 م.

- الأيوبي ، ياسين .
- **آفاق الشعر العربـي فـي العـصر المملـوكي** ، دار جـروس بـرس ، ط1 ، طرابلس ، 1995 م .

- باشا ، عمر موسى .
- **الأدب في بـلاد الـشام فـي عـصور الـزنكيين والأيـوبيين والمماليـك** ، دار الفكر ، ط1 ، دمشق ، 1989 م .

- بدوي ، أحمد أحمد .
- **أسس النقد الأدبـي عنـد العـرب** ، مكتبـة نهـضة مـصر بالفجالـة ، ط2 ، القاهرة ، 1960 .
- **الحياة الأدبية في عـصر الحـروب الـصليبية بمـصر والـشام** ، دار نهـضة مصر للطباعة والنشر ، ط2 ، القاهرة ، 1979 م.

- بروكلمان ، كارل .
- **تاريخ الأدب العربي** ، ترجمـة محمـود فهمـي حجـازي ، الهيئـة المـصرية العامة للكتاب ، (د. ط) ، القاهرة ، 1993 م.

- البصري ، صلاح الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن (ت 659 هـ) .
- **الحماسة البصرية** ، تحقيق عادل جمـال سـليمان ، وزارة الأوقـاف بمـصر ، المجلـس الأعلـى للـشئون الإسـلامية ، لجنـة إحيـاء التـراث الإسـلامي ، (د. ط) ، (د. ت) .

- البغدادي ، إسماعيل باشا محمد البابانى (ت 1339 هـ) .
- **إيضاح المكنون في الذيل على كـشف الظنـون** ، طبعـة اسـتنبول ، (د. ط)، 1945 – 1947 .

- بكار ، يوسف حسين .
- **بناء القصيدة العربية** ، دار الثقافـة للطباعـة والنـشر ، (د. ط) ، القـاهرة ، 1979 م.

- البكري ، عبد ا ن عبد العزيز (ت 487 هـ) .

- **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع** ، تحيق مصطفى السقا (د.ط) 1949م .

- البلاذري ، أحمد بن يحيى (ت 279 هـ) .

- **أنساب الأشراف** ، تحقيق إحسان عباس ، دار النشر فرانسيس ،(د. ط) ، بيروت ، 1979 م.

- بلبع ، عبد الحكيم .

- **النثر الفني وأثر الجاحظ فيه** ، لجنة البيان العربي ، ط2 ، القاهرة ، 1969 م.

- ابن تغرى بردي ، أبو المحاسن ، جمال الدين (ت 874 هـ) .

- **الدليل الشافي على المنهل الصافي** ، تحقيق محمد علي شلتوت ، دار الكتب المصرية ، (د. ط) ، القاهرة ، 1998 م .

- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** ، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب ، (د. ط) ، القاهرة ، 1963 م.

- التميمي ، قحطان رشيد .

- **اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري** ، دار المسيرة ، (د. ط) ، بيروت ، (د. ت) .

- الثعالبي ، أبو منصور عبد ا بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (ت 419 هـ) .

- **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر** ، تحقيق مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، ط2 ، بيروت ، 1983 م.

- ثعلب ، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت 291 هـ) .

- **قواعد الشعر** ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلب ، ط1 ، القاهرة ، 1948 م.

- الجاحظ ، أبو عثمان عمر بن بحر الكناني (ت 255 هـ) .
- **البيان والتبيـين** ، تحقيـق النـدوبي ، المطبعـة الرحمانيـة ، ط2 ، القـاهرة ، 1932 م.
- **الحيوان** ، تحقيق محمـد عبـد الـسلام هـارون ، المجمـع العلمـي العربـي الإسلامي ، منشورات محمد الداية ، ط3 ، بيروت ، 1969 م.
- **رسائل الجاحظ** ، تحقيق ، محمد عبـد الـسلام هـارون ، مطبعـة الخـانجي ، ط1 ، القاهرة ، 1979 م.

- ابن جبير ، محمد بن أحمد (ت 614 هـ) .
- **رحلة ابن جبير**، دار الكتب اللبناني ، (د. ط) ، بيروت ، القاهرة ، (د. ت) .

- الجرجاني ، علي بن عبد العزيز (ت 392 هـ) .
- **دلائل الإعجاز في المعـاني** ، تحقيق السيد رشيد رضا ، دار المنار بمصر ، ط4 ، 1367 هـ .
- **الوساطة بين المتنبي وخصومه** ، تحقيق محمد أبو الفضل ورفيقه ، مطبعة عيسى البالي الحلبي ، ط4 ، القاهرة ، 1966 م.

- جرير بن عطية الخطفي (ت 114 هـ) .
- **الديوان** ، دار صادر ، (د. ط) ، بيروت ، 1991 م.

- ابن جعفر ، قدامة (ت 337 هـ) .
- **نقد الشعر** ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتـب العلميـة ، (د. ط) ، بيروت ، (د . ت) .

- جيده ، عبد الحميد .
- **قـصيدة الهجـاء عنـد دعبـل الخزاعـي وابـن الرومـي** ، منـشورات دار الشمال للطباعة والنشر ، (د. ط) ، طرابلس ، لبنان ، 1985 م.

- حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد ا .
- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ، طبعة استنبول ، 1360 هـ .

- الحاوي ، إيليا .
• **فن الهجاء وتطوره عند العرب** ، دار الثقافة ، (د. ط) ، بيروت (د. ت) .

- الحبازي ، مشهور .
• **شعر الرشيد النابلسي (جمع وتحقيق ودراسة)** ، المؤسسة الفلسطينية للإرشـاد القومي ، مطبعة المنار ، ط1 ، رام ا ، 2003 م.

- ابن حجة الحموي ، تقي الدين أبو بكر علي بن عبد ا (ت 837 هـ) .
• **ثمرات الأوراق في المحاضـرات** ، صححه وعلـق عليـه محمـد أبـو الفـضل إبراهيم ، مكتبة الخانجي بمصر ، ط1 ، 1971 م.
• **خزانة الأدب وغاية الأرب** ، تحقيـق عـصام شـعيتو ، مكتبـة الهـلال ، ط2 ، بيروت ، 1991 م .

- أبو حجر ، آمنة .
• **موسوعة المدن العربية** ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، ط1 ، عمان ، 2002 م.

- حسين ، محمد محمد .
• **الهجاء والهجـاؤون فـي الجاهليـة** ، مكتبـة الآداب بالجمـاميز ، (د. ط) ، القاهرة ، (د. ت) .
• **الهجـاء والهجـاؤون فـي صـدر الإسـلام** ، دار النهـضة العربيـة ، ط2 ، بيروت ، 1965 م.

- حسان بن ثابت .
• **الديوان** ، تحقيق سيد حنفـي حـسين ، دار المعـارف ، (د. ط) ، القـاهرة ، 1983 م.

- أبو حسين ، محمد صبحي .
• **ابن منير الطرابلسي حياته وشـعره** ، دار محمـد دنـديس للنـشر والتوزيـع ، ط1 ، عمان ، 2008 م.

- حسين ، محمد كامل .
- **دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين** ، دار الفكر العربي ، (د. ط) ، القاهرة ، 1957 م .
- **في أدب الدولة الفاطمية** ، دار الفكر العربي ،(د. ط)، القاهرة ، 1950 م.

- الحصري ، أبو اسحق إبراهيم بن علي (ت 453 هـ) .
- **زهر الآداب وثمر الألباب** ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، ط1 ، القاهرة ، 1958 م.

- الحلبي ، محمد راغب بن محمود بن هاشم الطباخ (ت 137 هـ) .
- **إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء** ، تحقيق محمد كمال ، منشورات دار القلم العربي ، ط2 ، حلب ، 1989 م .

- أبو حلتم ، نبيل خليل .
- **اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري** ، دار الثقافة ، ط1 ، الدوحة 1985 م.

- حمزة ، عبد اللطيف .
- **الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأولى** ، دار الفكر العربي ، ط8 ، القاهرة ، 1968 م.

- الحنبلي ، أحمد بن إبراهيم (ت 876 هـ) .
- **شفاء القلوب في مناقب بني أيوب** ، تحقيق ناظم رشيد ، وزارة الثقافة والفنون الجمهورية العراقية ، (د. ط) ، 1978 م .

- الخفاجي ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر (ت 1069 هـ) .
- **شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل** ، قدم له وصححه ووثقه محمد كشاش ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1998 م .

- الخطبا ، فوزي .
- **شعر ابن جبيـر (جمـع وتحقيـق)** ، دار الينـابيع للنـشر والتوزيـع ، ط1 ، عمان ، 1991 م.

- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون (ت 808 هـ) .
- **تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فـي أيـام العـرب والعجم** ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، (د. ط) ، بيروت ، (د. ت) .

- ابن خلكان ، محمد بن أحمد (ت 681 هـ) .
- **وفيات الأعيان وأبناء أنباء الزمـان** ، تحقيـق إحـسان عبـاس ، دار صـادر ، ط4 ، بيروت ، 2005 م.

- ابن الخياط ، أحمد بن محمد (ت 507 هـ) .
- **الديوان** ، تحقيق خليل مردم بك ، دار صادر ، ط1 ، بيروت ،1994 م .

- أبو الخير ، محمود عبد ا .
- **الـشعر الـشامي فـي مواجهـة الـصليبيين** ، دار الإسـراء للنـشر والتوزيع ، ط1 ، عمان ، 2003 م.
- الدماميني ، بدر الدين (ت 827 هـ) .
- **العيون الفـاخرة الغمـزة علـى خبايـا الرامـزة** ، المطبعـة الخيريـة ، ط1 ، القاهرة ، 1323 هـ .

- الدهان ، سامي .
- **الهجـاء** ، سلـسلة فنـون الأدب العربـي ، دار المعـارف ،(د. ط) ، القاهرة ، 1957 م.

- الذبياني ، النابغة (ت 18 ق هـ) .
- **الـديوان** ، تحقيـق وشـرح كـرم بـستاني ، دار صـادر ، ط3 ، بيـروت ، 2003 م .

- الذهبي ، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748 هـ) .
• **تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام** ، تحقيق عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، ط2 ، بيروت ، 2001 م.
• **سير أعلام النبلاء** ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ورفيقه ، مؤسسة الرسالة ، ط11 ، بيروت ، 1998 م .
• **العبر في خبر من غبر** ، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1985 م .

- ابن رشيق ، أبو علي حسن القيرواني (ت 463 هـ) .
• **العمدة في صناعة الشعر ونقده** ، تحقيق محمد عبد الحميد ، دار الجبل ، (د. ط) ، بيروت ، 1972 م .

- الرقب ، شفيق محمد عبد الرحمن .
• **الشعر العربي في بلاد الشام في القرن السادس الهجري** ، دار صفاء للطباعة والنشر ، ط1 ، عمان ، 1993 م.

- الزبيدي ، محمد مرتضى (ت 1205 هـ) .
• **تاج العروس من جواهر القاموس** ، المطبعة الخيرية ، المنشأة بجمالية مصر المحمية ، ط1 ، القاهرة ، 1306 هـ .

- الزركلي ، خير الدين .
• **الأعلام** ، دار العلم للملايين ، ط8 ، ط16 ، بيروت ، 1989 م ، 2005 م.

- الزمخشري ، جار ا محمود بن عمر (ت 538 هـ) .
• **الديوان** ، تحقيق عبد الستار ضيف ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ط1 ، القاهرة ، 2004 م .

- ابن الساعاتي ، علي بن محمد (ت 604 هـ) .
• **الديوان** ، تحقيق أنيس المقدسي ، المطبعة الأميركانية ، (د. ط) ، بيروت ، 1939 م .

- سالم ، محمد عبد الحميد .
- **شعر المهذب بن الزبير (تحقيق ودراسة)** ،دار هجر للطباعة والنشر ، ط1 ، الكويت ، 1988 م .

- السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت 771 هـ) .
- **طبقات الشافعية الكبرى** ، تحقيق عبد الفتاح الحلو وزميله ، مطبعة عيسى الحلبي ، ط1 ، القاهرة ، 1967 م .

- السرطاوي ، محمود فايز إبراهيم .
- **نور الدين زنكي في الأدب العربي في عصر الحروب الصليبية** ، دار البشير ، ط1 ، عمان ، 1990 م .

- ابن سعيد الأندلسي ، أبو الحسن علي بن موسى (ت 685 هـ) .
- **الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة** ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار المعارف ، ط4 ، القاهرة ، (د. ت) .
- **المغرب في حلى المغرب (قسم مصر)** ، تحقيق زكي محمد حسن ورفيقته ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، (د. ط) ، القاهرة ، 1953 م .
- **النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة** ، تحقيق حسين نصار ، مطبعة دار الكتب المصرية ، (د. ط) ، القاهرة ، 1970 م.

- سلام ، محمد زغلول .
- **الأدب في العصر الأيوبي** ، دار المعارف ،(د. ط)، القاهرة ، 1968 م .

- سليم ، محمود رزق .
- **عصر سلاطين المماليك** ، دار الحمامي للطباعة والنشر ، ط1 ، القاهرة ، 1965 م .

- ابن سناء الملك ، القاضي السعيد ، أبو عبد الله محمد بن هبة الله السعدي (ت 608 هـ)
- **الديوان** ، تحقيق محمد إبراهيم نصر ورفيقه ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، (د. ط) ، القاهرة ، 1967 م .

- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911 هـ) .
- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط1 ، القاهرة ، 1965 م .
- **الحاوي للفتاوي** ، عني بنشره جماعة من طلاب العلم ، دار الكتب العلمية ، ط2 ، بيروت ، 1975 م .
- **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، ط1 ، صيدا ، 2004 م .

- أبو شامة المقدسي ، شهاب الدين عبد الرحمن الدمشقي (ت 665 هـ) .
- **تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين** ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ،2002م .
- **كتاب الروضتين في أخبار الدولتين** ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 2002 م .
- **كتاب الروضتين في أخبار الدولتين** ، تحقيق إبراهيم الزيبق ، مؤسسة الرسالة ، (د. ط) ، بيروت ، 1997 م .

- الشايب ، أحمد .
- **الأسلوب** ، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، مكتبة النهضة المصرية ، ط7 ، القاهرة ، 1976 م .
- **أصول النقد الأدبي** ، مكتبة النهضة المصرية ، ط8 ، القاهرة ، 1973 م .

- ابن الشحنة ، أبو الفضل محمد بن محمد (ت 890 هـ) .
- **الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب** ، تحقيق يوسـف بـن سـركيس الدمـشقي، المطبعة الكاثوليكية ، (د. ط) ، بيروت ، 1909 م .

- ابن شداد ، بهاء الدين يوسف (ت 632 هـ) .
- **النوادر السلطانية والمحاسـن اليوسـفية أو سـيرة صـلاح الـدين** ، تحقيـق جمـال الـشيال ، الـدار المـصرية للتـأليف والترجمـة ، ط1 ، القـاهرة ، 1964 م .

- الشريف الرضي (ت 406 هـ) .
- **الديوان** ، تحقيق محمـود مـصطفى حـلاوي ، شـركة دار الأرقـم بـن أبـي الأرقم للطباعة والنشر ، ط1 ، بيروت 1999 م .

- ابن الشّعار ، كمال الدين أبو البركات المبارك (ت 654 هـ) .
- **قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان المشهور بـ " عقـود الجمـان فـي شعراء هذا الزمان** " ، تحقيق كامل سـلمان الجبـوري ، دار الكتـب العلميـة ، ط1 ، بيروت ، 2005 م.

- شكر ، شاكر هادي .
- **الحيوان في الأدب العربي** ، عـالم الكتـب ، مكتبـة النهـضة العربيـة ، ط1 ، بيروت ، 1985 م .

- الشكعة ، مصطفى .
- **الشعر والشعراء في العصر العباسـي** ، دار العلـم للملايـين ،ط1 ، بيـروت ، 1973 م .

- الشناوي ، علي الغريب محمد .
- **الصورة الشعرية عنـد الأعمـى التطيلـي** ، مكتبـة الآداب ، ط1 ، القـاهرة ، 2003 م .

- الشنتريني ، أبو الحسن علي بن بسام (ت 542 هـ) .
- **الذخيرة في محاسن أهـل الجزيـرة** ، تحقيـق إحـسان عبـاس ، دار المغـرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 2000 م .

- الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت 548 هـ) .
- **الملـل والنحـل** ، تحقيـق محمـد فريـد ، المكتبـة التوفيقيـة ، (د. ط) ، القاهرة ، (د. ت) .

- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764 هـ) .
- **الغيـث المـسجم فـي شـرح لاميـة المعجـم** ، دار الكتـب العلميـة ، ط1 ، بيروت ، 1975 م .
- **كشف الحال في وصف الخال** ، تحقيق عبـد الـرحمن محمـد العقيـل ، الـدار العربية للموسوعات ، ط1 ، الرياض ، 2005 م .
- **نَكْتِ الهميـان فـي نُكَـت العميـان** ، تحقيـق أحمـد زكـي بـك ، المطبعـة الجمالية ، (د. ط) ، مصر ، 1911 م .
- **الوافي بالوفيات** ، أجزاء مختلفـة ، محققـون مختلفـون ، وسـنوات مختلفـة ، وطبعات مختلفة ، نشر المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ، بيروت .

- الضبي ، أبو العباس المفضل بن محمد بن يعلى الكوفي (ت 178 هـ) .
- **المفـضليات** ، عني بطبعه كارلوس يعقوب لايـل ، مطبعـة الآبـاء اليـسوعيين (د . ط) بيروت 1920 م .

- ضنّاوي ، سعدي .
- **المعجم المفـصل فـي المعـرب مـن الـدخيل** ، دار الكتـب العلميـة ، ط1 ، بيروت ، 2004 م .

- ضيف ، شوقي .
- **التطـور والتجديـد فـي الـشعر الأمـوي** ، دار المعـارف بمـصر ، ط3 ، 1965 م .
- **العصر الجاهلي** ، دار المعارف ، ط3 ، القاهرة (د . ت) .

- **العصر العباسي الأول** ، دار المعارف ، ط8 ، القاهرة ، 1982 م .
- **العصر العباسي الثاني** ، دار المعارف ، ط2 ، القاهرة ، 1975 م.
- **الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور** ، دار المعارف ، ط2 ، القاهرة ، 1984 م .
- **فصول في الشعر ونقده** ، دار المعارف ،(د . ط)، القاهرة ، 1971 م .
- **في النقد الأدبي** ، دار المعارف ، ط7 ، القاهرة ، 1962 م .
- **الفن ومذاهبه في الشعر العربي** ، دار المعارف ، ط12 ، القاهرة ، 1960 م .

- ابن طباطبا ، محمد بن أحمد (ت 322 هـ) .
- **عيار الشعر** ، تحقيق محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف ، ط3 ، الإسكندرية ، (د . ت) .

- طلائع بن رزيك ، أبو الغارات الوزير الصالح (ت 556 هـ) .
- **الديوان** ، جمعه وقدم له محمد هادي الأميني ، منشورات المكتبة الأهلية ، ط1 ، النجف ، 1964 م.

- ظافر الحداد ، أبو المنصور ظافر بن القاسم بن منصور الاسكندراني(ت 528 هـ) .
- **الديوان** ، تحقيق حسين نصار ، مكتبة مصر ، ط1 ، القاهرة ، 1969 م .

- عباس ، إحسان .
- **تاريخ النقد الأدبي عند العرب " نقد الشعر " من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري** ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، ط1 ، بيروت ، 2006 م.

- ابن عبد ربه ، أحمد بن عبد ربه الأندلسي (ت 328 هـ)
- **العقد الفريد** ، تحقيق محمد مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1983 م .

- عبد الرحمن ، منصور .
- **اتجاهـات النقـد الأدبـي فـي القـرن الخـامس الهجـري** ، مكتبـة الأنجلـو المصرية ، (د . ط) ، القاهرة ، 1977 م .

- عبد الرحمن ، نصرت .
- **في النقد الحديث** ، مكتبة الأقصى ، ط1 ، عمان ، 1979 م .

- عبد الحليم ، عبد اللطيف .
- **أدب ونقد** ، مكتبة النهضة المصرية ، (د . ط) ، القاهر ة ، 1988 م .

- عبد الرحيم ، مصطفى عليان .
- **تيارات النقد الأدبي في الأنـدلس فـي القـرن الخـامس الهجـري** ، مؤسـسة الرسالة ، ط1 ، القاهرة ، 1978 م .

- عبد المهدي ، عبد الجليل حسن .
- **بيت المقـدس فـي أدب الحـروب الـصليبية** ، دار البـشير ، ط2 ، عمـان ، 1995 م .
- **بيت المقدس في شعر الحـروب الـصليبية (جمـع وتحقيـق وتقـديم)** ، دار البشير ، (د . ط) ، عمان ، 1989 م .
- **الحياة الأدبيـة فـي بـلاد الـشام فـي القـرن الخـامس الهجـري** ، مكتبـة الأقصى ، ط1 ، عمان ، 1979 م .

- عبد الهادي ، حسن محمد .
- **دراسة شعر تاج الملوك بوري بن أيـوب مـع تحقيـق ديوانـه** ، دار الينـابيع للنشر والتوزيع ، (د . ط) ، عمان ، 1997 م .

- عتيق ، عبد العزيز .
- **علــم العــروض والقافيــة** ، دار الآفــاق العربيــة ،(د . ط)، القــاهرة ، 2004 م .

- عجلان ، عباس بيومي .
- **الهجـاء الجـاهلي صـوره وأسـاليبه الفنيـة** ، مؤسـسة شـباب الجامعـة ، (د . ط) ، الإسكندرية ، 1985 م .

- ابن العديم ، كمال الدين عمر بن أبي جراده (ت 660 هـ) .
- **بغية الطلب في تاريخ حلب** ، تحقيـق سـهيل زكّـار ، دار الفكـر ، (د . ط)، بيروت ، (د . ت) .
- **زبدة الحلب من تاريخ حلب** ، حققـه وقـدم لـه سـهيل زكّـار ، دار الكتـاب العربي ، ط1 ، دمشق ، 1997 م .

- عرقلة الكلبي ، حسان بن نمير (ت 571 هـ) .
- **الـديوان** ، تحقيـق أحمـد الجنـدي ، دار صـادر ، (د . ط) ،بيـروت ، 1991 م .

- عساف ، ساسين .
- **الصورة الشعرية ونماذجهـا فـي إبـداع أبـي نـواس** ، المؤسـسة الجامعيـة للدراسات والنشر ، ط1 ، بيروت ، 1982 م .

- ابن عساكر ، الحافظ علي بن الحسين الدمشقي (ت 571 هـ) .
- **تاريخ مدينة دمشق** ، تحقيـق محـب الـدين أبـو سـعيد عمـر بـن غرامـة العمروي ، دار الفكر ، (د . ط) ، بيروت ، 1995 م .

- عصفور ، جابر .
- **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغـي عنـد العـرب** ، المركـز الثقـافي العربي ، ط1 ، بيروت ، 1982 م .

- العقاد ، عباس محمود .
- **ابن الرومي حياته من شـعره** ، منـشورات المكتبـة العـصرية ، (د . ط) ، صيدا ، 1984 م .

- العماد الأصفهاني ، محمد بن محمد (ت 597 هـ) .
• **خريدة القصر وجريدة العصر** :
أ- **قسم شعراء الشام** ، تحقيق شكري فيصل ، المطبعة الهاشمية ، ط1 ، دمشق ، 1955 م .
ب- **قسم شعراء مصر** ، تحقيق أحمد أمين ورفيقه ، لجنة التأليف والنشر ، (د . ط) ، القاهرة ، (د . ت) .

- ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي (ت 1089 هـ) .
• **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، ط1 ، دمشق ، 1991 م .

- ابن عنين ، أبو المحاسن محمد (ت 630 هـ) .
• **الديوان** ، تحقيق خليل مردم بك ، دار صادر ، ط2 ، بيروت ، (د . ت) .

- عيسى ، فوزي سعد .
• **الهجاء في الأدب الأندلسي** ، دار المعارف ، (د . ط) ، القاهرة (د . ت) .

- الغزي ، شمس الدين أبو المعالي محمد عبد الرحمن (ت 1167 هـ) .
• **ديوان الإسلام** ، تحقيق سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، ط2 ، بيروت ، 1990 م .

- ابن فارس ، أبو الحسن أحمد (ت 395 هـ) .
• **مقاييس اللغة** ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجبل ، ط1 ، بيروت ، 1991 م.

- فتيان الشاغوري ، أبو محمد شهاب الدين الدمشقي (ت 615 هـ) .
• **الديوان** ، تحقيق أحمد الجندي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، (د . ط) ، دمشق ، (د . ت) .

- ابن الفضل العلوي ، المظفر بن الفضل .
- **نَضْرَة الإغريض في نصرة القريض** ، تحقيق نهى عارف الحسن ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، (د . ط) ، دمشق ، 1976 م .

- ابن الفوطي ، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد الشيباني البغدادي (ت 723 هـ) .
- **الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة** ، تحقيق مهدي النجم ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 2003 م .

- الفيروزابادي ، محمد بن يعقوب .
- **القاموس المحيط** ، دار الفكر ، (د . ط) ، بيروت ، 1978 م.

- ابن قاضي شهبة الدمشقي ، تقي الدين أبو بكر (ت 851 هـ) .
- **طبقات الشافعية** ، عناية الحافظ عبد العليم خان ، عالم الكتب ، ط1 ، بيروت ، 1987 م .

- القاضي الفاضل ، عبد الرحيم بن علي (ت 596 هـ) .
- **الديوان** ، تحقيق أحمد بدوي ، دار المعرفة ، ط1 ، القاهرة ، 1961 م .

- القالي ، أبو علي إسماعيل بن القاسم (ت 365 هـ) .
- **الأمالي** ، بعناية : إسماعيل يوسف التونسي ، مطبعة بولاق ،ط1 ، مصر ، 1322 هـ .

- ابن قتيبة الدينوري ، عبد ا بن مسلم (ت 276 هـ) .
- **الشعر والشعراء** ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر ، (د . ط) ، 1966 م .

- القرطاجني ، أبو الحسن حازم (ت 684 هـ) .
- **منهاج البلغـاء وسـراج الأدبـاء** ، تحقيـق محمـد الحبيـب بـن الخوجـة ، دار الكتب الشرقية ، (د . ط) ، تونس ، 1966 م .

- قزيحة ، رياض .
- **الفكاهة والـضحك فـي التـراث العربـي المـشرقي مـن العـصر الجـاهلي إلـى نهايــة العــصر العباســي** ، المكتبــة العــصرية ، ط1 ، صــيدا ، بيروت ، 1998 م .

- ابن قسيم الحموي ، مسلم بن الخضر (ت 542 هـ) .
- **الـديوان** ، (جمـع ودراسـة وتحقيـق) سـعود محمـود عبـد الجبـار ، دار البشير ، ط1 ، عمان ، 1995 م .

- القط ، عبد القادر .
- **فـــي الـــشعر الإســـلامي والأمـــوي** ، دار النهـــضة ، (د . ط) ، بيروت ، 1987 م .

- ابن قلاقس ، أبو الفتح نصر ا (ت 567 هـ)
- **الـديوان** ، تحقيـق سـهام الفـريح ، مكتبـة المعـلا ، ط1 ، الكويـت ، 1988 م .

- ابن القلانسي ، أبو يعلى حمزة بن أسد (ت 555 هـ) .
- **تـاريخ دمـشق المعـروف بـذيل تـاريخ دمـشق** ، تحقيـق سـهيل زكّـار ، دار حسان ، (د . ط) ، دمشق ، 1983 م .

- القلقشندي ، أحمد بن علي (ت 821 هـ) .
- **صبح الأعـشى فـي صـناعة الإنـشا** ، شـرحه وضـبطه ، محمـد حـسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1987 م .

- الكتبي ، محمد بن شاكر (ت 764 هـ) .
  - **عيون التواريخ** ، تحقيق فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم (جزء 20) ، وزارة الإعلام العراقية ، (د . ط) ، بغداد ، 1980 م.
  - **فوات الوفيات** ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، (د . ط) ، بيروت ، (د . ت) .

- ابن كثير ، أبو الوفاء الحافظ (ت 774 هـ) .
  - **البداية والنهاية** ، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر ، ط3 ، بيروت ، 1998 م .

- كحالة ، عمر رضا .
  - **معجم المؤلفين** ،مؤسسة الرسالة ،(د . ط)، بيروت ،1993 م .

- أبو كريشة ، مصطفى .
  - **أصول النقد الأدبي** ، الشركة المصرية العالمية للنشر –لونجمان ، ط1 ، القاهرة ، 1996 م .

- المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد (ت 285 هـ) .
  - **الفاضل** ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ط3 ، القاهرة ، 2000 م .
  - **الكامل في اللغة والأدب** ، مطبعة الاستقامة ، (د . ط) ، القاهرة ، (د . ت) .

- المتنبي ، أحمد بن الحسين (ت 354 هـ) .
  - **الديوان** ، وضعه عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، ط3 ، بيروت ، 1979 م.

- المجذوب ، عبد ا الطيب .
  - **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها** ، مطبعة البابي الحلبي ، ط1 ، القاهرة ، 1955 م .

- المحتسب ، عبد المجيد عبد السلام .
- **نقائض جرير والأخطل** ، دار الفكر ، ط1 ، بيروت ، 1972 م .

- محمد ، عادل جابر صالح .
- **شعر ابن القيسراني (جمع وتحقيق ودراسة)** ، الوكالة العربية للنشر والتوزيع ، ط1 ، الزرقاء ، 1991 م .

- المرزباني ، أبو عبد الله بن عمران بن موسى (ت 384 هـ) .
- **معجم الشعراء** ، تحقيق فاروق اسليم ، دار صادر ، ط1 ، بيروت ، 2005 م .

- مصطفى ، محمود .
- **الأدب العربي في مصر من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الأيوبي** ، مكتبة الآداب ، (د . ط) ، القاهرة ، 2003 م .

- ابن مطروح ، يحيى بن عيسى (ت 649 هـ) .
- **الديوان** ، تحقيق حسين نصار ، دار الكتب والوثائق القومية ، (د . ط) ، القاهرة ، 2004 م .

- المقريزي ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي (ت 845 هـ) .
- **السلوك لمعرفة دول الملوك** ، تحقيق عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1997 م .
- **المقفى الكبير** ، تحقيق محمد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 1991 م .

- مكي ، الطاهر أحمد .
- **امرؤ القيس حياته وشعره** ، دار المعارف ، ط5 ، القاهرة ، 1985 م .

- المنذري ، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (ت 656 هـ) .
- **التكملة لوفيات النقلة** ، تحقيق بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، ط4 ، بيروت ، 1988 م .

- ابن منظور ، جمال الدين مكرم (ت 711 هـ) .
- **لسان العرب** ، دار صادر ، ط6 ، بيروت ، 1997 م .
- ابن منقذ ، أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد (ت 584 هـ) .
- **الاعتبار** ، تحقيق قاسم السامرائي ، دار الأصالة للنشر والثقافة والإعلام ، ط1 ، الرياض ، 1997 م .
- **الديوان** ، تحقيق أحمد أحمد بدوي ، عالم الكتب ، ط2 ، بيروت ، 1983 م.

- ابن منير ، أبو الحسين أحمد (ت 548 هـ) .
- **الديوان** ، جمع وتحقيق وتقديم عبد السلام تدمري ، المكتبة العصرية ، ط1 ، صيدا ، بيروت ، 2005 م .

- موسى ، إبراهيم نمر .
- **شعر الحرب في العصر الأيوبي (ابن سناء الملك أنموذجاً)** ، دار البيرق العربي للنشر والتوزيع ، ط1 ، رام ا ، 2007 م.

- الميداني ، أحمد بم محمد (ت 518 هـ) .
- **مجمع الأمثال** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجبل ، ط2 ، بيروت ، 1987 م .

- النعيمي ، عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت 927 هـ) .
- **الدارس في تاريخ المدارس** ، عني بنشره وتحقيقه جعفر الحسني ، مكتبة الثقافة الدينية ، (د . ط) ، القاهرة ، 1988 م .

- النهشلي ، عبد الكريم القيرواني (ت 405 هـ) .
- **الممتع في صنعة الشعر** ، تحقيق عباس عبد الساتر ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1983 م .

- النواجي ، شمس الدين النواجي (ت 859 هـ) .
- **الشفاء في بديع الاكتفاء** ، تحقيق حسن محمد عبد الهادي ، دار الينابيع للنشر والتوزيع ، ط1 ، عمان ، 2004 م.
- **صحائف الحسنات في وصف الخال** ، تحقيق حسن محمد عبد الهادي ، دار الينابيع للنشر والتوزيع ، (د . ط) ، عمان ، 2000 م .

- النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733 هـ) .
- **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، تحقيق محمد ضياء الدين الريس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (د . ط) ، القاهرة ، 1993 م .

- الهادي ، صلاح الدين .
- **اتجاهات الشعر في العصر الأموي** ، مكتبة الخانجي ، ط1 ، القاهرة ، 1986 م .

- هدارة ، محمد مصطفى .
- **اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري** ، دار المعارف ، (د . ط) ، القاهرة ، 1963 م .

- الهرفي ، محمد علي .
- **شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام** ، مؤسسة الرسالة ، ط3 ، بيروت ، 1980 م .

- أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبد ا بن سهل (ت 395 هـ) .
- **الصناعتين (الكتابة والشعر)** ، تحقيق علي محمد البجاوي ورفيقه ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ط2 ، القاهرة ، 1971 م.

- هلال ، محمد غنيمي .
- **النقد الأدبي الحديث** ، دار العودة ، (د . ط) ، بيروت ، 1997 م .
- الهيب ، أحمد فوزي .
- **الحركة الشعرية زمن الأيوبيين في حلب الشهباء** ، مكتبة المعلا ، ط1 ، الكويت ، 1987 م .
- الهيتي ، أبو بكر .
- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** ، مكتبة القدس ، (د . ط) ، القاهرة ، 1953 م .
- ابن واصل ، محمد بن سالم (ت 697 هـ) .
- **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب** ، تحقيق جمال الدين الشيال ، مركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية بمصر ، (د . ط) ، 1975 م .
- ابن الوردي ، زين الدين عمر (ت 749 هـ) .
- **تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي)** ، تحقيق أحمد رفعت البدراوي ، دار المعرفة ، ط1 ، بيروت ، 1970 م .
- الورقي ، السعيد .
- **لغة الشعر العربي (مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية)** ، دار المعارف ، (د . ط) ، القاهرة ، 2003 م .
- ويليك ، رينيه .
- **نظرية الأدب** ، ترجمة محيي الدين صبحي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط3 ، بيروت ، 1985 م .

- اليافعي ، الإمام محمد بن عبد ا بن أسعد بن علي بن سليمان (ت 768 هـ)
- **مرآة الجنان وعبرة اليقظان** ، منشورات الأعلمي للمطبوعات ، ط2 ، بيروت ، 1970 م .

- ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد ا (ت 626 هـ) .
- **معجم الأدباء** ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأخيرة ، بيروت ، (د . ت) .
- **معجم البلدان** ، دار صادر ، (د . ط) ، بيروت ، 1968 م .

- اليمني ، عمارة ، نجم الدين بن أبي الحسن (ت 569 هـ) .
- **الديوان** ، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى الأرياني ورفيقه ، مطبعة عكرمة ، ط1 ، دمشق ، 2000 م .
- **النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية** ، تحقيق هرتويغ درنبروج ، مكتبة مدبولي ، ط2 ، القاهرة ، 1991 م .

- ابن يوسف ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت 646) .
- **إنباه الرواة على أنباه النحاة** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتب المصرية ، (د . ط) ، القاهرة ، 1950 م .

- يوسف ، خالد إبراهيم .
- **الشعر العربي أيام المماليك ومن عاصرهم من ذوي السلطان** ، دار النهضة العربية ، ط1 ، بيروت ، 2003 م .

- اليونيني ، موسى بن محمد الحنفي (ت 726 هـ) .
- **ذيل مرآة الزمان** ، طبعة حيدر أباد الدكن ،1374 – 1375 هـ .

الدوريات

- إبراهيم ، نبيلة .

- **المفارقــة** ، مجلــة الفــصول ، مجلــد (7) ، عــدد (3+4) ، القــاهرة ، 1987 م .

- الرقب ، شفيق محمد عبد الرحمن .

- **النقــد الاجتمــاعي فــي الــشعر الــشامي** ، مجلــة مجمــع اللغــة العربيــة الأردني ، عدد (40) ، عمان ، 1991 م .

- اللبدي ، نزار وصفي .

- **الــصورة الــساخرة فــي شــعر الحــرب عنــد شــعراء الــدولتين الزنكيــة والأيوبيــة** ، مجلــة جامعــة النجــاح للأبحــاث ، مجلــد (11) ، عــدد (1) ، نابلس ، 2003 م .

الرسائل الجامعية

- خضر ، جبر سليمان .
  - **الحروب الصليبية من خلال الشعر في مصر والشام في القرنين السادس والسابع الهجريين** ، أطروحة دكتوراه ، جامعة القديس يوسف ، بيروت ، 1994 م .

- ابن دنينير ، إبراهيم بن محمد (ت 627) .
  - **الديوان** ، تحقيق ودراسة محمود شاكر سعيد ، رسالة دكتوراة مخطوطة ، جامعة الأزهر ، القاهرة ، 1981 م .

- الصايغ ، هنريت زاهي سابا .
  - **اتجاهات الشعر العربي في القرن السابع الهجري في بلاد الشام** ، رسالة دكتوراة مخطوطة ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، 1980 م .

- عمرو ، علي عبد ا .
  - **تحقيق ديوان الزمخشري ودراسة شعره** ، رسالة دكتوراة مخطوطة ، جامعة الأزهر ، القاهرة ، 1979 م .

Abstract

Poetry during the age of the Zenkis and the Ayyubids (AH 489-648)

The Present study deals with Direction of Poetry during the age of the Zenkis and the Ayyubids in Egypt and Greater Syria in order to identify it's subjects and artistic features.

The study consists of a preface and four chapters. The preface is concerned with the concept of satire and it's development from the per-Islamic period (Jahili Age) to the commencement of the age of Zenkis and the Ayyubids.

Chapter One is about personal satire and it's various forms, such as the satire which exposes the personal vices of individuals, including physical and congenital defects , the satire of poets among themselves, the satire against irrational beings, and the like.

Chapter Two is about social satire. It exposes the negative aspects of the social life in that age, such as the corruption of some state men, rulers, viziers, staff, judges, etc…..
It also reveals various forms of complaint and suffering which resulted in behavioral disorders and troubled social values.

Chapter Three focuses on political satire. It exposes the poets' stance on rulers and their corrupt administrations . In this type of satire, poets cast aspersions on the Patriotism of those who showed reluctance in defending their homeland, exposed the collaborators with the crusaders, and disclosed divisions among princes of the Greater Syria and their attempts to destroy the nation's

unity during the age of Nur ed-Din Zenki and Salah ed-conflicts on the office of vizier in Egypt at the end of the Fatimid rule.

Chapter Four is about the artistic features of satire poetry. The stanza was found to be the common form of the satire poem. It was also found that this type of poetry had had an impact on everyday language, the simplified folk style and the simple partial image. As for the music, the poetic meters, though had some rhyme-related defects, were similar to those of the traditional Arabic poetry which the poets had been using for ages.